جامعة القدس المفتوحة

عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي

تخصص اللغة العربية وآدابها

قصة يوسف عليه السلام في الشعر الفلسطيني المعاصر

"دراسة أسلوبية"

إعداد الطالبة : سنابل أحمد محمد حلبي

الرقم الجامعي: ٠٣٣٠٠١١٦١٠٠٠٤

إشراف : أ.د عمر عتيق

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير من كلية الدراسات العليا (جامعة القدس المفتوحة) في برنامج اللغة العربية وآدابها.

٢٠١٩

رام الله–فلسطين

إقرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة الموسومة بـ:

قصة يوسف عليه السلام في الشعر الفلسطيني المعاصر

"دراسة أسلوبية"

أقر بأن مضمون الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء الاقتباسات والإشارات الواردة في الحواشي، وأن الرسالة لم تقدم من قبل للحصول على درجة علمية أو بحث علمي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالبة: سنابل أحمد محمد حلبي

التوقيع:

التاريخ: ٢٠١٩/٤/٢٢

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة (**قصة يوسف عليه السلام في الشعر الفلسطيني المعاصر "دراسة أسلوبية"**) وأجيزت بتاريخ ٢٠١٩/٤/٢٢

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د عمر عتيق (رئيساً).	التوقيع .....
د. زاهر حنني (ممتحناً داخلياً).	التوقيع .....
د. نادر قاسم (ممتحناً خارجياً).	التوقيع .....

جامعة القدس المفتوحة

كلية الدراسات العليا

(تفويض)

أنا سنابل أحمد محمد حلبي، أفوض جامعة القدس المفتوحة بتزويد المكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص بنسخ من رسالتي عند طلبها، بما يتفق وتعليمات الجامعة.

اسم الطالبة : سنابل أحمد محمد حلبي

التوقيع : .....

التاريخ : 22/4/2019

إهداء

على إيقاع كلمات عذبة شفافة، أبعث ثمرة جهدي لمن زرعا في قلبي بذور الأمل والتفوق، وأبث مع نسيم الحب قبلةً على جبينهما الطاهر . . لولا رضاهما عليّ لما وصلت إلى هنا . . .

والداي حفظهما الله

ويستمر لحن كلماتي نابضاً بفرحة تغمرني كلما سمعت همسهما، ومرّ على قلبي طيفهما، خير سد وخير سند أشد بهما عضدي . .

أخواي (المهندس أمجد والطبيب مؤمن)

وإلى من تقاسمت معهن البسمة والدمعة، وبنيت بتشجيعهن صرحاً من الإنجاز، نسمات الحب وورود الأمل . .

أخواتي (المجد والخلود لنا سبل)

إلى من ساقه القدر ليسكن في حنايا قلبي، فنقشتُ اسمه ترتيل فرح على أوراق عمري؛ فأصبحتْ بنبعِ حضوره خضراء يانعة . .

إلى خطيبي عبود

وإلى كل متأمل في آيات الله، متمعنٍ في تلاوة آياته، متعمقٍ في قصة يوسف عليه السلام . .

أهديكم هذا العمل

شكر وتقدير

(رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)، فلله الحمد والفضل، وله الثناء الحسن وعظيم الشكر، أن منّ عليّ بكرمه وعلمه إتمام أطروحتي المتعلقة بنبي من أنبيائه عليه سلام الله ومحبته.

إلى كل من غمرنا بعلمه وفضله، ودماثة خلقه من أساتذة كرام، أغدقوا علينا من علمهم وحكمتهم، وأخذوا بأيدينا كي نرقى للمجد، أرفع القبعة إجلالاً لهم.

كما أتقدم بوافر الشكر وجزيل التقدير إلى أستاذي ومشرفي **الأستاذ الدكتور عمر عتيق**، الذي كان لي نعم السند والمعين، كلما دبّ اليأس في نفسي غرس فيَّ الأمل لأنهض من جديد، وكلما أظلمت الدروب أمامي أنارها لي بحكمته الزاهرة وعقله السديد، وكلما احتجت لنصائحه وفر لي من وقته الثمين، حروف الأطروحة لا تفيه حقه بصبره الكبير عليّ، وبتوجيهاته الزاخرة لي، أمد الله في عمره، وبارك في علمه وعمله.

وأقدم شكري لعضويْ لجنة المناقشة، الدكتور زاهر حنني، والدكتور نادر قاسم؛ لما قدماه لي من نصائح وتوجيهات زادت من قيمة هذا البحث ورفعت من شأنه، فجزاهما ربي كل خير.

ملخص

تحمل هذه الأطروحة عنوان (قصة يوسف عليه السلام في الشعر الفلسطيني المعاصر) دراسة أسلوبية، جاءت في ثلاثة فصول، يسبقهما مقدمة، وتتبعهما خاتمة وخلاصة لأهم النتائج والتوصيات، وثبت المصادر والمراجع.

اشتمل الفصل الأول على أثر القصة القرآنية في الشعر، وبيان القرآن الكريم وسحره وإعجازه، ومن ثم علاقته بالموروث، ويعرض الفصل أمثلة لقصص القرآن التي وردت عند الشعراء، ويحلل الأبعاد الدلالية للقصة القرآنية في الشعر، كالطوفان، وقصة قابيل وهابيل، وطير الأبابيل، وقصص أنبياء الله إبراهيم وموسى، وهجرة النبي محمد ﷺ، والإسراء والمعراج.

أما الفصل الثاني فقد تضمّن الفضاءات الدلالية لقصة يوسف عليه السلام في الشعر الفلسطيني المعاصر، من حيث ربط أحداث قصة نبي الله يوسف ومعاناته بواقع الشعب الفلسطيني في مباحث عدة، تضمنت المنفى ومعاناة اللاجئين، وعودة يوسف التي جسدت الأمل في عودة أبناء الشعب الفلسطيني من المهجر، وتطرقت إلى بعض المرايا الوطنية في القصة كالقدس وحصار غزة وغيرها من المرايا الفلسطينية التي تتقاطع مع معاناة نبي الله يوسف عليه السلام .

وجاء الفصل الثالث مشتملاً على بعض الظواهر الأسلوبية التي ظهرت في قصة يوسف عليه السلام في الشعر الفلسطيني، كظاهرة الانزياح الدلالي الذي اعتمده بعض الشعراء في تحوير بعض أحداث قصة يوسف عليه السلام وفق رؤية دلالية، وحللت الباحثة بعض التجليات للصورة الفنية في شعر قصة يوسف عليه السلام، ودراسة الإيقاع الداخلي في ذلك الشعر، كإيقاع الأصوات المفردة، والجناس وظاهرة التكرار.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة: تأثر الشعراء بالقصص القرآنية التي تعبر عن واقع حياتهم السياسية، وتعكس معاناتهم وظروف معيشتهم تحت نير الاحتلال الغاشم، إضافة إلى أنه كان لقصة يوسف عليه السلام حضورها البارز في الشعر الفلسطيني المعاصر، لأن الشعراء وجدوا فيها رمزاً معبراً عن قضيتهم وفصول معاناتهم، وقد تنوعت نظرة الشعراء في استدعائهم لقصة يوسف، فبعضهم استحضرها في سياق التشاؤم وسرد ألوان العذاب الذي تعرض له، وبعضهم الآخر في سياق التفاؤل والأمل في الخلاص من بعد طول المعاناة.

وانتهت الرسالة بقائمة من المصادر والمراجع.

Abstract

This thesis bears the title "The Story of Joseph in Contemporary Palestinian Poetry". It came in three chapters, preceded by a preface and an introduction, followed by a conclusion and a summary of the most important conclusions and recommendations, and thus proven to the most important sources and references.

The chapter deals with the impact of the Quranic story on poetry, the Holy Quran, its magic and its miracles, and its relation to inheritance. The chapter presents examples of the Qur'anic stories that were presented to the poets. The chapter analyzes the semantic dimensions of the Qur'anic story in poetry, such as the Flood, the story of Cain and Abel, The prophets of God Abraham and Moses, the migration of the Prophet Muhammad , and the Isra and Maraj.

The second chapter included the semantic spaces of Youssef's story in the contemporary Palestinian poetry, in terms of linking the events of the story of Prophet Yusuf and his suffering to the reality of the Palestinian people in several matters, including the exile and the suffering of the refugees, and the return of Joseph, which embodied hope for the return of the Palestinian people from the Diaspora. To some national views in the story such as Jerusalem and the siege of Gaza and other Palestinian mirrors that intersect with the suffering of the Prophet Yusuf Yusuf.

The third chapter includes some stylistic phenomena that appeared in the story of Joseph in the Palestinian poetry, such as the phenomenon of the semantic shift adopted by some poets in the transformation of some of the events of the story of Joseph according to the vision of the author, and analyzed some of the manifestations of the artistic image in the story of Joseph, The interior of that poetry, as the rhythm of individual sounds, the anaphylaxis and the phenomenon of .repetition

The letter ended with a conclusion and a summary of what the researcher reached, and it was followed by a list of proven sources and references.

مقدمة

الحَمدُ للهِ الَذي عَلَّم بالقَلم، والصّلاةُ والسّلامُ على خاتَم الأَنبِياء وهادي الأمم.

أهمية البحث

يقارب البحث بين معاناة يوسف النبي وتفاصيل معاناة الشعب الفلسطيني. إذ إن المؤامرة التي تعرض لها يوسف النبي من إخوته تناظر المؤامرة التي تعرض لها الشعب الفلسطيني في النكبة والنكسة والنزوح، فيوسف النبي رمز للفلسطيني، والجب الذي ألقي فيه يناظر منفاه الذي استقر فيه، وعودة يوسف لأبيه تُبشر بعودة النازحين إلى فلسطين.

مسوّغات البحث

لهذا البحث قيمة في نفس الباحثة؛ لارتباطه بقصصٍ قرآنية وردت في كتاب خالدٍ منزهٍ من التحريف، وتركيزه على قصة يوسف عليه السلام التي عدّها الله من أحسن القصص، فهي تجسد مضمون البحث من حيث التعالق الفكري والنفسي بين قصة يوسف في القرآن الكريم وفصول معاناة الفلسطيني، وترى الباحثة أن التقارب الدلالي بينهما يشكّل بشائر الخلاص والنصر للشعب الفلسطيني، إذ إنّ محنة يوسف النبي التي تحولت إلى نصر وعزة حقيقة عقائدية تعزز الثبات والصمود للفلسطيني، فالخلاص والحرية مستمدان من وحي قصة يوسف النبي، كما أن الأبعاد الدلالية لقصة يوسف النبي تسهم في رفض مظاهر الانكسار والانحسار السياسي الذي يُثقل المرحلة الراهنة.

منهج البحث

اعتمدت الباحثة في دراستها على المنهج الأسلوبي، إذ إنّ الدراسة الأسلوبية للنصوص الأدبية، تعد من الدراسات الحديثة التي تقوم على البنية العميقة للنص الأدبي، وبيان أبرز الظواهر التي يتشكل منها النص، وتحفر في أعماقه.

الدراسات السابقة للبحث

تعد هذه الدراسة الموسومة بـ "قصة يوسف عليه السلام في الشعر الفلسطيني المعاصر" من الدراسات التي تخصصت بقصة نبي الله يوسف عليه السلام، وغير مسبوقة بدراسة متخصصة تحمل العنوان ذاته، إذ إن الدراسات السابقة التي تناولتها كانت قليلة ومتفرقة في الكتب والأبحاث، مثل: **توظيف التراث**

في الشعر الفلسطيني المعاصر لأنور الشعر، و**التناص في الشعر العربي المعاصر** لظاهر الزواهرة، **وآفاق الرؤيا الشعرية** لإبراهيم نمر الموسى، **وأثر القصة القرآنية في الشعر العربي الحديث** لحسن المجّالي.

أسئلة الدراسة

تسعى الباحثة إلى الإجابة عن مجموعة من التساؤلات الآتية:

١- كيف تتجلى المقاربة بين أحداث قصة يوسف النبي والأحداث التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني؟
٢- هل أجرى الشاعر الفلسطيني تحويراً في قصة النبي يوسف؟
٣- ما الأبعاد الدلالية لقصة يوسف في الشعر الفلسطيني المعاصر؟
٤- ما وظيفة الصورة الفنية في تعزيز المقاربة بين قصة يوسف النبي ومعاناة الفلسطيني؟
٥- هل أسهم الإيقاع الداخلي في الشعر الفلسطيني في إثراء الأبعاد الدلالية لقصة يوسف في الشعر الفلسطيني المعاصر؟

مضمون البحث

توزع مضمون الرسالة على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، رصد الفصل الأول أثر القصة القرآنية في الشعر، من حيث سحر البيان في القرآن الكريم، وعظمته وإعجازه، وتأثيره على الشعراء، كما تضمن أمثلة لبعض القصص القرآنية التي وردت في الشعر العربي والفلسطيني، بدءاً بقصة الطوفان، وقابيل وهابيل، وطير الأبابيل، وقصتا إبراهيم وموسى، وهجرة النبي محمدﷺ، وقصة الإسراء والمعراج.

وعالج الفصل الثاني الفضاءات الدلالية لقصة يوسفعليه السلام في الشعر الفلسطيني المعاصر، وقد قسمته الباحثة إلى أربعة مباحث، تناول المبحث الأول: المنفى ومعاناة اللاجئين، الذي قارب بين المنفى الذي تعرض له يوسف عليه السلام والمعاناة المريرة التي لقيها فيه بسبب إخوته، والفلسطيني الذي يعيش في منفاه بعد أن لاقى ألوان الذل والهوان، ووصف المبحث الثاني عودة اللاجئين، فكما عاد يوسف النبي إلى أحضان وطنه، ينسج الفلسطيني خيوط الأمل من قصته، ليعود إلى وطنه بعد الفراق الطويل، واختص المبحث الثالث بأبرز القضايا الفلسطينية التي عبر عنها الشعراء بوساطة استدعاء قصة يوسف

النبي كقضية القدس وحصار غزة، وقضية الأسرى التي قاربت الباحثة بين تلك القضايا وقصة يوسف عليه السلام، وجاء المبحث الرابع موسوماً بـ العناقيد الدلالية في قصة يوسف في الشعر الفلسطيني المعاصر.

رصد الفصل الثالث الموسوم بـ ظواهر أسلوبية في قصة يوسف عليه السلام، وتوزع على ثلاثة مباحث، المبحث الأول بعنوان الانزياح الدلالي في قصة يوسف عليه السلام، وإبراز جمالية الانزياح للغة الإبداعية التي تظهر الدهشة لدى المتلقي في تحوير أحداث قصة يوسف لغاية دلالية يسعى الشاعر إليها، والمبحث الثاني بعنوان تجليات الصورة الفنية في شعر قصة يوسف عليه السلام، وأبرزها الصور التشبيهية والاستعارية التي وظفها الشعراء في تعزيز المقاربة بين قصة يوسف النبي والسياق الفلسطيني، والمبحث الثالث اختص بالإيقاع الداخلي، كإيقاع الأصوات المفردة وظاهرتي الجناس والتكرار، والجرس الموسيقي الذي تحدثه في النص الشعري، إلى جانب القيمة الدلالية الكامنة فيه، فالإيقاع يرتبط بالمعنى ارتباطاً حيوياً، فيتوافق النغم الإيقاعي الذي أراده الشاعر وفق المشاعر التي يعبر عنها مع المدلول الذي يقصده.

والله ولي التوفيق،،

الفصل الأول: القصة القرآنية في الشعر

المبحث الأول: أثر القصة القرآنية في القرآن الكريم

١. سحر البيان في القرآن الكريم

٢. عظمة القرآن الكريم وإعجازه

٣. تأثير القرآن الكريم على الشعراء

المبحث الثاني: القصة القرآنية في الشعر العربي

١- الأبعاد الدلالية لقصة الطوفان في الشعر العربي

٢- الأبعاد الدلالية لقصة هابيل وقابيل

٣- الأبعاد الدلالية لقصة طير الأبابيل

٤- الأبعاد الدلالية لقصة إبراهيم عليه السلام

٥- الأبعاد الدلالية لقصة موسى عليه السلام

٦- الأبعاد الدلالية لقصة الإسراء المعراج

٧- الأبعاد الدلالية لقصة هجرة النبي محمد ﷺ

المبحث الثالث: القصة القرآنية في الشعر الفلسطيني

١- الأبعاد الدلالية لقصة الطوفان في الشعر الفلسطيني

٢- الأبعاد الدلالية لقصة هابيل وقابيل

٣- الأبعاد الدلالية لقصة طير الأبابيل

٤- الأبعاد الدلالية لقصة إبراهيم عليه السلام

٥- الأبعاد الدلالية لقصة موسى عليه السلام

٦- الأبعاد الدلالية لقصة الإسراء المعراج

٧- الأبعاد الدلالية لقصة هجرة النبي محمد ﷺ

المبحث الأول: أثر القصة في القرآن الكريم

يعد القرآن الكريم المنهج الأساسي الأول، والمنبع الصافي الذي استقى منه الشعراء ما يثري قريحتهم، ويغذي ثقافتهم، ويزيدها بلاغةً وقوةً وحسناً، ولا عجب في ذلك؛ فقد تحدى الله بآياته الكريمة جهابذة العرب أن يأتوا بمثله، وعلى الرغم من فصاحتهم وبلاغتهم إلا أنهم انهزموا أمام جلالة كلماته، فنكسوا رؤوسهم، وطأطأوا هاماتهم أمام كتاب معجز، غلب بقدرته الإنس والجان ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هذا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾[١].

١. سحر البيان في القرآن الكريم

من عجيب أثر القرآن الكريم "تلك السطوة الغريبة التي تخضع لها النفوس عند سماعه (سطوة القرآن)، ظاهرة حارت فيها العقول" [٢]، وخرّت لها الهامات، وتصدعت منها الجبال، فما كان لمخلوق يسمع آيات الله تتلى؛ حتى تبدأ تيارات غريبة في السيطرة عليه، إذ تجذبه فصاحة كلماته، وبلاغة قوله، فتغشاه الرحمة والخشوع، فكانت دلالة القرآن" عن معجزة عامة، عمت الثقلين، وبقيت بقاء العصرين"[٣]، ليبقى شذى سحره يخطف الألباب، ويسحر القلوب.

لو تأملنا تسلسل قوة التأثير لهذا الكتاب العظيم، وبدأنا بأقوى مخلوقات الله الغيبية(الجان)، الذين انبهروا بآيات الله عند سماعهم لها، لوجدناهم قد استحوذ عليهم التعجب والحسن كما تجلى في قوله تعالى: ﴿**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا**﴾[٤].

ولو انتقلنا إلى مظاهر الطبيعة الصامتة، التي تحتاج إلى قوة خارقة لتهزها أو تدمرها، نحو الجبال، لوجدناها بعظمتها تتصدع أمام كلمات هذا الكتاب العظيم ﴿**لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[٥].

٢. عظمة القرآن الكريم وإعجازه

انبهر صناديد المشركين بما سمعوه من آيات معجزة، فينطقون كلاماً يصفون به القرآن وصفاً يخلخل عقيدتهم، ويهز أذهانهم، ويكسر جبروتهم، فكلمات الوليد بن المغيرة لا يستطيع أحد نسيانها، ولا إنكار ما تحتويه من عظم الوصف و بلاغة القول، حينما قال: " إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن

---

(١) الإسراء: ٨٨

(٢) السكران، إبراهيم عمر: الطريق إلى القرآن. دار الحضارة للنشر والتوزيع، السعودية،٢٠١٦، ص٩

(٣) الباقلاني، محمد بن الطيب: إعجاز القرآن. ت: السيد أحمد صقر. دار المعارف، مصر، د.ت، ص٨

(٤) الجن: ١

(٥) الحشر: ٢١

أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق" [١]، وكذلك جبير بن مطعم عندما نطق بجملة عبرّت عن قوة الأثر الذي يتركه القرآن في النفوس، إذ قال عند سماعه آيات من سورة الطور" كاد قلبي أن يطير"[٢]، فلله درّهم ما أبلغ عباراتهم، وما أحكم وصفهم لكتاب استحق ذلك.

عمّت معجزة القرآن أرجاء العرب، وازداد انبهارهم بأسلوبه الفني المحكم، وقيمته البلاغية الباهرة، وكلماته التي أسرت قلوبهم وعقولهم، فهو "لم يكن صادماً لمعتقدات العرب الوثنية وحسب، بل كان صدمة بيانية كبرى، ومبعث دهشة وغرابة، وكان عجباً ومثار أسئلة لا تنتهي في معانيه ومبانيه"[٣]، فآمنوا به وتشربوا معانيه، وارتشفوا من بلاغته، فوحّد لغتهم وأعزها، ورفع من شأنها، فأضحى دستوراً لا ينافسهم فيه منافس، لذا زادت عربية هذا القرآن من فخرهم واعتزازهم بلغتهم، "إذ كان حظ العربية وآدابها من هذا الكتاب كبيراً بما أمدها من روح جديدة، وبما أضفاه عليها من أساليب بلاغية رفيعة"[٤] ، فلله درهم ما أعظم هذا الشرف وأنبله.

٣. تأثير القرآن الكريم على الشعراء

أفاد الشعراء من المصادر التراثية القديمة، وعدّوا الموروث منها جزءاً أساسياً في أشعارهم؛ لأنه " يمنح القصيدة المعاصرة طاقات تعبيرية لا حدود لها" [٥]، كما وجدوا في الكتب السماوية" رافداً مهماً من روافد التجربة الشعرية الحداثية لدى الشعراء"[٦]، وكان للقرآن الكريم النصيب الأوفر الذي استقى الشعراء من آياته وشخصياته، فزاد من إبداع أعمالهم الأدبية، وأعطاها قوة وأثراها غنىً وتميزاً.

ثمة من عدّ العودة إلى التراث نوعاً من العجز عند الشاعر ونفاذ المخزون لديه، بدعوى أنه غير قادر على مواكبة هذا العصر ومجاراة التطورات التي قد تثري شعره وتغذيه، "فالعودة إلى الماضي لا يعني ذلك، إنما يعني إعادة بناء هذا التراث إن لم يكن على قداسة وثبات كالقرآن الكريم مثلاً"[٧]، ولا

---

(١) الجندي، خالد: المنح الربانية للشخصية المحمدية.ط١، دار المعرفة، بيروت، ٢٠١٦، ص١٤٥

(٢) القحطاني، سعيد بن علي: فقه الدعوة في الصحيح البخاري.ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ٢٠٠٢، ج١، ص٢٧٢

(٣) المجالي، حسن مطلب: أثر القصة في الشعر العربي الحديث. رسالة دكتوراه، إشراف: امتنان الصمادي. الجامعة الأردنية، ٢٠٠٩، ص٦

(٤) شرّاد، شلتاغ عبود: أثر القرآن في الشعر العربي الحديث.ط١، دار المعرفة، دمشق، ١٩٨٨٧، ص٣

(٥) زايد، علي عشري: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر. دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧، ص١٦

(٦) الموسى، إبراهيم نمر: آفاق الرؤيا الشعرية. ط١، وزارة الثقافة الفلسطينية،٢٠٠٥، ص٦٩

(٧) الزواهرة، ظاهر: التناص في الشعر العربي المعاصر.ط١، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٣، ص٨٢

يخفى أن الشعر يواكب الحياة وتطوراتها، فكما يحرص على الحداثة والمعاصرة، فإنه أيضاً يرتكز على التراث؛ لأنه نبع أساسي ينطلق منه، والقرآن الكريم من أهم الركائز التي يتأثر الأدباء بها.

قد يقول قائل: إن القرآن نزل في زمن الرسول للعرب فغيّر حياتهم إلى الأفضل؛ بسبب ما يفيض به من إعجازات أبهرت عقولهم، وقد كان أثره واضحاً عندهم، وخاصة الشعراء منهم، فاستمدوا منه ما يقوّي أشعارهم، وفق ما يلائم زمنهم، وكأنه خاص بأهل ذلك العصر، ولا صحة لهذا القول المفترض ؛لأن القرآن الكريم" ليس وقفاً على مرحلة معينة، أو عصر معين، بل هو دستور الله الخالد للبشرية، جمعاء، وهو صانع التراث ومصدره الأكبر، وصلتنا به كتاب تشريعٍ وحياة من جهة، وكتاب أدب وبلاغة ومعجزة من جهة أخرى"[١]، كما وجبت الإشارة إلى أن الشعر قد تراجع زمن الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لانشغال العرب بالفتوحات، حتى عاد أوجه في العصر العباسي، ليبقى هذا الكتاب السبّاق في كل شيء يصل إليه الإنسان من تطورات وأخبار واختراعات، إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

والقرآن الكريم كالجنة التي تحتوي على كل ما تطيب له النفس، ويخطر على قلب البشر، "فكانت الموضوعات القرآنية لا تضن على طلابها مهما تعددت مشاربهم، فالأدباء يجدون فيها بغيتهم: برقة أسلوب وسلاسة لفظ وصحة معنى" [٢]، والقصص القرآنية كانت من أكثر تلك الموضوعات التي شغلت حيزاً كبيراً في الأذهان، والإنسان بطبعه تشده القصص بأحداثها وشخوصها، فلبى القرآن حاجاته.

وتشكل القصة القرآنية منبهاً أسلوبياً قادراً على الإثارة والتأثير على المتلقي أكثر من غيرها من الأساليب؛ لأنها تملك القدرة على" الوصول إلى عقل الإنسان وشعوره، وإقناعه بالفكرة الحق التي ترتبط بالله"[٣]، فلنسيجها المبهر، وأحداثها المحبوكة، وآثارها الظاهرة على النفوس، الأثر العظيم الذي يشدّ الأدباء ويجذبهم إليه.

انفتح الشعراء على القصة القرآنية، وضمنوها قصائدهم بما يتناسب مع مرادهم وغاياتهم التي يسعون إلى تحقيقها، إذ" وجد الشعر في القصة القرآنية ضالته، وهو يبحث عمّا يعمق فكرته، ويدعم رؤيته، ويحقق له التماسك النصي والتواصل مع جمهور متلقيه" [٤] فقد استطاع الشاعر في توظيفه

---

(١) شرّاد، شلتاغ عبود: أثر القرآن في الشعر العربي الحديث. ص٤

(٢) عباس، فضل حسن: القصص القرآني، إيحاؤه ونفحاته.ط١، دار الفرقان، الأردن، ١٩٨٧، ص٩

(٣) فضل الله، محمد حسين : الحوار في القرآن، قواعده، أساليبه، معطياته.ط٥، دار الملاك للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٦، ص٢٢٩

(٤) المجالي، حسن مطلب: أثر القصة في الشعر العربي الحديث.ص٢٤

للقصة مخاطبة المتلقي المثقف الذي يعي ما يرمي إليه الشاعر، فهو ذو وعي ديني بأحداث القرآن ومفرداته.

اتخذ الشعراء من قصص الأنبياء العطرة نبراساً يستنيرون بنوره، ونهجاً جعلوه القدوة التي يقتدون بها، والملاذ الذي يخففون به أعباء حياتهم وهمومها ومشاكلها، فكانت قصصهم عبرة لمن أراد أن يتفكر، كما قال رب العزة:﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[١].

المبحث الثاني: القصة القرآنية في الشعر العربي

تأثر الشعراء العرب بالأحداث التي كانوا يعيشونها في حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إذ طحنتهم رحى الظلم، فامتشقوا الكلمة سلاحاً يعبّرون بها عن مشاعرهم، ويصرّحون بها عن تجاربهم التي يخوضونها." فاستمدوا رؤاهم من القرآن الكريم، واستحضروا بعض آياته في سياق تأملاتهم، واتخذوا من قصص الأنبياء منطلقا لمضامين نصوصهم الشعرية، ونسجوا بعباراتهم قالباً لغوياً يكتسب جمله من اللغة القرآنية"[٢]، بذلك تزداد نصوصهم قوة وبلاغة بما تضمنته من ألفاظ وأحداث مستدعاة من ذلك الكتاب الحكيم.

والقصة القرآنية ليست سرداً لأحداث وقعت، أو لعبارات قيلت على ألسنة أصحابها، بل هي تعبير أعمق من ذلك يدخل إلى كينونة النبي الذي حدثت معه القصة، فتعبر عن مشاعر صادقة عاشها بنفسه، وذاق مرها وحلاوتها، في "ترجمة عن المشاعر والسلوك النفسي والعملي، قبل أن تترجم عن نبرة صوتية، أو محاكاة لفظية"[٣]، فتكون تلك المواقف خير مثال يحتذي به الناس في حياتهم.

أيد الله ﷻ رسله بالحق على الرغم من المصاعب التي عانوها في سبيل إعلاء كلمته، وقد ذكر لنا قصصهم بأسلوب شائق وجذّاب، ليتجلى لنا تصوير أصحاب الحق والكلمة، ومواجهة أصحاب الباطل والضلال.

وتأسيساً على ما تقدم شكل حضور القصة القرآنية مرجعية ثقافية ومعرفية كبرى، "استقرت عميقاً في الوعي العربي، وانبثقت عنصراً تكوينياً كبيراً من عناصر الذاكرة الفردية والجماعية"[٤]، فكانت

---

(١) يوسف: ١١١

(٢) البغامي، ماجد: تجليات التناص في ديوان "مختارات من شعر الانتفاضة". مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، غزة، مج٢٠، ع٢، ٢٠١٢، ج١، ص١١٢

(٣) باحذاق: عمر محمد: الجانب الفني في قصص القرآن الكريم. دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٨٣، ص٢٤٤

(٤) المجالي، حسن مطلب: أثر القصة في الشعر العربي الحديث.ص٢٤

معيناً لا ينضب، وزاداً له قيمته عند الشعراء، وغدت قصص الأنبياء رموزاً تعددت مشاربها عندهم، ما بين رمز للتضحية والعذاب، والقهر والانتصار، والغدر والخيانة.

عانى الأنبياء كثيراً، ظلموا، واضطهدوا، وهجّروا، وكثيرٌ منهم قتلوا في سبيل دعوة الحق، غير أن من تعرض لهم" يظل عاجزاً أن ينال من عزيمتهم، ويفتت من عضدهم"[١]، هكذا أثبت لنا القرآن بالصورة التي كانت منارة أضاءت للشعراء طريقاً يهتدون بها إلى مساعيهم في التحرر والانتصار.

كان الانفتاح على القصة القرآنية بـ"استلهام رموزها وثيماتها وفضاءاتها المقدسة إغراء لا يقاوم لدى كثير من شعراء الحداثة"[٢]، الذين أخذوا يبنون نصوصهم تحت ظلالها، وبوحي منها معبرين عن ظلم الاحتلال ونيرانه، وبطشه المستمر في القتل والسلب والنفي، وكأن معاناتهم باتت واحدة، فالأنبياء أصحاب الحق في نشر دعوة الله، والشعراء أصحاب الدعوة في نشر الحق المنير، وتبديد الظلم المرير، الذين تعبوا من ويلاته وما جرّه عليهم من أسىً وهموم.

وأمامنا مجموعة من القصص القرآنية التي ذكرها الله في كتابه، استخدمها الشعراء العرب، وضمنوها أشعارهم؛ لمواكبة الحياة السياسية والثقافية، ومواجهة حملات الاستعمار والتغريب التي استهدفت العرب والمسلمين، "فلا يكون ذكرها مجرد زينة لغوية، إنما توظف لإثراء العمل الشعري فنياً وفكرياً" [٣]، وهي من القصص التي تعكس جانباً من الظلم عاشه الأنبياء في حياتهم، والمصير الذي آلوا إليه بعد تأييد الله ونصره، فانعكس على حياة الشعراء وما يعانونه في واقع معيشتهم، ومن أبرز هذه القصص:

١- قصة الطوفان في الشعر العربي، وأبعادها الدلالية

أ- قصة نوح والطوفان في الشعر العربي القديم

تمثل الإشارات التاريخية حيزاً لافتاً في الشعر العربي، إذ وظف الشعراء الشخصيات التراثية التي مرّت عبر هذا التاريخ الطويل؛ لما تحمله من أبعاد تعبّر عن تجارب عاشها هؤلاء الشعراء، ورأوها مرآة تعكس واقع حياتهم التي يعيشونها؛ بسبب "وجود تشابه بين جزء من التراث والتجارب الشعرية

---

(١) القانوع، عبد اللطيف رجب: قضايا الأمة وعلاجها في القصص القرآني. رسالة ماجستير، إشراف: وليد العمودي. الجامعة الإسلامية، غزة، ص١٨٥

(٢) المجالي، حسن مطلب: أثر القصة في الشعر العربي الحديث.ص٣٦

(٣) الشعر، أنور: توظيف التراث في الشعر الفلسطيني المعاصر. مطبعة السفير، الأردن،٢٠١٣، ص٤٤

المعاصرة لهذا العنصر من التراث"[١]، وأفضى هذا الاستدعاء إلى مضاعفة يقظة المتلقي للدلالة الحاضرة المعززة بمواقف مستمدة من قصص القرآن الكريم.

شكّل الموروث الديني اختياراً مائزاً لدى الشعراء، فما زال معيناً لا ينضب، وبحراً زاخراً بعطائه لهم، فقد نهلوا منه القصص والشخصيات والأحداث التي أثرت على لغتهم، فمنحتها قداسة لم تكن معهودة لديهم، وقد انتشر هذا التأثر عند كثيرٍ من الشعراء، فأضحى "الأدب العالمي حافلاً بالكثير من الأعمال الأدبية العظيمة، التي محورها شخصية دينية، أو موضوع ديني، أو التي تأثرت بشكل أو بآخر بالتراث الديني". [٢]، فلم تكن حكراً في أشعار العرب، ولعل شيوع هذا الموروث أكثر من غيره عند الشعراء عائدٌ إلى مدى الصدق الذي يعتري أحداثه وشخوصه، وكونه المفتاح الذي يفتح لهم أبواب الماضي بمصداقية أكبر.

ومن بين تلك الموروثات الدينية، قصة الطوفان، التي تعد من أكثر القصص شيوعاً عند أصحاب الحضارات والأديان المختلفة، الذين أضاف بعضهم زياداتٍ جعلتها أسطورة مقدسة عند الشعوب وقد" أحصى الباحث والمؤلف النمساوي هانز بيلامي أكثر من ٥٠٠ أسطورة عن الطوفان في جميع أنحاء العالم، تنوعت بين حكايات دينية، وأساطير تاريخية، وتراث شعبي"[٣]. لتبقى هذه القصة حقيقة واضحة لا يمكن إنكارها بسبب خلود ذكرها في القرآن الكريم.

تعددت الروايات عند الشعوب حول قضية الطوفان، غير أن الهدف البارز فيها كان متمثلاً بالتطهير، "باعتبار أن الطوفان هو موت العالم القديم المتسخ الخاطئ، وعودته بعد الطوفان جديداً نظيفاً معافى"[٤]، وهو بذلك يوافق الرواية التوراتية التي نصت على أنه تنظيف للأرض من أجناسها أنجاسها وأدناسها، وإذا كانت كل الخلائق جميعها قد فسدت فسادا مطلقاً فقد وجد من بينها من اصطفاهم الرّب[٥].

---

(١) آسيا، تغليسية: تجليات استدعاء التراث في الشعر الجزائري المعاصر. جامعة بسكرة، الجزائر،٢٠١٤، ص٤

(٢) زايد، علي عشري: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر.ص٧٥

(٣) عزمي، أحمد: الطوفان: الحكاية التي يؤمن بها البشر من العرب إلى الأسكيمو. موقع الرصيف٢٢ ،٢٠١٦، تاريخ الأخذ: ٢٠-٦-٢٠١٨، https://raseef22.com/

(٤) الماجدي، خزعل: متون سومر. دار الأهلية للنشر، الأردن، ١٩٩٨، ص١٩٠

(٥) ينظر: كتاب التوراة، حققه: زكّار، سهيل. ط١، دار قتيبة، بيروت، ٢٠٠٧، ص١١٦-١١٨

وتعد رواية الطوفان السومرية" أقدم الملامح الأسطورية المدوّنة حول قضية الطوفان"[١]، إذ إنهم بعد انتهائه سكنوا بلاد ما بين النهرين، فبدأوا "ينسجون أفكاراً ومعتقدات وتخيّلات"[٢]؛ علهم يتوصلون إلى سبب الطوفان الذي كان حدثاً غريباً أدهش العقلية جمعاء، إبادة كاملة، يتبعها حياة وانتعاش، هذا كله ما وصل إليه العلماء من خلال بعض" ألواح محطمة كتب عليها أسطورة الطوفان"[٣].

أما الرواية الإسلامية فقد قضى الله من خلال ما جاء في كتابه الحكيم، إلى تنظيف الأرض وتطهيرها من الفساد والكفر والطغيان الذي انتشر فيها، استجابة لدعاء نبيه نوح عليه السلام ،﴿**وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا**﴾[٤].فهي من أصدق الروايات وأصحها وقوعاً، لذلك تتجلى لنا حقيقة هذه القصة في كتاب لا يضل فيه ربي ولا ينسى، إذ ذكر قصة نوح _في محكم آياته_ مع قومه، وعنادهم وعتوهم، وكيف أمر الله نوحاً ببناء الفلك، وتفاصيل حدوث الطوفان وانحساره بصورة تعبر عن قدرة الله وحكمته الخالدة.

كانت هذه القصة ببطلها العظيم نوح عليه السلام، قد استثارت الشعراء في توظيفها؛ كونها رمزاً للقيادة والانتصار، ورمزاً لنهاية الظلم والفساد، ومن شعراء العصر القديم الذين وظّفوا هذه القصة، وكان اعتمادهم فيها مأخوذاً من رواياتها التاريخية المتعددة والمختلفة، وموافقاً في بعضها لما ورد في كتاب الله ، الشاعر المخضرم أمية بن أبي الصلت.

تناول الشاعر أمية بن أبي الصلت[٥]قصة الطوفان مفصلةً، إذ عمل على استلهام أحداثها من الكتب الدينية المقدسة، آخذاً من بعض الأساطير التي سمعها من العرب، فنراه يتسلسل في عرض أحداث القصة، بدءاً بذكر السفينة التي كانت سبيلاً للنجاة، يقول[٦]:

جَـزى اللهُ الأَجَـلُّ الـمَـرءَ نـوحـاً جَـزاءَ الـبِـرِّ لَـيـسَ لَـهُ كِـذابُ

---

(١) مباركي، هشام محمد: قصة الطوفان بين الأسطورة والدين، دراسة وصفية تحليلية. الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٦،ص٤١

(٢) عبد الله، سناء: توظيف الموروث في شعر عدي بن زيد العبادي، وأمية بن الصلت الثقفي. إشراف: إحسان الديك. رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٤، ص١٤٣

(٣) الكلام، يوسف: تاريخ وعقائد الكتاب المقدس. دار صفحات للطباعة والنشر، سوريا،٢٠٠٩، ص١٧٧

(٤) نوح: ٢٦-٢٧

(٥) هو أمية بن أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف بن عقدة بن عزة بن عوف بن ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن أبو عثمان. يُعتبر من فحولة شعراء ثقيف والعرب في العصر الجاهلي، ولد في الطائف. له ترجمة في: خزانة الأدب للبغدادي:١٩٩/١؛ جمهرة الأنساب للأندلسي: ص٢٥٧؛ الأغاني للأصفهاني: ١٥/٤؛ الأعلام للزركلي: ٢٣/٢

(٦) ابن أبي الصلت، أمية : الديوان. جمعه وحققه: عبد الحفيظ السطلي. المطبعة التعاونية، دمشق،١٩٧٤،ص٣٣٦

بِمـا حَمَلَـت سَـــفينَتُـهُ وَأَنجَـت غَـداةَ أَتـاهُـمُ الـمَـوتُ الـقُـلابُ
وَفـيـهـا مِـن أَرومَـتِـهِ عِـيـالٌ لَـديـهِ لا الـظِـمـاءُ وَلا السِـــغـاب

ويذكر هذه السفينة في أبيات أخرى ، فيقول [1] :

والمُسْـبِحُ الخُشْـبَ، فوقَ الماءِ سَـخَّرَها فِـي الـيَـمِّ جَـرْيَـتُـهـا، كـأَنـهـا عُـوَمُ
تَـجري سَـــفينَـــةُ نَوحٍ فـي جَوانِبِـهِ بِـكـلِّ مَـوجٍ مَـعَ الأَرواحِ تَـقـتَـحِـمُ

تجسد السفينة المكان البطل في القصة العظيمة، وكل الروايات متفقة على أنها هي السبب في نجاة من اصطفاهم الله عز وجل من الغرق، وقد ذكر الكتاب الخالد أن بناءها كان أمراً من الله إذ قال: **﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ۙ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾**[2].

ينتقل الشاعر بأسلوب شائق إلى ذكر الطوفان العظيم الذي أُرسل بقوة كبيرة، وبمشهد حركي يقول[3] :

عَشِـــيَّـةَ أَرسَـــلَ الطوفـانَ تَجري وَفـاضَ الـمـاءُ لَـيـسَ لَـهُ جِـرابُ
عَـلـى أَمـواجِ أَخضَـــرَ ذي حَـبـيـكٍ كَـأَنَّ سُـــعـارَ زاخِـرَةِ الـهِضـــابُ

ونرى أن الشاعر هنا يذكر الرواية مع تتمة تلك الأبيات مفيداً من ميثولوجيا الشعوب قديماً، ويبدأ الشاعر ببيان كيفية تدفق المياه، فيقول[4] :

مـنجِ ذي الخَيرِ مِن سَـــفينـة نوحٍ يـومَ بـادَت لِـبـنـانَ مِـن أُخـراهـا
فـارَ تَـنـورَه وَجـاش بِـمـاء طَـمَّ فـوقَ الـجِـبـالِ حـتَّـى عَـلاهـا

يتفق قول الشاعر مع القرآن الكريم في أن الماء فار من التنور**﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾**[5]، إذ إن فوران الماء من هذه المنطقة لم يرد ذكره إلا في القرآن.

---

(١) ابن أبي الصلت، أمية: الديوان. ص٤٦٤-٤٦٥
(٢) المؤمنون: ٢٧
(٣) ابن أبي الصلت، أمية : الديوان.ص٣٣٦
(٤) المصدر السابق: ص٥٢٤
(٥) هود: ٤٠

ويذكر مفصلاً مهماً من جوانب قصة نوح، ألا وهو ابنه الذي عصى ورفض الإيمان به، فدعاه نوح إلى الركوب كي ينجو، فيقول[١] :

فلما استنارَ اللهَ تَنُّور أَرضِهِ ... فَفارَ وَكَانَ الماءُ في الأَرضِ ساحيا

دعا بابنه نوح ألا اركب فإنني ... دعوتك لما أقبل الماء طاغيا

فقالَ سَأرقى فَوقَ أَعيطِ حالقٍ ... فقالَ له لَستَ الغديّةَ ناجياً

وهذا توافق مع ما جاء به القرآن الكريم حين دعا نوح ابنه ليركب في السفينة، فأبى وقال بأنه سيصعد الجبل لينجو، كما يتجلى في قاله تعالى: ﴿**وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ**﴾[٢] . وهذه دلالة على ثقافة الشاعر واطلّاعه على القصص الدينية قبل الإسلام إذ لم يكن مسلماً، فكما ذكر ابن قتيبة أنه قد مات وهو كافر[٣]. غير أن الشاعر كان من الأحناف الذين يدينون بحنفية إبراهيم، الدين الواحد الذي لا يقوم على تعدد الآلهة، وينكرون عبادة الأصنام.[٤] والباحثة هنا مع أصحاب الرأي الأخير، نظراً للثقافة الدينية التي وجدتها في أشعاره.

ويحدد الشاعر مكان استواء السفينة بما يتوافق مع ما ذكره الله في كتابه ﴿**وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ**﴾[٥] على الرغم من تعدد الروايات حول مكان رسوّ السفينة، إذ تذكر الرواية المسيحية أنها رست على "قمة جبل أراراط"[٦]، فالشاعر ثقافته بهذه الجزئية مستمدة من القرآن الكريم، فيقول[٧]:

كان لها الجودِيُّ نهياً وغايةً ... وأصبحَ عنهُ موجه متَراخِيا

وفي بيت أخر يقول[٨] :

حَتَّى تسوت على الجودي رَاسيةً ... بِكُل مَا اسْتوْدعت كَأَنَّهَا أَطَم

---

(١) ابن أبي الصلت، أمية : الديوان.ص٥٣٠

(٢) هود: ٤٢-٤٣

(٣) ينظر: الدينوري، ابن قتيبة: الشعر والشعراء. دار الحديث، القاهرة.٢٠٠٢، ج١، ص٤٥٠

(٤) ينظر: حمودة: عبد الحميد حسين: تاريخ العرب قبل الإسلام. ط١، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٦، ص١٩٧

(٥) هود: ٤٤

(٦) سفر التكوين، الإصحاح٨

(٧) ابن أبي الصلت، أمية: الديوان.ص٥٣٠

(٨) المصدر السابق:ص٤٦٥

كما لا ينسى الشاعر ذكر جزء مهم من قصة نوح، وهي الحمامة، التي تحمل دلالات متعددة في شعرنا العربي، أهمها السلام، دون أن يشير الشاعر لدلالة الحمامة في قوله: [1]

وأرسلتِ الحمامةُ بعد سبعٍ تدلُّ على المهالك لا تَهابُ
تلمّس هل ترى في الأرضِ عيناً وغايته من الماء العُبابُ
فجاءت بعدما ركضت بقِطفٍ عليه الثَّأط والطين الكُبابُ

وهي قصة مشهورة مع نوح في الروايات القديمة، عندما أرسل الغراب ليتفقد اليابسة بعد توقف الطوفان، فلم يعد، لأنه انشغل بالأكل من جيفة، فأرسل الحمامة التي رجعت بغصن زيتون في فمها، فعرف نوح أن الماء قد غاص عن وجه الأرض، وأن الطوفان قد انتهى، ومن المرجح أن هذه الحادثة من أسباب التشاؤم من الغراب في الخطاب الثقافي العربي قديماً وحديثاً.

ولقصة الطوفان نصيب في شعر الأعشى[2]، في قوله[3]:

جزى الإله إيّاساً خَيْرَ نِعْمَته ما جزى المرء نوحا بعد ما شابا
في فلكه إذْ تَبدّاها لِيصْنَعها وظَلَّ يَجمعُ أَلواحًا وأَبوابا

غير أن دلالته تختلف في ورودها عن سابقه، فهو قد أوردها في سياق مدحه لإياس الطائي، الذي كان ملكاً وقائداً للعرب وقت ذاك. فيدعو أن يُجزى كل الجزاء لصنيعه مع العرب الذي شبهه بصنيع نوح عليه السلام.

وكذلك عدي بن زيد [4]، فقد ذكر قوم نوح في سياق تساؤلاته عن الأقوام الذين بادوا ، متسائلاً أين ذهبت قوتهم وبطشهم من بعد عزّهم: فيقول[5] :

أَينَ أَهلُ الدِيارِ مَن قَومِ نوحٍ ثُمَّ عادٍ مِن بَعدِهِم وَثَمودُ

---

(١) ابن أبي الصلت، أمية : الديوان. ص٣٣٦

(٢) هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، لقب بالأعشى لأنه كان ضعيف البصر، والأعشى في اللغة هو الذي لا يرى ليلا. له ترجمة في: خزانة الأدب للبغدادي: ١/٨٤-٨٦؛ جمهرة أشعار العرب للقرشي: ص٢٩؛ الأعلام للزركلي: ٣٢١/٧.

(٣) الأعشى، ميمون بن قيس: الديوان. ت: محمد حسين. مكتبة الآداب بالجماميز، مصر، د.ت، ص٣٦٥

(٤) عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ العِبَادِيُّ التَّمِيمِيُّ. كان شاعرًا نصرانيًا من أهل الحيرة، عاش في القرن السادس الميلادي وكان من دهاة الجاهلية، فصيحا، يحسن العربية والفارسية. له ترجمة في: خزانة الأدب للبغدادي: ١/١٨٠-١٨٦؛ جمهرة الأنساب للأندلسي: ص٢٠٣، الأغاني للأصفهاني: ٩٧/٢، الأعلام للزركلي: ٢٢١/٤

(٥) ابن زيد. عدي: الديوان. ت. محمد جبار المعيد. دار الجمهورية للنشر، مصر،١٩٦٥، ص١٢٢

بَينَمـا هُم عَلـى الأَسِـــرَّةِ وَالأَنمـا ط أَفضَـــت إِلـى الـتُـرابِ الـجُـلـودُ

جاء ذكر الطوفان في شعره في سياقٍ يعبر فيه عن حادثة شخصية، وهي "محنته القاسية بسجنه"[١]، وكان لهذه القصة نهاية محققة لظلم دام طويلاً، فالشاعر ذكرها مع قصص قوميْ عاد وثمود الذين أبيدوا إبادة كاملة؛ لأنهم طغوا وتجبروا، فلعله بكلامه يأمل أن تكون النهاية ذاتها لمن ظلموه.

يتضح لنا أن بعض شعراء العرب قديماً في ذكرهم لهذه القصة العظيمة لم تكن عند بعضهم إلا سرداً للأحداث التي سمعوا بها أو قرأوها، فيعكسون للقراء ثقافاتهم الواسعة، وسعة اطّلاعاتهم بتضمينها في أشعارهم كونها أحداثاً تاريخية معروفة، فيؤكدون للناس صحة هذه الحادثة؛ " لكي يضعوها كالقلادة في أعناقهم، وإذا ماتوا يورثونها لأبنائهم"[٢]، أو أنهم ذكروها للعبرة والعظة، ولبيان المصير الحتمي لمن يظلم ويتجبّر، فتكون عاقبتهم شبيهةً بنهاية الأقوام البائدة. وكذلك ذِكْرُها في سياق مدح ملك مبجّل بأفعاله في خلاص الناس وإنقاذهم من مصائبهم، وكل ما يلحق الضرر بهم، فيلقون عليه شخصية نوح المخلّص، فتتشابك الصورة وتتعالق لتكوّن أسطورة البطل الذي يرفض الظلم ويدعو للخير والصلاح. وتنوه الباحثة أنها قد اقتصرت على ذكر قصة الطوفان في الشعر القديم دون غيرها من القصص؛ لورودها عند الشعراء قديماً، وإيمانهم بأنها أسطورة كان لها الشهرة والصيت أكثر من غيرها.

ب-قصة نوح والطوفان في الشعر العربي الحديث

استمد الشعراء العرب من القرآن الكريم ما يعينهم على صعوبة الحياة، فوجدوا فيه ما يسري نفوسهم ويخفف همومهم، وخاصة في قصص الأنبياء، الذين عانوا مرارة الظلم، وقساوة النفي، وبشاعة الغربة، وبتأييد من الله الذي بقي معهم، ولم يخذلهم ليؤدوا غايتهم التي يسعوْن إلى تحقيقها، كل تلك القصص كانت تسرية لقلب نبينا الأعظم وما عاناه ولاقاه في سبيل نشر كلمة الله.

والشعراء كالأنبياء من باب الاقتداء، كانوا يحملون في أشعارهم رسائل يسعون إلى تحقيقها، على الرغم من كل القيود الشائكة التي كانت تحاول أن تصمّ أفواههم عن الحق، " فكلّ من النبي والشاعر الأصيل يحمل رسالة إلى أمته... وكل منهما يتحمل العنت والعذاب في سبيل رسالته"[٣]، لذلك كان لا بد لهم أن يستدعوا شخصية الأنبياء ليعبرّوا من خلال تجربتهم الشعرية عن قسوة حاضرهم، فلقد ضاقت بهم السبل، وتقطعت بهم الأوصال، ولم يجدوا إلّا الشعر لينفض عن صدورهم أزمات مروا بها

---

(١) عبد الله، سناء: توظيف الموروث في شعر عدي بن زيد العبادي، وأمية بن الصلت الثقفي.ص١٥٨

(٢) حسيب، عماد: البناء الدرامي في الشعر العربي القديم.ط١، دار شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١، ص١٦٦

(٣) زايد، علي عشري: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر.ص٧٧

من قمع وظلم وقتل وتشريد وانتهاك للحرمات، و"استطاعوا أن يفضحوا ويصرّحوا بما ارتكبته الأنظمة الحاكمة في العالم العربي"[١]، سواء أكان ذلك بالتعبير المباشر، أو بالامتصاص والتحوير والترميز بما يناسب موقفهم الشعري وغاياتهم وقوة تعبيرهم.

لاقت قصة الطوفان عند الشعراء العرب اهتماماً كبيراً وحضوراً لافتاً؛ لأنها رمزٌ لانتصار الحق وإبادة الظلم والجبروت، فنوح النبي_ بطل هذه القصة_ لم يستجب قومه لدعائه ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا**﴾[٢]، ومع استمرار دعوته دون نتيجة دعا الله أن يخلص هذه الأرض منهم؛ حتى لا يكونوا سبباً في إضلال الآخرين وغوايتهم،﴿**وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا**﴾ [٣] وكان الله نعم السميع والمجيب، أرسل عليهم طوفاناً دمر كل ظالم وطاغية وأهلك كل متجبر.

شكّلت قصة نوح بكل تفاصيلها عند الشاعر العربي رمزاً معيناً اعتمد عليه في تقوية الغاية التي يسمو لتحقيقها من خلال تجربته الشعرية، بدءاً من ظلم قوم نوح، مروراً بالسفينة التي كانت سبيل النجاة، ومن ثم رمزية ولده الذي أبى إلّا أن يبقى على ضلاله، وكذلك حمامة السلام رمز للبشارة والتفاؤل، تراوحت أركان هذه القصة عند الشعراء بين الكثرة والقلة، واختلفت من شاعر لآخر من حيث أسلوب توظيفها.

ج- الطوفان والمشهد السياسي العربي

يصور الشاعر المصري أحمد شوقي حال العرب وتفرقهم، ويذكرهم في مفارقة دلالية أجراها في قصيدة بعنوان (السفينة والحيوانات)، إذ يقارب بين الحيوانات في السفينة؛ لتنجو من الطوفان، وبني البشر(العرب)، وكذلك بين الطوفان عينه، فطوفان نوح اتّسم بالقوة و الغزارة، إذ وصف بأن " جميع الجبال قد غمرتها المياه وجاوزها الطوفان" [٤]، أما طوفان الشاعر فقد كان خفيفاً، فيقول[٥] :

لَـمّـا أَتَـمَّ نـوحٌ السَـــفـيـنَـه وَحَـرَّكَـتـهـا الـقُـدرَةُ الـمُـعـيـنَـه

---

(١) ندى، دينا ماجد: الأسطورة والموروث الشعبي في شعر وليد سيف. رسالة ماجستير، إشراف: نادر قاسم. جامعة النجاح الوطنية، نابلس،٢٠١٣، ص١٤

(٢) نوح: ٥-٦

(٣) نوح: ٢٦-٢٧

(٤) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن.ط١، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية،مج١، ٢٠٠١،ص١٨٥.

(٥) شوقي، أحمد: الأعمال الشعرية الكاملة.مج١، دار العودة،بيروت،١٩٨٨، ج٤، ص١٩٥

جَـرى بِـهـا مـا لا جَـرى بِـبـال فـمـا تَـعـالـى الـمَـوج جِـبـال
حَتّى مَشـى اللَيـثُ مَـعَ الحِمـار وَأَخَـذَ الـقِـطُّ بِـأَيـدي الـفـارِ

وعلى الرغم من ذلك، فإن هذا الطوفان (النكبات التي حلّت عليهم) أجبرتهم على أن يكونوا متحدين معاً، آملين أن تنطبق عليهم الحكمة الشهيرة (عند الشدائد تعرف المحن)، فقارب ذلك بقوله: مشى الليث مع الحمار وأخذ القط بأيدي الفأر... إلخ من الأمثلة التي ذكرها من أصناف الحيوانات التي يشير فيها إلى تقارب الأسياد من العبيد وقت المحن، غير أنه سرعان ما تبدلت الأحوال باستقرار السفينة على الجودي، فبانتهاء تلك المحنة التي وحدتهم، تعود الفرقة فيما بينهم، وتعود سلطة السيد ومذلة العبيد في قوله [1] :

حَتّى إذا حَطّوا بِسَـفـحِ الـجـودي وَأَيـقَـنـوا بِـعَـودَةِ الـوُجـودِ
عـادوا إلى مـا تَقتَضـيـهِ الشـيمَـه وَرَجَـعـوا لِـلـحـالَـةِ الـقَـديـمَـه
فَـقِـس عَـلـى ذَلِـكَ أَحـوالَ الـبَشَـر إِن شَـمِـلَ المَحـذورُ أَو عَمَّ الخَطَر

قارب الشاعر بين حال الأمة مع قصة نوح رمز نهاية الظلم وحلول السلام، فيذكر حال الأمة التي يتوجب عليها التعاون في ظل هيمنة الفرقة والنزاعات بينهم، آملاً منهم أن يبقوْا متحدين، وأن يكونوا يداً واحدة مهما كانت الظروف وتعددت الأحوال، غير أنه يبيّن أن طبيعتهم التي جبلوا عليها تتحول حينما يزول الخطر، فيعودون لنزاعهم وشقاقهم الذي كانوا عليه.

وفي مقابل التعبير عن الهم الذاتي نجد مجموعة من الشعراء العرب اتخذوا من قصة طوفان نوح ملاذاً لهم في التعبير عن الأوضاع الراهنة التي يعيشونها، إذ أهلكتهم قسوتها، فينتظرون طوفاناً ليطهرها من رجسها.

يعبر الشاعر العراقي وليد الصرّاف[2] بأسى عن المشاعر التي تملأ النفوس العراقية المتأججة جرّاء ما تعانيه من قسوة وظلم واضطهاد؛ بسبب الكره والفرقة والاقتتال، فهم جرّاء أفعالهم سيكون مصيرهم كتلك الأقوام السابقة التي تجبرت وعصت، فكانت نهايتها الإبادة، إذ يقول[3]:

وكأنّي رَأيت النَسائم

---

(١) شوقي، أحمد: الأعمال الشعرية الكاملة: ص١٩٥

(٢) وليد الصـراف، من مواليد الموصـل ١٩٦٤م. حاصـل على دكتوراه في جراحة الأنف والأذن والحنجرة. من دواوينه: ذاكرة الملك المخلوع. (مراسلة الكترونية).

(٣) صرّاف، وليد: ديوان ناي لقطيع أصم. دار الأستاذ للطباعة، الموصل، د.ت، ص١٨

تَكظم غَيظَ الرِياح التي أَهلَكت عَاد يوما

كأنّي سَمعت إلى دِجلة والفُرات يَقول

خَريرهما غَير ما يَضمُران

ففي كُل قَطرة مَاء حَنين لِطوفانِ نوح..

ولا فُلك من سَوف يَعصِمه جَبل

سوف تَأخذه صَيحة أو سَتدركه ريح.

يشير الشاعر إلى قوم عاد الذين بعث الله لهم ثمودَ؛ لدعوتهم إلى طريق الحق، فعتوا واستكبروا، لذا أرسل الله عليهم ريحاً دمرت كل شيء بأمر ربها، كما يستدعي قصة طوفان نوح ويسترسل في ذكرها من أجل إحداث توافق دلالي بين الطوفان وغايته المنشودة، وذلك عند سماعه حنين نهري دجلة والفرات لطوفان يطهر أرض العراق من الظالمين والمفسدين، هذا الطوفان يتمثل بالثورة العراقية التي ستعمل على إحداث تطهير كامل للفساد المنتشر، غير أن هذه الثورة يتمّ التخطيط لها، ما زالت خامدة لم تشتعل بعد، كما أنه يستدعي رمزية أخرى من قصة نوح تتمثل بابنه الذي رفض طاعة والده، ورفض الركوب في السفينة للنجاة من الطوفان، كي يعبّر عن أولئك المفسدين الذين لم يستطيعوا أن يجدوا مأوى يحتمون به إذا قامت الثورة، وإن لم تهلكهم ريح عاد، فإن طوفان نوح لهم بالمرصاد، فلا عاصم لهم اليوم منه.

وفي سياق الحديث عن ابن نوح في قصيدة (شباك)، يخاطب الشاعر وطنه بأسلوب حوّر فيه دلالة القصة ذاتها، إذ يقول[1]:

ما بَينَ مَهدٍ ولحدِ جئتَ تَسألني

أَن أركب البَحر أو أَن أرتقي الجَبلا

سفوحَه كل مَن مَاتوا لأَلقاكا

بعد تلك السنين الطوال التي عاشها الشاعر في كنف وطنه الأم، العراق، وعلى الرغم من المعاناة والاضطهاد والظلم المخيم فيها، يخيّره الوطن_ الذي هو رمز لنوح عليه السلام _ بالبقاء فيه وتحمل ذلك الظلم بالركوب في سفينة الوطن وتحمل المشاق التي سيلقاها، أو بالهجرة بعيداً عن العراق وآلامها، وذلك بالصعود إلى الجبل، فيلجأ لوطن آخر فيه الأمان، يحميه من جور وطنه الذي يلاحقه، لكن أنّى

(١) صرّاف، وليد: ديوان ناي لقطيع أصم: ص٥

لشاعر عراقي شرب من ماء دجلة والفرات أن يتخلى عن وطنه مهما كانت الظروف، فمصيره بالتالي سيكون الركوب في السفينة التي لا نجاة فيها ولا أمان، لتنعكس دلالة سفينة النوح التي كانت الملاذ الوحيد للنجاة من الطوفان.

ويخاطب الشاعر العراقي فاضل العزاوي[1] نوحاً على لسان قومه وشعبه، ومعبرًا عن استعداده لمواجهة كل طوفان يهدد العراقيين الذين تعرضوا لنكبات الاحتلال، فإنهم سيبقون صامدين، وسيعملون على إعادة بناء أمل جديد لنهضة لعراق، فالشعب العراقي لا ينسى من ضحوا بأرواحهم في سبيل نصرة الوطن، فيقول [2]:

اسمعْ يَا نوح!

لَقد شَيدنا دَائماً بأَذرعنا الهَزيلة

سدوداً عَالية جَديدة

ضِدَّ الطُوفاناتِ القَادمة

كلَما غَرقت سَفينة

بَنَى النَجارون سَفينة أُخرى

ذِكريات المُستقبل وَحدها هيَ الأَمل

أَنين الغرقى يسمع في كُل العُصور

مُعجزتنا هيَ أننا قَد ظَللنا على قَيدِ الحَياة.

ويشير الشاعر في خطابه لنوح أن الشعب العراقي سيبقى صادماً أمام كل الظروف التي تدبر المكائد من أجل الإحاطة بالعراق؛ لأنهم الشعب المعجزة في بقائهم صامدين على قيد الحياة.

---

(١) فاضـــل العزاوي: ولد في مدينة (كركوك) بالعراق عام ١٩٤٠، حصـــل على البكالوريوس في اللغة الإنجليزية، والدكتوراه من جامعة لايبزج بألمانيا. من أعماله: ســـلاما أيتها الموجة ... ســـلاما أيها البحر، والأســـفار. موقع http://www.adab.com

(٢) العزاوي، فاضل: الأعمال لشعرية. ط١، منشورات الجمل، بغداد، ج٢، ٢٠٠٧، ص٢٣٨

أما الشاعر المصري محمد العزب [١]، فيجري مقابلة بينه وبين صنيع نوح النبي في قصيدته تجديف، إذ يجدّف في مخاطبته بصيغة سؤال ليجري هذه المقابلة، جاعلاً من سفينة نوح الذي صنعها_ لخلاصه من ظلم قومه وتجبّرهم_ سفائن متعددة، وإذا كان نوح قد وضع فيها من كل زوجين اثنين من المخلوقات، فإن الشاعر في سفينته الخاصة التي يعمل جاهداً على بنائها قد حمل أيضاً من كل زوجين اثنين، فيقول[٢]:

ماذا حَملت في الماضي كل سَفائن نوح؟

مِن كل زَوجين اثنين؟!

أنا أيضاً أَحمل مِن كل زَوجين اثنين

الفرق.. سَفائنُ نُوح حَملت

خيلاً وجمالاً وزواحف تسعى ونمالاً حتى حميراً وبغالاً

لكني أحمل أنواعاً أخرى في سفني المجهودة

أحمل إعصاراً ونسائم...

غير أن حمولة الشاعر كانت من النوع الآخر، فهو يحمل إعصاراً ونسائم، إعصار الثورة على الأوجاع والآلام، وعلى ظلم المحتل الغاشم، ونسائم فجر متجدد، وأمل الحرية الآتية ضد أي طوفان يسعى لفناء الإنسان أو المساس بكرامته.

د- الطوفان والثورة

ينقل الشاعر المصري أمل دنقل لنا الواقع بأسلوب مميز من خلال قصة الطوفان، وذلك بسبب استدعائه لمحور هذه القصة، وقلب مكنونها الدلالي، فقد وظف شخصية نوح غير مرة؛ ليتمرد على واقعها، ويخالف المعنى القرآني على سبيل التمسك بالأرض(المكان)، فقد أطلق على القصيدة عنوان (مقابلة مع ابن نوح)، كأسلوب جديد يشدّ القرّاء لمعرفة تفاصيل هذه المقابلة، إذ إن ابن نوح خُتم على قلبه، وأضحى رمزاً للتمرد والعصيان، فتثار الأسئلة في ذهن القارئ من خلال عتبة النص؛ ليتوجه إلى المضمون الذي حقق له الصدمة والدهشة والغرابة، كيف لا! وهو يجعل من ابن نوح بطلاً وفارساً يدافع

---

(١) محمد العزب: ولد عام ١٩٣٢بمدينة المنصـــورة محافظة الدقهلية، حاصـــل على دكتوراه في الأدب والنقد. دواوينه الشعرية: أبعاد غائمة، مسافر في التاريخ. موقع: https://www.knooznet.com

(٢) العزب، محمد: الأعمال الشعرية الكاملة.ط١،د.ن، الرياض،١٩٩٥، ص٦٠٨

عن الحق، ويبغض الفساد، تلك الفئات الخبيثة من البشر، وفرّ هارباً خارج وطنه من ذلك الطوفان الذي بدأ بإغراق كل شيء ماثل أمامه، ليلبس القصة حلة دلالية جديدة تخالف ما عليه، وتحقق مراد الشاعر، مفيداً من تقنية القلب أو التحوير في التناص[١]. فيقول:[٢]

جاء طوفانُ نوحْ!

المدينةُ تغْرقُ شيئاً.. فشيئاً

تفرُّ العصافيرُ

والماءُ يعلو.

على دَرَجاتِ البيوتِ

جاءَ طوفانُ نوحْ.

هاهمُ "الحكماءُ" يفرّونَ نحوَ السَّفينهْ

المغنونَ- سائس خيل الأمير- المرابونَ- قاضى القضاةِ

(.. ومملوكُهُ!)

جاءَ طوفان نوحْ.

ها همُ الجُبناءُ يفرّون نحو السَّفينة

بينما كُنتُ..

كانَ شبابُ المدينةْ

يلجمونَ جوادَ المياه الجَمُوحْ

ينقلونَ المِياهَ على الكَتفين.

---

(١) هي أعلى مراحل التناص حيث يعمل الشاعر على تغيير النص المأخوذ، و يحدث عليه تغييراً عن طريق القلب أو التحوير إيمانا منه بعدم محدودية الإبداع ومحاولة لكسر الجمود الذي يغلف الأشكال والكتابة.
ينظر: كاك، عبد الفتاح داود: التناص. دراسة وصفية تحليلية، الجامعة الإسلامية، غزة،٢٠١٥، ص٤٠-٤٤

(٢) دنقل، أمل: الأعمال الكاملة. ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة،١٩٨٧، ص٣٩٣-٣٩٥

ويستبقونَ الزمنْ

***

يبتنونَ سُدود الحجارةِ

عَلَّهم يُنقذونَ مِهادَ الصِّبا والحضارة

علَّهم يُنقذونَ.. الوطنْ!

يقارب أمل دنقل بين مشهد الطوفان في القرآن الكريم ومشهد الطوفان السياسي الذي يُنذر بالتغيير المنشود، مجرياً تغيراً دلالياً ومحدثاً مفارقة واضحة، فسفينة نوح حملت من آمن به واتبع صدق دعوته، أولئك المطهرون الأخيار، الذين ركبوا فيها هرباً من الظلم والطغيان الذي سيدمره الطوفان؛ حتى يعيشوا بعدها في وطن يسوده السلام. أما سفينة الشاعر، فقد حملت كل أصحاب الفساد والمصالح، وعلى رأسهم الحكام؛ لتأخذهم إلى طريق النجاة كما يعتقدون، فبعد أن نهبوا خيرات البلاد، ها هم يتركونها، فارّين لا يستطيعون الدفاع عمّا يتعرض له وطنهم.

غيّر الشاعر في أحداث متنوعة ليصل إلى هدفه في وصف الوضع المعاصر لوطنه، ويأتي الشاعر على ذكر الجبل الذي اتخذه ابن نوح في القصة، فكان مصيره الغرق والهلاك، أما في القصيدة فإن الجبل الذي أوى إليه ابن نوح (الشعب) هو الذي سيكون سبيلاً للنجاة والانتصار، ومصير من ركب السفينة الغرق والموت.**(ونأوي الى جبلٍ لا يموت(يسمونَه الشَّعب!))**. [1]

ويستخدم الشاعر في قصيدة مغايرة رمزية قصة نوح في سياق الحديث عن دولة فلسطين المحتلة، إذ عدها طفلته التي خذلها العرب، ولم يقفوا معها في مواجهة الاحتلال الغاشم، فقد تركوها وحيدة تواجه الظلم المقيت في قوله [2] :

أَنَا تَرَكْتُ طِفلَتي تَجُوسُ فِي شَوارِعِ المَدينَة

تسأَلُكُم أن تَبْسِموا لَها، مُجرَّدُ ابتسام ..

لَكِن .. رَدَدتُم دُونَها نوافِذَ البُيوت

لَو كُنتُ رِيْحاً .. لاخْتَنَقتُم حينَ لا تَهُب!

---

(١) دنقل، أمل: الأعمال الكاملة. ص٣٩٦

(٢) المصدر السابق: ص٤٥

لو كُنتُ نُوحَاً فَوقَ لُجَّةِ الطَوَفان؛

طَرَدتُكُم مِنَ السَفِينَة!

أوصدوا الأبواب أمامها، وأبوْا تقديم العون لها، مما أثار غضب الشاعر الذي تمنى عذاباً لقومه بسبب فعلهم المشين، فإما أن يكون ريحاً عاصفة، أو يكون نوحاً فيطردهم من سفينته، ويجعلهم عرضة للطوفان.

هـ- الطوفان والحب

يوظف الشاعر الجزائري عبد الله الحمادي قصة الطوفان في سياق الحب والألفة، فيقول[1]:

أبثُّ في مِحرابِك سَيدتي

مِن نَوبَتي قَصيدَة البَلاء وَالفَناء

فَأنتِ وَالحَقيقة

حَماقَة غواية وَاستِواء

يَمنَحُها التَاريخ لآخر فُرسانِ هذا العَصر

لآخرِ سُلالة الطُوفان

لآخرِ الأقمار بِغابة النِسيان.

يخاطب الشاعر محبوبته ويقدسها، فيتجلى خشوع المحب لحبيبته، ويبث لها كلمات عذبة تخرج من قلب صادق، تعبر عن حاله التي يرثى لها، فحبه لها قد أفناه، وأصابه بالبلاء الذي لا دواء له، لتغدو محبوبته السبب القاسي الذي جعل الشاعر يرى أن كل هذا الحب وهماً لا وجود له، لذا يقرر أن يمنح هذه القصيدة بمشاعرها الجيّاشة لآخر شخص يستحقها، فتتعدد الخيارات أمامه، ليقرر أنه سيمنحها لآخر فارس في هذا العصر، ولآخر سلالة الطوفان، أو لآخر قمر يبزغ في غابة النسيان.

يستعين الشاعر بقصة طوفان نوح، معلناً أنه سيمنح قصيدته تلك لآخر سلالة فيه، غير أن الطوفان الذي عناه الشاعر هو طوفان الحب المدمر لتلك القلوب البريئة، فقد استدعى هذه القصة في

(١) الحمادي، عبد الله : ديوان أنطق عن الهوى.ط١، دار الألمعية، الجزائر،٢٠١١،ص٢٥

سياق التعبير عن المشاعر الجياشة والمخزونة في القلوب، مبيناً أن الحب طوفانٌ مدمر لكل قلب غامر بالمحبة والاطمئنان.

من خلال تلك الأمثلة للشعراء العرب الذين اتخذوا من قصة طوفان نوح أبعاداً دلالية تعددت مراميها، واختلفت توجهاتها وفق نظرتهم، وبحسب المواقف التي أسقطوها عليها، نرى أن بعضهم استخدمها كرمزٍ للتعبير عن نهاية الظلم والفساد، وتخليص المجتمع من العصاة المتجبرين، ليكون سبيلاً للتطهير والنجاة، والعيش بسلام، وقد استمدوا من قصة نوح رموزاً دلالية للتعبير عمّا يجري في الواقع، كابن نوح والسفينة والحمامة وغصن الزيتون. وبعضهم استخدمها في سياق شخصي يتمثل في الحاجة إلى الحب والوصال، ليعبروا من خلال شدة الطوفان عن شدة حبهم وولههم، وبيان قوة طوفان الحب المدمر لمشاعرهم وقلوبهم الولهة.

٢- قصة قابيل وهابيل في الشعر العربي، وأبعادها الدلالية.

تعد قصة قابيل وهابيل الصراع الأول بين فئة الحق والباطل، المتمثلة بقابيل الذي قام بقتل أخيه هابيل ظلماً وبهتاناً، فالحادثة "رمز الخطيئة الأولى التي مارسها الإنسان ضد أخيه الإنسان، ورمز الشر الذي لم يتوقف حتى الآن"[١]، وكان ذلك عندما طلب الله أن يقرّبا قرباناً، "فقرّب هابيل جذعة سمينة، وقرّب قابيل حزمة سنبل، فيها سنبلة عظيمة ففركها وأكلها، فنزلت النار فأكلت قربان هابيل، وتركت قربان قابيل" [٢]، من هنا اشتعلت نار الحقد والحسد في قلب قابيل ليحدث بعد ذلك ما لا يحمد عقباه إذ "لم يتقبل المرفوض النتيجة الربانية برضى وخضوع، بل واجهها بتمرد واحتجاج نتيجة البغي والعدوان"[٣]، فأعلن قابيل لأخيه نيته في قتله بصراحة، وكانت النتيجة الوخيمة بأن سفك دمه وأصبح من الخاسرين.

وقد نزلت هذه القصة في سورة قرآنية واحدة تذكر تفاصيل الحادثة في قول رب العزة : "﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّي أَخَافُ**

(١) الموسى، إبراهيم نمر: آفاق الرؤيا الشعرية.ص٩٤

(٢) ابن كثير، عماد الدين: تفسير القرآن العظيم . ت مصطفى السيد محمود وآخرون، ط١، مؤسسة قرطبة، السعودية، مج٥، ٢٠٠٠، ص١٦٤

(٣) فضل الله، محمد حسين : الحوار في القرآن، قواعده، أساليبه، معطياته.ص٣٣٢

اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [١]

شكلت هذه القصة بدلالاتها المتنوعة حضوراً لافتاً عند الشعراء، مع إحداث تغييرات دلالية؛ للتناسب مع مواقفهم ومساعيهم التي يرمون إليها، فكانت شخصية قابيل في أشعارهم رمزاً للقاتل الباطش، والظالم المتجبر، بينما غدت شخصية هابيل رمزاً للمغدور، المقتول ظلماً دونما ذنب، وكذلك كان الإجماع في الأدب" فهابيل رمز للضحية، وقابيل رمز للجريمة في التراث العالمي"[٢]، فتشكلت معادلة الصراع بين الحق والباطل، وبين الشر والخير، وبين القبول والرفض، لتغدوا ذات دلالات أثْرت التجربة الشعرية.

أ- (إسرائيل) منبع الفتنة والقتل

من شعراء العرب الذين استدعوْا هذه القصة بدلالاتها الغنية، الشاعر العراقي أحمد مطر، ليعبر من خلالها عن منبع الفتنة والفساد الذي حلّ بالأمة العربية، وانتهك حرماتها ومقدساتها، ألا وهو وجود (إسرائيل).

قارب الشاعر بين قصة قابيل الذي قتل أخاه، والكذبة الكبرى التي تُسمى إسرائيل في قصيدته الفتنة اللقيطة [٣]:

اثنانِ لا سِواكُما، والأرضُ مُلك لَكما

لَو سَار كُل منكما بِخطوه الطَوِيل

لما التقت خُطاكُما إلا خِلال جيل

فكيفَ ضَاقت بِكما فَكنتما القاتِل والقَتيل؟

قَابيل...يا قَابيل

لَو لَم يجئ ذِكركُما في مُحكم التَنزيل

لقلتُ :مُستحيل!

---

(١) المائدة: ٢٧-٣١

(٢) المجالي، حسن مطلب: أثر القصة في الشعر العربي الحديث.ص٤٢

(٣) مطر، أحمد: المجموعة الشعرية.ط١، دار الحرية، بيروت، ٢٠١١، ص٢٢٣

مَن زَرع الفِتنة ما بَينكما..

ولَم تَكن في الأرضِ إسرائيل؟!

يرى الشاعر أن (إسرائيل) هي سبب الفساد في الأرض، وهي فتيل الفتنة المتّقدة لكل مصيبة وجدت، ولو لم تتنزل قصتهما في القرآن لما صدّق بشر أن (إسرائيل) لا يد لها في حدوثها، وهنا مقاربة لافتة أحدثها الشاعر بين الشيطان الذي أفسد قابيل وحرّضه على قتل أخيه، وإسرائيل الطاغية والمفسدة، وكأنهما وجهان لبطش واحد، فالشاعر أبدع في إظهار طغيان إسرائيل وربطها بالشيطان.

ب-الفساد الأخلاقي وقصة قابيل وهابيل

يستدعي الشاعر العراقي بدر شاكر السياب قصة قابيل وهابيل في غير موضع في أشعاره، متخذاً من دلالتها رموزاً متعددة تناسب الموقف الذي استدعاها لأجله، واستهل قصيدته (المخبر)، التي جعل من عنوانها دلالة على الفئة التي أراد الشاعر التحدث عنها، من خلال ربطها بشخصية قابيل، فالمخبرون هم تلك الفئة التي تجردت من معاني الإنسانية، وأخذت على عاتقها مهنة التجسس والفساد لصالح العدو الغاشم ضد أهلهم، في قوله[1]:

فَليحقِدن عَلي كَالحِممِ المُستعرّة الأَنام

كَي لا يَكونوا إِخوة لي آنذاك ولا أَكون

وَريثَ قَابيل اللعين سَيسألون

عنِ القَتيل فلا أَقول

أَأنا المُوكل وَيلكم بِأخي فَإن المُخبرين

بِالآخرين موكّلون..!

أفسد الوشاة في الوطن وسفكوا الدماء، وأصبحوا بذلك كقابيل الذي خان أباه آدم، وخان الأمة إلى يوم الدين بقتل أخيه، فالشاعر يرفض أن يكون له أخوة، فيلحق الضرر بهم ويفعل ما فعل قابيل. وهو هنا يساوي بين قابيل القاتل والمخبر القاتل أيضاً.

ج- اللاجئ الفلسطيني في قصة قابيل وهابيل

---

(١) السياب، بدر شاكر: الأعمال الكاملة. دار العودة، بيروت، ١٩٧١،ص٣٤١-٣٤٢

في قصيدته (قافلة الضياع)، ضياع اللاجئين، وما يعانونه من ألم النزوح والتشرد والضياع والتشتت، يحمل الشاعر هموم الشعب الفلسطيني وقضيته، وخاصة اللاجئين وهم الفئة المظلومة التي عانت مرارة الحرمان، ولاقت من الأهوال ما يشيّب الولدان، فتعاطف الشاعر معهم؛ بسبب ظلم الاحتلال الإسرائيلي المجحف بحقهم، لذلك قام باستدعاء هابيل؛ ليعبر به عن اللاجئين الفلسطينيين (الفئة المظلومة)، وقابيل؛ ليرمز به إلى الصهاينة المتجبرين(الفئة الظالمة). فيقول[١] :

أرأيتَ قَافلة الضّياع ؟ أما رأيت النازحين

الحاملين عَلى الكَواهل من مجَاعاتِ السنين

آثام كلِ الخَاطئين

النَازفين بلا دِماء

السَائرين إلى وَراء

كي يَدفنوا هَابيل وهوَ على الصَّليب رُكام طين

قَابيل أَينَ أَخوكَ أَينَ أخوك

جمعت السَماء

آمادها لتصيح كورت النُجوم إلى نِداء

قابيل أينَ أَخوك

يرقدُ في خِيام اللاجئين

يتساءل الشاعر عن أحوال اللاجئين بمشاعر ملؤها الحزن والأسى، فلا يجد أمامه إلا قابيل ليسأله، محدثًا الصدمة في تبرئة نفسه من جريمة القتل، وتحوله إلى شخص مسالم يحضر الدواء لشعبه، فيصبح وكأنه "رمز للضمير العالمي الذي رفع عن ذاته ذمة قتل اللاجئين الفلسطينيين لإقامة وكالة الغوث الدولي"[٢]، وتبدو فظاعة فعلته أسوأ من القتل، فهو بعد أن كان السبب في النزوح والتشرد والحرمان، أصبح يقدم لهم ما يسد رمقهم، ولا يعلم أنه يقتلهم، "فقتل النفس ليس فقط بسفك الدماء، فهناك

(١) السياب، بدر شاكر: الأعمال الكاملة: ص٣٦٨

(٢) عتيق، مديحة: أسطورة قابيل في الأدب العربي. مجلة الناصّ، الجزائر، عدد١٢، ٢٠١٢، ص٧٦

القتل المعنوي، وذلك بمنع الحريات، واغتصاب الحقوق، ونشر الفساد، وتخويف الضعفاء ... إلى آخر الأعمال السيئة التي تضر بمصالح العباد والبلاد"[١]، فاحمل يا قابيل خطايا هؤلاء البشر إلى يوم الدين.

د- رمزية الغراب في قصة قابيل وهابيل

ويقف الشاعر على البعد الرمزي للغراب الذي أرسله الله؛ كي يعلم قابيل كيف يدفن أخاه، فيتنبه قابيل إلى الحكمة من إرسال الغراب و" يعترف بعجزه أمام هذا المخلوق الضعيف، ويتنبه إلى الجريمة التي ارتكبها، ولغرور النفس الذي سيطر عليه" [٢]فيقول[٣]:

مِن أي غَاب جَاء هذا اللّيل؟ مِن أيّ الكُهوف

مِن أيٍّ وجر للذِئاب؟

من أيّ عُش في المقابر دف أَسفع كالغراب[٤]؟

"قابيل" أخف دَم الجريمة بالأَزاهر والشُفوف

وبما تشاء من العطور أو ابتسامات النساء

يحدث الشاعر تحويراً في هذه القصة، وكان لا بد له أن يذكر قابيل في نصه، " لأن مفردة قابيل هي التي استجرّت هذا الفضاء الدموي" [٥]، فإيماءات هذه اللفظة تجر سيلاً من الدلالات التي لا يمكن للنص أن يظهر بدونها، فقابيل عنده هو الذي يقوم بدور الغراب، يعمل على إخفاء الجريمة التي ارتكبها، فيكون بذلك أكثر تمرداً من صورته التي جاءت في القرآن، فهو لم يندم هنا، بل هو" في مرحلة أعمق في الإجرام، حين لا يخاف جريمته أو يخاف أحدا"[٦]، فيعمل على إخفائها بالأزهار والشفوف، غير مبالٍ بأحد.

---

(١) أبو عصب، سامح عز الديم: وإذا الموءودة سئلت، بأي ذنب قتلت؟. جريدة القدس، العدد ٠١٥٤٠٣، ٢٠١٢، ص١٩

(٢) الشعراوي، محمد متولي: معجزة القرآن. دار أخبار اليوم، مصر، ٢٠٠٩، ج٧، ص٧٦

(٣) السياب، بدر شاكر: الأعمال الكاملة.ص٥١٠

(٤) الدف: ضَرَبَ جَنْبَيْهِ بِجَنَاحَيْهِ ،أسفع : أسود اللون إلى حمرة، ينظر: لسان العرب، مادتي دَفّ، سَفَعَ

(٥) شبانة، ناصر عمر: التناص في الشعر العماني. مجلة جامعة النجاح للعلوم الإنسانية، نابلس، مج٢١، ٢٠٠٧، ص١٠٨٩

(٦) الزواهرة، ظاهر: التناص في الشعر العربي المعاصر.ص٢٣٩

هـ- هابيل الفلسطيني والموقف العربي منه

أما الشاعرة العراقية نازك الملائكة، في قصديتها هابيل وقابيل، فإنها تأسف على آدم والد قابيل وهابيل، إذ شاءت الأقدار أن يكون أباً لقاتل ومقتول، فتقول[١] :

يَـا لِأحـزان آدم عِـنـدمـا أبـ صـر بـابـنـيـه قَـاتـلا وَقـتـيـلا

أيـهـا الـمُسـتـطـار لَـن تـردع الأقـ دار حـتَّـى إذا بِـكـيـت طَـويـلا

وتذكر هابيل" الذي أصبح رمزاً يواري به الشعراء أصواتهم، ليعلنوا عن مواقف معاصرة وتجارب حاضرة بقوة في الوعي"[٢]، فتنادي على تلك الضحية التي قتلت بلا ذنب، وتستنكر السكوت على هذه الأفعال، فتقول: [٣]

أو لَم تَسـمع الحُقول صَـدى صَـر خـة هَـابـيـل حِـيـن خـرّ قـتـيـل؟!

أو لَم يَشـهـد القَطيع على الجـا نـي أَلـم يـبصـر الـدَم الـمَطـلـول؟!

أينَ هَـابـيـل؟ أينَ وَقع خطى أغـ نـامـه فـي الـحُـقـولِ والـوديـان؟

إنـهـا لـعـنـة تـظـلّ عـلـى الـعـا لـم مسـدولـة الـدجـى مـكـفـهـرّه

تجعل (هابيل) إشارة لفلسطين التي يُقتل أبناؤها كل يوم، والعالم يقف منها موقف الميت بلا حراك، لترى أن هذا لن يستمر طويلاً وأنه ستصيبهم لعنة من السماء؛ لينالوا الأسى الذي تلقاه الشعوب المضطهدة لأنها كما قالت: لعنة تظلّ على العالم مسدولة الدجى مكفهرّة.

هذه بعض نماذج من أشعار العرب الذين اتخذوا من قصة قابيل وهابيل رمزاً يتمثل فيه قابيل بالفئة الباغية، ورمزاً للاحتلال الغاشم الذي يسفك الدماء البريئة، وهابيل رمزاً للفئة المظلومة، ورمزاً لكل إنسان مشرد وضعيف، مع إحداث تغيير يتوافق مع ما يرمي إليه الشاعر.

---

(١) الملائكة، نازك: الديوان. دار العودة، بيروت، ١٩٩٧، ص٤٢

(٢) المجالي، حسن مطلب: أثر القصة في الشعر العربي الحديث.ص٤٣

(٣) الملائكة، نازك: الديوان. ص ٤٠-٤١

٣- قصة طير الأبابيل في الشعر العربي، وأبعادها الدلالية

تبين قصة أصحاب الفيل[١] قدرة الله في حماية بيته الحرام في سورة توثق حدثها العظيم بإيجاز بليغ، فليس المهم التفاصيل بقدر أهمية النتيجة المشهودة، التي أنهت الظلم وأهله، وردت كيد من أراد استباحة البيت العتيق.

وجد الشعراء في هذه القصة وسيلة للتعبير عن مشاعرهم تجاه الحاكم الظالم المتمثل بأبرهة، وبيان عتوّه وجبروته، وكذلك العاقبة الوخيمة التي يستحقها من يستبيح ديار الآخرين، فكان أبرهة رمزاً للظالم المتجبر، والطيور رمزاً للخلاص والانتصار.

أ- دلالة بيروت الجريحة في قصة طير الأبابيل

يعبر الشاعر السوري ممدوح عدوان عن الظلم المخيّم في أجواء بيروت، وعن حزنه الشديد، وكظم غيظه جرّاء سكوت الدول الأخرى عما يجري فيها من أهوال، فأفضى به ذلك إلى التناص مع قصة أصحاب الفيل، فيقول [٢]:

ما مِن عَظيم أَتّقيه وقَد عَبرت النَّار في بَيروت

أنا لَستُ غَيمَا للرشيد

يجيئهُ مِني الخَراج إذا نَفيت

وإنني الطّير الأَبابيل

التي تَأتي بِحقد صَارخ

إني أُطارِد قَاتلي

---

(١) مختصر القصة _لأنها أشهر من نار على علم_ كان أبرهة الحبشي قد بنى كنيسة علّه يصرف بها العرب عن ذهابهم للكعبة، غير أن آماله باءت بالفشل، فالعرب متشبثون بهذا البيت العظيم ويعتزون به، عندها قرر الحبشي أن يتوجه بجيش عرّام على الفيلة؛ ليهدم بيت الله، غير أن الله خيّب آمالهم، وأفشل سعيهم الظالم والفاسد، ورد كيدهم في نحورهم، إذ أقبلت غمامة سوداء من بعيد، فلما اقتربت فإذا هي طير الأبابيل، التي جعلتهم بقدرة الله كالورق اليابس، فصاروا عبرة لمن يعتبر. **ينظر: رضا، محمد: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.دار الكتب العلمية، مصر،.د.ت، ص١٨**

(٢) عدوان، ممدوح: ديوان أقبل الزمن المستحيل. دار العودة، بيروت، ١٩٨٢، ص٤٨

يشير الشاعر إلى طيور الأبابيل التي ستخلص بيروت ممن يستبيح حماها، كما خلصت بيت الحرام من شر أبرهة وجيشه، وهذا تعالق دلالي يعبّر عن إرادة الشاعر الصارمة، الرافضة للذل والسكوت والهوان.

ب-انكسار الأمة وانتصارها في قصة طير الأبابيل

يروي الشاعر بدر شاكر السياب حال الأمة المهزومة، التي باتت كالأموات، فرضوْا بحياة الذل والهوان، فيقول [١]:

عَلى كسر مُبعثرة

من الآجرّ والفخّار

فيا قبر الإله على النّهار

ظل لألف حربة وَفيل

ولَون أَبرهة وما عكسته منه يَد الدَليل

والكَعبة المَحزونة المشوّهة

يستحضر قصة أبرهة وأحداثها وأبعادها الرمزية، فيشحذ الهمة في النفوس، إذ يأمل تأييداً من الله ونصراً لتلك الأمة، كما أيّد عرب قريش من قبل، فالتدبير الرباني هو الذي تصدى لأبرهة وجيشه، فيشحذ الشاعر همم أمته، ويدعوهم لأخذ الثأر، وقطع دابر كل ظالم، فيقول[٢] :

يَا هَذا الدَم البَاقي على الأَجيال

يا إِرث الجَماهير

تشظّ الآن واسحَق هَذه الأَغلال

وكالزلزال

هزّ النير أو فاسحَقه واسحَقنا مع النير

---

(١) السياب، بدر شاكر: الأعمال الكاملة. ص ٣٩٤-٣٩٥

(٢) المصدر السابق: ص ٣٩٦

ج- دلالة محنة العراق في قصة طير الأبابيل

يستدعي الشاعر وليد صرّاف قصة أصحاب الفيل؛ ليبين حال العراق، وحال تلك الأمة النائمة، إذ "يلمح في أبياته إلى قرينة شارحة تدل على مقصوده، وهو هدم حضارة العراق" [١]، فيقول في شعره[٢]:

رَأيتُ إلى وَجه أَبرهة قَادِما

والذين يَؤمّونكم في الصَلاة الدَّليل

رَأيت إلى الفِيل يَمشي

إليكم ومَا من طيورٍ أَبابيل

مَا مِن حَجارة سِجيل

للنَخلِ رَب ولكنه ليس يَحميه إنْ نام حَاميه

يرى الشاعر في الحكام الفاسدين الذين يحكمون العراق، صورة مطابقة لأبرهة، فهو قد رآه فيهم، وفي أفعالهم وحكمهم الظالم، ويعرب بأسى وانكسار، عن أسفه لعدم وجود طيور أبابيل تدافع عن حضارته ووطنه الأصيل، وذلك بسبب تخاذلهم وعدم اتحادهم، فهم نائمون، ويستحضر مقولة عبد المطلب عندما تحدث مع أبرهة بخصوص إبله، بعد أن ظن أبرهة أنه قادم ليدافع عن بيت الله الحرام ويرده عنه، فيرد أبرهة قائلاً: " كنت قد أعجبتني حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مئتي بعير أصبتها لك، فقال له عبد المطلب مقولته الشهيرة، : أما الإبل فأنا ربها، وأما البيت فله رب يحميه"[٣] . فالشاعر استدعى تلك المقولة ليبين أن للعراق رباً يحميه.

ويستمر التحسّر على وضع أمته المخجل، فالشاعر أحمد مطر يستدعي القصة؛ تعبيراً عن حال أمته التي تعيش في ذل وعار جرّاء تخاذلهم، فهم لا يتحركون، فيقول[٤]:

الذلُّ بساحتِنا يسعى

---

(١) العبيدي، جاسم: التناص الأدبي والديني في شعر وليد صرّاف. رسالة ماجستير. إشراف: بسام قطوس. جامعة الشرق الأوسط، العراق، ٢٠١٦، ص١٠٣

(٢) صرّاف، وليد: ديوان ناي لقطيع أصم.ص١٨

(٣) ابن هشام، أبو محمد: السيرة النبوية. خرجه: فؤاد بن علي حافظ. دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٧١، ج١، ص٣٧

(٤) مطر، أحمد: المجموعة الشعرية.ص٣٥

فلماذا نرفضُ أن نَحْبو؟

ولماذا نُدْخِلُ " أبرهةً " في كَعْبَتِنا

ونُؤَذِّنُ: للكعبةِ رَبّ؟

فالحبو، كناية عن عدم حراكهم وعدم سعيهم في الدفاع عن وطنهم المسلوب، لذلك كانوا هم السبب في هيمنة العدو وسيطرته وتجبره المتمثل بأبرهة وأفعاله، ويبيّن أن للكعبة رباً، وقد نصر الله أهل قريش وحمى لهم البيت من بطش أبرهة، لقوة إيمانهم وعزة اتحادهم، أما حكام العرب، فإن الله لا ينصر أمة نائمة ومتخاذلة تُنهب خيرات بلادها وتسبى محارمها.

شكلت دلالات هذه القصة صورة لحكومة ظالمة، يقودها أبرهة هذا العصر، وصورة أمة كانت كطيور الأبابيل، تملؤها العزة والنخوة، فتضرب أعداءها وتنتصر عليهم، أو أمة متخاذلة لا طير يدافع عنها ويحمي حماها، فلا ناصر لها من بعد الله.

٤- قصة إبراهيم عليه السلام في الشعر العربي، وأبعادها الدلالية

يجسد سيدنا إبراهيم عليه السلام المكانة العظيمة بين الأنبياء، فهو الإمام والشيخ والأب، أبو الأنبياء، وأبونا جميعاً، ﴿**مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ**﴾[1]، فما أعظم ما سمّانا، وما أسمى ذلك من شرف.

من قصص إبراهيم النبي التي كان لها الأثر في النفوس، قصته مع ابنه إسماعيل عليه السلام، وأمر الله الواجب تنفيذه، المتمثل بذبحه عليه السلام، إنها من أعظم الأحداث التي يتصورها العقل البشري، بل إنها من أصعب الأمور التي قد يتقبلها، فبعد صبر طويل، ولِد له إسماعيل، كان يحبه حباً عميقاً، فكان الولد البار له، وكان "رفيقاً له في مهماته في الرسالة ، وفي ابتهالاته الروحية، وكان رفيقاً له في حياته العامة، كابن بار يرافق أباه ويعاونه في أمور الحياة" [2]، غير أن الأنبياء أكثر عرضة للبلاء، إذ أوحى الله له في منامه أن يذبحه، ورؤى الأنبياء حق، ما أصعب ذلك الموقف، وما أشد وقعه على نفس إبراهيم المأمور بتحقيق أمر الله، وعلى ابنه إسماعيل الذي كان نعم الابن البار، لم يتردد ولم يتوانَ بل سلم نفسه لقضاء الله.

---

(١) الحج: ٧٨

(٢) فضل الله، محمد حسين: الحوار في القرآن، قواعده، أساليبه، معطياته.ص٢٦٥

هنا كانت المعجزة وكان الجزاء، فبعد أن رضي بأمر الله، أنزل الله له في لحظة تحقيق الرؤية كبشاً عظيماً، كان الفداء والنصر والخلاص لإسماعيل ووالده، فسجلت تلك القصة أروع مواقف البطولة، وأضحت رمزاً للشجاعة والإرادة، فاستخدمها الشعراء وضمنوها قصائدهم، مع إحداث التغيير؛ لتكون معبرة عن واقعهم.

أ- قصة إبراهيم وتبعية السياسة العربية

يمتص أحمد مطر قصة إبراهيم وابنه عليهما السلام في مفارقة دلالية، أضفت على القصة تغيّراً جذرياً قُلبت فيه الوقائع والأحداث، وغيرت الشخوص، فإبراهيم أصبح اليوم رمزاً للحكام العرب، والرب بات متمثلا في سلطته بأمريكا المستبدة، والشعب العربي إسماعيل النبي الذي يؤمر بذبحه دون تردد، فيقول[1]:

يَا مَولانا إبراهيم

أغمد سِكينكَ لِلمقبَض

واقبِض أَجرك مِن أَصحابِ الفِيل

لا تَأخذكَ الرَأفة فيه بدين البيتِ الأبيض

نفذْ رُؤياك ولا تَجنح للتَأويل لَن يَنزل كَبش، لا تَأمل بالتبديل.

يا مَولانا ان لم تَذبحه نذبحك

فهذا زمن آخر

يفدى فيه الكبش بإسماعيل!

انعكس التغير الدلالي على أرجاء القصة؛ ليعبر عن الظلم الذي يعيشه الشعب العربي بسبب سياسة حكامهم، الذين يأخذون أوامرهم من أمريكا(البيت الأبيض)، فيقتلون شعوبهم بلا رحمة، والحاكم العربي المتمثل بإبراهيم يعمل بأمر أمريكا(سلطة الله) على ذبح الشعوب (إسماعيل) دون أي ذنب. ويتحول الامتصاص إلى اجترار حينما يحيلنا قول الشاعر (لا تأخذك الرأفة فيه بدين البيت الأبيض) إلى قوله تعالى ﴿**وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ**﴾ [2]

(١) مطر، أحمد: المجموعة الشعرية.ص٢٣

(٢) النور: ٢

ويتسلسل الشاعر فاضل عزاوي في عرض قصة حرق إبراهيم عليه السلام الشهيرة، في عرض أحداثها بأسلوب يعبر عن شعبه في ظل سلطة حاكمة بالظلم والبطش والعدوان، إذ استدعى قصة إبراهيم النبي التي عبرت عن الفكر المنتصر والعقل المدبر، فقد قام بغفلة من زعماء قومه بتكسير الأصنام، وعندما رأوا ذلك الفعل عرفوا أن إبراهيم من فعل ذلك، لأنه كان الرافض الساخر منها، وفي المحاكمة التي أجروها لإبراهيم، أمروا أن يعاقب بإلقائه في حفرة كبيرة من النار، ليكون عبرة لغيره، غير أن إرادة الله أقوى من كل شيء، كانت تلك النار برداً وسلاماً عليه، فالشاعر يقول في قصيدته المعنونة باسم إبراهيم في حديقة نار[1]:

حرُاسُ المَعبد سَكروا والكَهنة ناموا،

رَئيس الآلهة قَرفص عَلى الدَكة

مُنتظراً وُصولي، لأُسلمه المعول الذي سَيهدم به كُل آلةٍ صَغيرة

لَم يَعد ثَمة نفع في أَحد فَلتسقط الآلَه.

كَانَ يُمكنِ لِلأمرِ أَن يَمر بِسلام، لَولا هينون،

عَينُ الشيطانِ الذي اعترَفَ عَلي أَمام نَمرود صَباحا،

فَأشار بِحرقي في النَار،

سَمعت النِداء آتياً من آخر الكَون،

يا نَار كُوني بَرداً وَسَلاماً عَلى إبراهيم،

فَتنفست الصَعداء وَاثقاً من نَجاتي.

فحراس المعبد الكهنة في القصيدة هم الحكام الغافلون، الذين يحكمون شعوبهم بالحديد والنار، وهم في غفلة وسكر، يأخذون أوامرهم من حاكمهم الظالم أمريكا المتمثل بنمرود هذا العصر، فالشاعر يعبر عن العذاب والحرمان والنفي متخذاً من قصة إبراهيم قناعاً؛ ليؤكد أن ذلك العذاب الملقى عليه سيكون برداً وسلاماً، لذلك يتنفس الأمل بفرج قادم، وهو واثق من أن النجاة والانتصار قادمان لا محال.

(١) العزاوي، فاضل: الأعمال لشعرية.ص٢١٧

ب- محبة محمد صلى الله عليه وسلم في قصة إبراهيم

يأخذ الشاعر محمد جربوعة [١] من قصة إبراهيم بعداً دلاليا بعيداً عن أمور الحكم والحكام، إذ يعبر من خلاله عن حبه للنبي المصطفى ﷺ ، فيقول[٢] :

لا الحِقـدُ يَجعلـه أَقـل وَســـامَـة ولا الظُلم والطغيـان لا لُغـة الجَســـد

يـا نـارُ كوني كَيف شِـــئـت فـإنــه مَاء سَـــيمكث بَعد أن يَمضـــي الزبد

يتحدى الشاعر النار التي كانت برداً وسلاماً على إبراهيم، ويتحداها بأن تكون كمان شاءت، فكل عذاباتها وآلامها تهون من أجل محبة سيد هذا الكون، وكشف هذا التغيير الدلالي عن مدى صدق مشاعره تجاه النبي محمد ﷺ.

يظهر الشعراء في هذه القصة انعكاسًا لنواميس الطبيعة في أشعارهم، وتغييرا في الأقدار التي حصلت مع إبراهيم، فلا كبش فداء، ولا نار تحرق، ولا خوف واضطراب من العذاب، فاستدعوْا تلك الدلالات بمفارقاتها وما يتناسب مع واقعهم للتعبير عنه.

٥- قصة موسى عليه السلام في الشعر العربي، وأبعادها الدلالية

شكلت قصة موسى عليه السلام في الشعر العربي المعاصر رافداً دلالياً ورمزياً ، إذ وجد الشعراء في تفاصيل قصة حياته ما أعانهم على وصف الظلم الذي يعيشونه، فموسى عليه السلام منذ طفولته لاقى الأسى بسبب ظلم فرعون الذي أمر بقتل كل طفل ذكر يولد، فقد طغى وتجبر، وعانى موسى الهجران بعيداً عن حضن أمه، وتستمر رحلة معاناة جديدة في مواجهة فرعون عندما شب موسى وكبر، وبتأييد من الله ومعجزاته تمكن من مجابهة الظلم ومقاومته وصولاً للانتصار على فرعون وحاشيته، لذلك استدعى الشعراء قصته حتى تكون عوناً على الجور والظلم.

---

(١) محمد جربوعة: من مواليد ١٩٦٧ بالجزائر. من أعماله الشعرية: قدر حبه. من موقع: https://ar.wikipedia.org

(٢) جربوعة، محمد: ديوان قدر حبه. ط١، البدر الساطع للنشر، الجزائر، ٢٠١٤، ص٤٣

أ- محنة موسى والهجرة من الوطن

استدعى الشاعر اللبناني خليل مطران، شاعر القطرين، قصة موسى والظلم الذي لحق به منذ صغره، ليربطها بمعاناته وبعده عن وطنه، بسبب سياسة الحكم العثماني الذي كان سبباً في هجرته، فيقول[١]:

وكُنَّا كَمُوسَى يَوْمَ أَمْسَى وَفُلْكُهُ ... عَلَى النِّيلِ عُشْبٌ يَابِسٌ وَرَطِيبُ

مَشَتْ فَوقَ تَيَّارِ البَوَارِ تَخَطُّراً ... تَرَاءَى بِصَافِي المَاءِ وَهْوَ مَرِيبُ

فَجَازتْ بِهِ الأَخْطَارَ وَالطِّفْلُ نَائِمٌ ... تُرَاعِي سُرَاهَا شَمْأَلٌ وَجَنُوبُ

إلىَ حَيثُ يُنْجَى مِن مَخَالِبِ حَتْفِهِ ... غَرِيقٌ وَيُوقَى الظَّالِمِينَ غَرِيبُ

يستدعي الشاعر قصة موسى عليه السلام يوم ألقي في اليمّ وهو لا يزال رضيعاً، ويبين خطر هذا الموقف الذي لولا عناية الرحمن لغرق كما يتجلى في قوله تعالى : ﴿**إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (٣٨) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي**﴾[٢].

يقارب الشاعر بين محنة النبي موسى مع فرعون ومحنته مع سياسة الحكم العثماني في لبنان؛ فموسى ألقي في اليمّ، وابتعد عن أمه ليتفادى ظلم فرعون وجنوده، وكذلك الشاعر مطران، الذي هاجر إلى باريس التي كانت "وجهة المضطهدين، ومقصد الأحرار المهاجرين الذين طاردهم الاستبداد، وفروا من أوج الطغيان"[٣].

ب-التحوير الدلالي في قصة موسى

اتخذ الشاعر أحمد مطر قصة موسى فضاءً ليعبر عن واقع أمته التي تغيّر وتبدل، وقد قام بعكس الدلالات في قصة موسى لتناسب الموقف الذي يريد أن يعبر عنه، فيقول[٤]:

صَبغت رَاية فِرعون

وَموسى فلق البَحر بِأشلاء العِيال

ولَدى فِرعون قَد حط الرِحال

---

(١) مطران، خليل: ديوان الخليل. مطبعة المعارف، مصر، ١٩٠٨، ج٢، ص٢٧٦

(٢) طه: ٣٨-٣٩

(٣) الطناحي، طاهر أحمد: حياة مطران. الجمعية التعاونية للنشر. د.م، ١٩٧٣، ص٥٨

(٤) مطر، أحمد: المجموعة الشعرية.ص٧٦

ثُمَ أَلقى الآيةَ الكُبرى

يَداً بيضاء.. من ذُلِّ السؤالْ!

أفلحَ السِحر

فها نَحنُ بِيافا نَزرع "القات"

ومن صَنعاء نَجني البُرتقال!

أحدث الشاعر انحرافاً دلالياً في قصة موسى، فهو لم يعد نبياً في نصه، فقد أضحى رمزاً لبني إسرائيل الذي يرى الاحتلال الصهيوني أنه منهم ومن أحفاد النبي موسى عليه السلام، ومعجزة سيدنا موسى في شق البحر لم تعد تلك المعجزة الربانية للنجاة، بل أصبحت سياسةً للقتل عند المحتل الإسرائيلي، وعند كل ظالم متجبّر رمز له الشاعر بفرعون رمز البطش والطغاة.

ويرد الانحراف الدلالي عند الشاعر السوري نزار قباني يأتي بدلالة جديدة مغايرة لقصة النبي موسى، إذ يجعل منه رمزاً لليهود بأسلحتهم القوية، فيقول[1] :

لأنَّ موسى قُطّعتْ يداهْ..

ولم يعُدْ يتقنُ فنَّ السحرْ..

لأنَّ موسى كُسرتْ عصاهْ

ولم يعُدْ بوسعهِ شقَّ مياهِ البحرْ

لأنكمْ لستمْ كأمريكا.. ولسنا كالهنودِ الحمرْ

فسوفَ تهلكونَ عن آخركمْ

فوقَ صحاري مصرْ...

فمعجزة موسى الخارقة المتمثلة بالعصا وشق مياه البحر، قد أُبطلت، وكذلك اليهود، فيشير الشاعر إلى تبدل الأحوال، فاليهود مهما حملوا من أسلحة متطورة وخارقة فإنها لن تبقى، وكذلك العرب، لن يبقوا على حالهم، كما يجري الشاعر مقاربة بين سياسة أمريكا الظالمة التي عملت على اجتثاث حضارة الهنود الحمر أصحاب الأرض الحقيقيين، وعملت على طمسها، وقيام دولة على

(١) قباني، نزار توفيق: الأعمال السياسية الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت، د.ت، ج٣، ص١٧٠

أنقاضها، وبين ما يقوم به المحتل الصهيوني في محاولته لطمس هوية الشعب الفلسطيني، لقيام دولتهم الزائفة على أنقاض هويتنا وعروبتنا، كما حدث مع الهنود الحمر، غير أن ذلك بعيداً عن مراميهم ومساعيهم التي يرمون إليها، فالشاعر يزرع الأمل في النفوس، موقناً أن نهاية إسرائيل باتت قريبة.

ج- التحريض على الثورة في قصة موسى

يصرخ الشاعر أحمد شوقي من أعماقه ليعبر عن رفضه لحالة السكوت، فيستدعي قصة موسى وبطولته في ردع ظلم فرعون، بعصاه الشهيرة، يقول[1] :

أَعلِمتم بعدَ مُوسى مِنْ يَدٍ قذفتْ في وجه فرعونَ عَصاها

وطئتْ نادبةً صارخة شاهَ وجهُ الرّقِّ يا قَوم وشاها

يستنكر الشاعر وضع أمته الراهن، والمثقل بالذل والهوان، فيطلق صرخاته المدوية مستذكراً بطولة موسى في مواجهة عدوه، ويستنهض شعبه ويحرضهم على القيام من أجل تحقيق الانتصار، والثورة على كل ظالم جبّار.

٦- قصة الإسراء والمعراج في الشعر الحديث، وأبعادها الدلالية

من أعظم معجزات النبي ﷺ، الإسراء والمعراج، إذ أراد الله تعالى أن يخفف عنه حالة الحزن التي كان فيها بعد وفاة زوجه خديجة رضي الله عنها وعمه أبي طالب، فانطلق على البراق برحلة؛ ليرى عجائب قدرة الله، لتكون رحلته أرضية من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في فلسطين، ورحلة سماوية من المسجد الأقصى إلى السماوات العلا، فكانت أكبر تكريم وتعظيم له، وأصبحت فلسطين التي حظيت بذلك الشرف، من أكثر الدول قداسة، وبسبب ذلك تعددت الألقاب عند ذكرها بما يتناسب مع الحادثة، فأضحت أرض المعراج والإسراء.

أ- استنهاض العزيمة والدعوة للثورة في قصة الإسراء والمعراج

يستنهض الشاعر خليل حاوي عزيمة العرب في ذكره لأحوال العرب وما وصلوا إليه من ضعف وهوان، وقبول للذل المهيمن عليهم بسبب سكوتهم المشين عمّا يجري من أحداث في فلسطين وبيت

(١) شوقي، أحمد: الأعمال الشعرية الكاملة.مج٢، ج٣، ص١٧٨

المقدس فيها، فيذكرهم بقصة الإسراء والمعراج، رامزاً لها بـ (معراج النجوم)، ليستنهض هممهم، فيتذكرون فضل تلك المدينة المقدسة التي هم عنها نائمون، فيقول:[1]

مَا لِبيتِ المَقدسِ بيت الله

مِعراجُ النُجوم

مَا لَه لَم يَحمه سَيف مَلاك

يَمطي الرّيح وأَبراج النّجوم

يَضرب الكُفار، أَبناء الأَفاعي

من سدوم

مَا حماه البَيت، والعَار يغني

والضَحايا تُستَبَاح

لَم تَر الجَنة في ظِل الرِماح

وَيظَل العَار حَياً في جُفون الميت

حَيا

تجلد المَيت رُؤاه وَتذله

فالقدس ليست للفلسطينيين فحسب، بل هي قبلة المسلمين الأولى، إذ يتعجب الشاعر بأسلوب استنكاري من هذا الصمت المطبق، مطالباً بالدفاع عن حمى القدس ونصرتها، وخلع ثوب العار والسكوت، حتى لا يظل ملاصقاً له، فيغدو كالميت بلا شعور، فقد طالت بهم الحال، وتحملوا كثيراً من الأخطار، فيستذكر الشاعر ضحايا قتلوا، وبيوتاً استبيح حماها، ويستنهض أبناء شعبه كي يهبوا وينفضوا ثوب العار الملاصق لهم.

(١) حاوي، خليل: ديوان الرعد الجريح. ط٦، دار العودة، بيروت،١٩٧٩، ص٨-١٠

ب-السخرية السياسية وقصة الإسراء والمعراج

يَستلُ الشَاعر أَحمد مطر من قصة الإسراء والمعراج فضاءً دلالياً يعبر فيه عن انحراف مسيرة السياسة العربية لدى بعض الدول العربية، فيقول[1]:

إبلٌ جاءتْ على متنِ الأثيرْ

وبغالٌ، وحَميرْ

وخِيامٌ رملُها يتبعُها جوّاً

.. وحاديها أميرْ!

وإلى أينَ المسيرْ؟

نحوَ أورُبّا.

وماذا سوفَ تعمَلْ؟

ليرى الغربُ المضَلَّلْ

صورةَ الإسراءِ والمعراجِ حَرْفيّاً

فإنْ طارَ البَعيرْ

كيفَ لا يُعقَلُ أن يَسري حِصانٌ .. أو يطيرْ ؟!

يستدعي الشاعر قصة الإسراء والمعراج ليعبر عن حال العرب بأسلوب التهكم والسخرية لتلك السياسة التي يتبعها بعض العرب اليوم، تحديداً أصحاب آبار النفط، أولئك الذين قلبوا مسار العرب، فنقلوهم إلى أوربا بلاد الغرب المضلل، محدثين انحرافاً واضحاً بعيداً عن المسار الحقيقي الذي يجب أن يسلكوه، ألا وهو مسرى الرسول الأعظم، مستنكراً عليها تحولاتهم السياسية بعيداً عن سبيل الحق.

(١) مطر، أحمد: المجموعة الشعرية.ص٩٧

ج- المديح النبوي في قصة الإسراء والمعراج

يصف الشاعر أحمد شوقي في مدح الرسول الكريم حادثة الإسراء والمعراج التي كانت تعظيماً وتكريماً لشخص الرسول الكريم، فيسرد الأحداث من مكة إلى صلاته في المسجد الأقصى حيث صلى بالأنبياء، ثم عرج إلى السماوات، فيقول [1]:

أَســـرى بِـكَ اللهُ لَـيـلاً إِذ مَـلائِـكُـهُ ... وَالرُسلُ في المَسجِدِ الأَقصى عَلـى قَـدَمِ

لَمّا خَطَرتَ بِهِ اِلتَفّـــوا بِسَـيِّدِهِـــم ... كَالشُهـبِ بِالبَـدرِ أَو كَالجُنـدِ بِالعَلَـمِ

صَـــلّى وَراءَكَ مِنهُم كُلُّ ذي خَطَـــرٍ ... وَمَـــن يَفُـــز بِحَبيـــبِ اللَـــهِ يَأتَمِـــمِ

جُبتَ السَمـــاواتِ أَو مـــا فَوقَهُـنَّ بِهِـم ... عَلـــى مُنَـــوَّرَةٍ دُرِّيَّـــةِ اللُجُـــمِ

حَتّى بَلَغتَ سَـــماءً لا يُطارُ لَهـــا ... عَلـى جَنـاحٍ وَلا يُسعـى عَلـى قَـدَمِ

يسرد الشاعر تلك الحادثة بأسلوب شائق لا يتجاهل فيه تفاصيل حدثت، فالملائكة والأنبياء ينتظرونه إماماً بهم، كما جاب السماوات العلى عبر تلك الرحلة السماوية ممتطياً دابته البراق التي ألبسها أجمل وصف حين قال (مُنَوَّرَةٍ دُرِّيَّةِ اللُجُمِ) فلم يكن لها نظير أو شبيه، فهي من صنع رب عظيم خصصت لتلك الرحلة المباركة، ولذلك النبي الأعظم.

وتأسيساً على ما تقدم فإن الشعراء استدعوا قصة الإسراء والمعراج من أجل استنهاض العرب الذين هم في غفلة شاردون، حتى يستمدوا من مواقف الأنبياء القوة في تحمل الظلم والعدوان الذي لاقوه، فتستثير هممهم في الإيمان بالخلاص والتحرر والنجاة من الظلم والتبعية، ووجدنا أعداء الأنبياء على اختلاف أسمائهم، واتفاق أفعالهم، يتمثلون بأعداء عصرنا الحالي، أمريكا ولقيطتها إسرائيل، وأن مصيرهم سيكون الزوال، إضافة إلى استدعائهم بغرض المدح والإطراء، والمناسبات الإسلامية التي في أشعارهم، فأبدعوا أيّما إبداع.

٧- قصة هجرة النبي محمد من مكة، وأبعادها الدلالية

ما زالت مقولة سيدنا محمد ﷺ (لولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت)[2] عالقة في الأذهان، ومؤثرة في النفوس، فبسبب ما لاقاه النبي من الأذى والاضطهاد قرر الهجرة بتوجيه رباني متخذاً أبا بكر

---

(١) شوقي، أحمد: الشوقيات. كلمات عربية للنشر والترجمة، القاهرة، مج١، ج١، ٢٠١١، ص٢٧٣

٢) الزرقاني، عبد الله محمد: شـرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية. صـحـحه: محمد الخالدي. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦، ص١٠٨

رفيقاً، فكان الصدّيق هو من نال شرف تلك الصحبة. لينطلقوا إلى المدينة، وفي منتصف الطريق وصلوا إلى غار ثور ليختبئوا من الأعداء الذين يلاحقونهم.

تحول غار ثور من معلم جغرافي إلى معلم مقدس، لأنه نال شرف مكوث النبي فيه. يقول الشاعر المصري أحمد محرم [١]:

غـارَ ثَـوْرٍ أعـطـاك ربُّـكَ مـا لـم ... يُعطِ من روعـةِ الـجلالِ الـقُصـورا
أنـت أطـلـعـتَ لـلـمـمـالـكِ دُنـيـا ... سـاطـعـاً نُـورهـا ودينـاً خـطـيرا
صُـنـتَـهُ مـن ذخـائِـر الله كَـنـزاً ... كـان مـن قـبـلُ عـنـده مـذخـورا
جـاءكِ الـمـنـقـذُ الـمـحـرر لا يـتـ ... رك قَـيـداً ولا يُـغـادر نـيـرا
ورثَ الـمَـالـكـيـنَ والـرُّسـلَ الـهـا ... ديـن بـالـحَـق أولاً وأَخـيـرا

يجعل من الغار رمزاً للبطولة، وسبباً في سطوع أنوار الهداية والرشاد، فقد حوى في قلبه أعظم شخصية غيرت مسرى التاريخ، ونشرت صوت الحق في أركان البلاد.

أ- التحريض على الثورة في قصة هجرة النبي

نظم الشاعر خليل مطران، قصيدة رأس الهجرة النبوية، فكانت من أطول القصائد التي نظمها في المناسبات الإسلامية على الرغم من ديانته المسيحية، فيتسلسل في عرض أحداث تلك الهجرة بأسلوب السرد القصصي، فيقول[٢] :

مَضَـى هُوَ البَدْءُ وَالصِّـدِّيقُ يَصْـحَبُهُ ... يُغَـامِرُ الْحَزْنَ فِي تَيْهَـاءَ صَـيْخُودِ
مُوَالِيـاً وَجْهُـهُ شَـطْرَ الْمَـدِينَـةِ فِي ... لَـيْـلٍ أَغَرَّ عَلَى الأَدْهَـارِ مَشْـهُودِ
حَتَّى إِذَا اتَّخَـذَ الْغَـارَ الأَمِينَ حِمىً ... وَنَـامَ بَـيْـنَ صَـفـاهُ نَـوْمَ مَـجْـهُـودِ
يَـا لَلْعَقِيـدَةِ وَالصِّـدِّيقُ فِي سَـهَرٍ ... تُـؤْذِيـهِ أَفْـعَى وَيَـبْـكِـي غَـيْـرَ مَـنْـجُـودِ
أَعَـادَ ذَاكَ الْـفَـتَـى الأُمِّـيُّ أُمَّـتَـهُ ... شَـمْلاً جَمِيعـاً مِنَ الْغُرِّ الأَمَـاجِيـدِ
أَيْ مُسْـلِمِي مِصْـرَ إِنَّ الْجِـدَّ دِينُكُمُ ... وَبِئْسَ مـا قِيـلَ شَـعْـبٌ غَيرُ مَجْـدُودِ
طَـالَ الـتَّـقَـاعُسُ وَالأَعْـوَامُ عَـاجِـلَـةٌ ... وَالـعَـامُ لَـيْـسَ إِذَا وَلَّـى بِـمَـرْدُودِ

---

(١) محرم، أحمد: ديوان مجد الإسلام. مؤسسة هنداوي للنسر، القاهرة، ٢٠١٢، ص٢٣

(٢) مطران، خليل: ديوان الخليل.ج٢،ص٤٠

يذكر الشاعر جزئية من قصة الغار، وهي قمة الوفاء المتمثلة بأبي بكر الصدّيق، وتصرفه الحسن قبل الدخول إلى الغار[١]، ويفخر مطران بعزة النبي محمد وما أحدثه من انتشار وتحقيق للدعوة الإسلامية، ليتخذ منه أعظم مثال يضربه لأولئك المتقاعسين من العرب، ويرد عليهم تلك الإحباطات التي تثبّط العزيمة والإرادة، من خلال قصة الغار، فيعمل الشاعر على بث روح التحريض في نفوس شعبه من أجل القيام بثورة تطهرهم من رجس التخاذل والتقاعس، فقد طالت بهم هذه الحالة، ولا بد لهم من خلع ثوب المذلة، وارتداء ثوب العزة والمجد.

ب-التحوير الدلالي في قصة غار حراء

يتخذ الشاعر بدر شاكر السياب من قصة الغار سبيلاً للتعبير عما يعانيه في غربته، فيقول[٢]:

هَذا حِرائي حَاكت العنكبوت

خيطًا إلى بَابه

يَهدي إلي النَاس إني أَموت

والنّور في غَابه

لا يحول بينه ﷺ وبين الموت إلا خيوط العنكبوت الواهية، وبيض تلك الحمامة الوديعة، التي كانت سبباً في نجاته من أعداء قريش، لتغدو رمزاً مخلداً عبر التاريخ.

يعقد الشاعر مفارقة في قصيدته تلك المعنونة بـ (العودة لجيكور)، قريته التي نشأ فيها وترعرع، ومن ثم حالت الظروف التي أدت إلى هجرته قسراً بسبب ما لاقاه من الظلم، ليبين أن خيوط العنكبوت التي كانت سبباً في حماية النبي في غربته، قد تبدلت غايتها عند الشاعر المغترب، فأضحت وسيلة لإبلاغ الآخرين عن مكانه وتعريضه للخطر بدلا من حمايته.

وأود الإشارة إلى أن بعضهم لا يفرق بين غاريْ ثور وحراء، فحراء كان للتعبد ونزول الوحي لأول مرة، أما ثور هو الذي اختبأ به النبي محمد وصاحبه في طريق الهجرة.

---

(١) ينظر القصة: ابن هشام، أبو محمد: السيرة النبوية.ج١،ص٤٠

(٢) السياب، بدر شاكر: الأعمال الكاملة.ص٤٢٥

يتبين مما تقدم اختلاف أسباب ذكر قصة الغار من شاعر لآخر، فمنهم من يوظفها في المناسبات الإسلامية في سبيل مدح خير البشرية، أو مدح الغار ذاته للشرف الذي حظي به، وبعضهم يتخذ من رمزيتها سبباً في سياق التحريض ومواجهة الظلم، أو في سبيل حث الناس على تحمل الأذى.

المبحث الثالث: القصة القرآنية في الشعر الفلسطيني المعاصر

يعيش الشعب الفلسطيني في دوامة من المأساة اللامتناهية، وكأنه قد كتب عليه الشقاء منذ الأزل، لأن فلسطين كالسبية، يتوارثها عدو تلو الآخر، حتى وصلت إلى من لا يعرف الرحمة والشفقة، إلى من اتصف بالظلم والنهب والسلب والعدوان، ومن ادّعى امتلاكه لأرض بلا شعب، وأقام دولة لا يمكن للتاريخ أن يعترف بها ، إنها إسرائيل، ذلك الجرح الدامي في قلب الشعب الفلسطيني خاصة، والشعوب العربية عامة، فهي ليست قضية شعب واحد، إنما قضية أمة عربية يعز عليها ما يحدث في فلسطين، فالوازع الديني المتمثل بالمكانة الدينية المقدسة هو الرابط الأقوى، فغدت هماً مشتركاً في ظل ظروف هيمنت على القدس ومساجدها وكنائسها التي تعد رمزاً مقدساً عند الجميع.

وعلى الرغم من تلك العقبات والصعوبات التي عاشها الشعب الفلسطيني _وما زال_ ظل صامداً في ظل الهيمنة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وحتى الثقافية، فقد تعرض الشعب للقتل والتهجير والنفي والسلب، وعاش من نكبة إلى نكسة، ومن انتفاضة إلى انتفاضات لاقوا فيها ألوان العذاب.

وتفجر ينبوع الشعر في القصيدة الفلسطينية، فعلى الرغم من صغر الرقعة التي يحتلها الأثر التاريخي في الشعر الفلسطيني المعاصر، فقد تطور هذا الأثر ليتخذ بعداً لا يقف عند ذكر الوقائع فحسب، بل أصبحت رموزاً لها إيحاءاتها ودلالاتها في الزمن الحاضر[١] ، ليتأثر الشعر بأحداث وطنه، مصوراً واقعه الأليم، وكأن "قدر الشعر الفلسطيني أن يولد من رحم القضية الفلسطينية بكل إفرازاتها، وأن يترعرع في أحضانها، فيشيب ويكبر، ويبلغ سن الرشد، والاحتلال الإسرائيلي واحد من هذه الإفرازات، حمل في حناياه تحديات خطيرة كان لا بد للشعر الفلسطيني أن يتصدى لها، فهو قد فقد الوطن والهوية ووجد نفسه في منافي الشتات غريباً"[٢].

---

(١) ينظر: أبو شاور، سعدي: تطور الاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني المعاصر.ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،٢٠٠٣، ص٤٣

(٢) سالم، عادل: لطفي زغلول في حوار مع ديوان العرب، موقع ديوان العرب، ٢٠٠٧، http://www.diwanalarab.com/

اتخذ الشاعر الفلسطيني القصيدة سلاحاً يصور به ظلمهم وتجبرهم، فكان منبراً لتصوير النكبات، ورثاء الشهداء، وبيان رداءة موقف الحكام العرب تجاههم، ولاحق الاحتلال الشعراء وحاربهم، فلجأوا إلى الرموز والدلالات الخفية في أشعارهم، "وذلك منذ أدرك الاحتلال المقيت دور الأدباء في توعية الجماهير وتنويرهم وتحريضهم، فكبتَ الحريات وفرض الحصار الثقافي، ولاحق الأدباء، وزجّ بهم في غياهب السجون، وحدد إقامتهم، وأبعد بعضهم خارج الأرض المحتلة، وسنّ القوانين التي حدّت من الإبداع والتعبير "[١]

وجد الشعراء في القرآن الكريم ملاذاً يخففون به وطأة ما يلاقونه، وخاصة في قصص الأنبياء، وحوادث إسلامية تاريخية وجدوها قريبة من واقعهم، فباتت المرآة التي تعكس معاناة شعب متشبث بالصمود والتحدي في سبيل تحقيق الانتصار، ومن تلك القصص والحوادث ما يلي:

١- قصة الطوفان في الشعر الفلسطيني، وأبعادها الدلالية

لجأ الشعراء الفلسطينيون إلى قصة الطوفان، لأنهم وجدوا فيها ملاذاً للتعبير عن معاناتهم المستمرة، فطوفان الاحتلال قد أوشك على إغراقهم، غير أن الشعب الفلسطيني لم يستسلم لهذا التيار الجارف، فهو يعمل على بناء سفينة النجاة بإصرار وتحدٍ وإرادة، متخذين من طيور الحمام رمزاً للسلام، ومستمدين من أشجار الزيتون القوة والصمود. وعمد بعض الشعراء إلى تحوير في قصة الطوفان، وامتصوا دلالاتها بما يتناسب مع السياق السياسي الفلسطيني، وبعضهم الآخر يتمنى أن يأتي طوفان جديد يكون سبباً في الخلاص من وطأة الاحتلال، وعنواناً لبدء حياة جديدة.

أ- الانكسار والانتصار في قصة الطوفان

عبرت الشاعرة فدوى طوقان عن الصراع الحالي الذي يعيشه شعبنا الفلسطيني في ظل الاحتلال البغيض، وتصفه بعد نكسة حزيران إعصاراً شيطانياً امتد واشتد أذاه ليتحول إلى طوفان كبير في قولها[٢] :

يومَ الإعصارِ الشَيطانيّ طَغى وامتدّ

يَوم الطُوفان الأسودْ

(١) كلّاب، جميل إبراهيم: الرمز في القصة الفلسطينية القصيرة في الأرض المحتلة(٦٧-٨٧).رسالة ماجستير، إشراف: نبيل خالد أبو علي .الجامعة الإسلامية،غزة،٢٠٠٥،ص٣٣

(٢) طوقان، فدوى: الأعمال الشعرية الكاملة. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٣، ص٣٧٥-٣٧٦

لَفَظَته سَواحل هَمجيّه

لِلأَرضِ الطَيّبة الخَضراء...

هوت الشَجرة؟

عَفو جَداولنا الحَمراء

عَفو جُذورٍ مُرتويه

بنبيذٍ سفحته الأشلاء...

هذا الطوفان(النكسة) الذي امتد على ما تبقى من أراضي فلسطين (الأرض الطيبة الخضراء)، وعمل على احتلالها وسلب خيراتها، وتدمير أراضيها وأشجارها، على مرأى الأمة دونما حراك، غير أن الشعب الفلسطيني الذي ارتوى بماء البطولة، وتغذى على زاد الانتصار مقاوم لا يأبى الانكسار، وأن هذا الطوفان سينتهي ويزول بهمة شعب فلسطين **كما يتجلى في قولها:**

سَتقوم الشَجرة

سَتقوم الشَجرة والأَغصان

سَتَنمو ضَحكات الشَجرة

في وجه الشّمس

وسَيأتي الطَير

لا بُد سَيأَتي الطَير سَيأتي الطَير سَيأتي الطَير

تؤكد الشاعرة ديمومة التصدي، فهم إن قلعوا شجرة، فإن أشجاراً ستولد من جديد، كما أن الشاعرة تنتظر حمام السلام، ذلك الطير الذي عاد بغصن زيتون بشرى بالسلام كما بشرت نوحاً بانتهاء الطوفان، ولتعلن للعالم انتصار شعب لا يعرف المستحيل، فذلك اليوم قادم والدليل على ذلك ثقتها العظيمة بمجيء طير السلام، وذلك باستخدامها أسلوب التكرار لما له من تأثر بليغ على النفس والإيقاع، "فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلم فيها"[1]، فتكرار الشاعرة لعبارة (لا بد سيأتي طير)، هو مفتاح ندخل من خلاله إلى نفسية الشاعرة، ورغبتها الحثيثة في الوصول إلى السلام

(١) الملائكة، نازك: قضايا الشعر المعاصر،ط٣، منشورات مكتبة النهضة، مصر، ١٩٦٧،ص٢٤٢

المكنون في تلك العبارة، فتزرع بطريقة غير شعورية مشاعر اليقين في نفس القارئ بحتمية السلام وتحققه.

ب- الصمود والمواجهة في قصة الطوفان

يستدعي الشاعر محمود درويش قصة الطوفان وما رافقها من روايات تتعلق بالحمامة وغصن الزيتون في سياق فلسطيني في قوله: [1]:

يا نوح!

هَبني غُصن زَيتون

وَوالدتي.. حَمامة!

إنّا صَنعنا جنة

كَانت نِهايتها صَناديق القُمامة!

يا نوح!

لا تَرحل بِنا

إن الممات هنا سَلامة

إنّا جذور لا تعيش بغير أرض..

ولتكن أرضي قيامه!

نقف أمام نص يحمل سيلاً من الدلالات المختلفة التي تدعو إلى الصمود والمواجهة في الوطن، فالشاعر في خطابه المتكرر لنوح الذي يرمز به للشعب الفلسطيني، يدعوه للبقاء وعدم الرحيل عن الوطن، فلا سلام بعيداً عن الأرض، فالشعب الفلسطيني متشبث بأرضه التي نشأ فيها، وسيبقى كذلك حتى تكون النهاية، فهو كجذور الشجرة التي إذا اقتلعت من أرضها، سيكون مصيرها الهلاك لا محال.

(١) درويش، محمود: الأعمال الأولى. رياض الريس للكتب والنشر، بيروت،٢٠٠٥، مج١، ج١، ص١٢٤-١٢٥

ج- هزيمة حزيران في قصة الطوفان

يعبر الشاعر محمد عمر قشير[١]، من خلال استدعائه لقصة الطوفان، عن هزيمة حزيران التي تمثل ذكرى التهجير والتدمير بحق شعبنا الفلسطيني بأسلوب مليء بالحزن والأسى، فيقول[٢]:

أهلاً بِالطُوفان

ادخلْ باسمِ التَوراة..إِذا شِئت

أو اسم القُرآن

رُغم قَباحة وَجهك

سَلمنا لكَ مفتاحَ البلدية

فادخلْ رُغم الأَحلام المَجروحة

بَوابات حُزيران

فالشاعر يصور الخذلان الذي يملأ نفوس شعب يشعر بالانكسار، ويعلن الاستسلام، ويصرح بأن سبب هذا الطوفان كان من فعل أيديهم:

مَزقنا كُلَّ شَراشفنا البَيضاء بَأيدينا...

لَوثناها بالدَم وَالطين...

وبأيدينا أسقطنا آخر أوراق رَبيع مَات من غير خَريف أو طُوفان[٣]

فيكون استدعاء الشاعر لقصة الطوفان بدلالة جديدة يرى فيها أننا نستحق كل ذلك بسبب ما اقترفناه من تفرقة، فكان جزاؤنا متوقعاً بحصول الطوفان، طوفان الاحتلال الصهيوني فيقول[٤] :

نَادَانا الله.. منَ الصَحراء..

---

(١) محمد عمر قشير: ولد في مدينة يافا عام ١٩٣٩، هاجر مع أسرته عام ١٩٤٨، يعمل الآن محامياً شرعياً في مدينة نابلس. (مقابلة شخصية)

(٢) قشير، محمد عمر: أنا من يافا بلد المحبوب.ط٢،تم طباعتها على نفقة الشاعر،٢٠١٨، ص٨٧

(٣) المصدر السابق: ص٩٤

(٤) المصدر السابق: ص٩٦

ومن غَار حِراء

أُمتكم زَانية الوُجدان

فَلتجلدْ مِئةَ جَلدة

أو...فَليكنْ الطوفان

ويعبر الشاعر يوسف الخطيب عن حالة العرب، وانقلاب الأحوال بعد تلك الثقة التي عقدها الفلسطينيون على العرب بحتمية انتصارهم على الاحتلال. فيقول[1] :

صَباحها..

سويت مِن جِلدة جِبهَتي رَبابة..

وسُقت هَودجاً وَناقة..

أَوردها ..

لم أدرِ أَنه الطُوفان!!

وكان أُسطول أبي من ورق

نبذت كُل فلك البَحر

وانتبذتُ قِمة العِصيان!! ...

وها أنا أَصعد قِمة تَخونني..

أَلهث في بُلوغها.. وَهي تغوصُ أدنى

كان الفلسطينيون قد عقدوا الآمال على الجيوش العربية؛ لتحقيق النصر وأخذ الثأر بعد النكبة، غير أن ما حصل خيب آمالهم، وألقى بطموحاتهم في غياهب الخذلان، فعبر الشاعر عن تلك اللحظة؛ ليخبرنا أن قوة العرب كانت مجرد أوهام، محدثاً مفارقة دلالية بين فيها أن قوم نوح عقدوا آمالهم عليه في طريق النجاة وكان لهم ما أرادوا، بينما الشعب الفلسطيني عقد آماله على العرب وقوتهم، غير أنهم خذلوا، كيف لا! وسفينة نوح كانت من ألواح ودسر، تتصف بالقوة، بينما سفينة العرب _الأسطول كما

(١) الخطيب، يوسف: الأعمال الشعرية الجاهزة. (امنع الخمرة عني). ط١، الاتحاد العام للكتاب الفلسطينيين،٢٠١١، ج٣، ص١٤٢-١٤٣

ذكر الشاعر_ كانت مصنوعة من الورق، أي مبينة على الأوهام والآمال الخادعة، لذا دعا الشاعر إلى التخلي عن وهم الاتكال على النظام العربي ، ولم يعتمد عليهم، فلجأ إلى قمة تحميه من خذلانهم، كما لجأ ابن نوح إلى قمة الجبل كي تحميه، ولعل قمة الشاعر التي لجأ إليها يقصد بها تلك القمم العربية التي تُعقد في سبيل حل القضية الفلسطينية، فكانت تلك القمة وهماً، كما حدث لابن نوح، فيظهر أن تلك القمم التي تخدع الشعوب بلا نتيجة زائفة وخائنة كما خانت امرأة نوح زوجها وخذلته بعدم اتباعها له وإيمانه به. فأحدث الشاعر تلك المقاربة بصورة عبرت عن شعبنا في ظل خيباته وآلامه.

فيستدعي الشاعر عبد الرحيم عمر، قصة نوح في بناء السفينة، بأسلوب شائق على لسان فتاة فلسطينية تستنجد وتصرخ لإنقاذ تلك السفينة التي عنى بها الشاعر دولة فلسطين، فيقول: [1]

ويَهدر الطُوفان

وأنتِ تَصرخين:

يا" ناس جُهد سَاعة وَننقذ السَفينة "

وَيَمحي الصدى

فكلّ زَوج حَائر في أَمره

لغاتهم تَناكرت

قلوبُهم تَنافرت

وكل زَوج عَالَم مُنفصل عَن غَيره

وأنت تَصرخين:

"يا ناسَ هذا الماء يَغشانا

ويَغشانا الردى

تمثل الفتاة الفلسطينية نوحاً النبي بفعله، تصرخ بأعلى صوتها على أبناء شعبها؛ كي يهبوا نحو تلك السفينة(فلسطين)، التي هددها الطوفان (الاحتلال الصهيوني)، إذ إنّ توحدهم هو سبيل انتصار فلسطين ورد العدوان عنها **(يا ناس جهد ساعة وننقذ السفينة)**، غير أن الصدى يزيل صوتها، ولا حياة

(١) عمر، عبد الرحيم: ديوان أغنيات للصمت.ط١، دار الكاتب العربي، بيروت،١٨٦٣، ص٧١

لمن تنادي، لتعاود صراخها مرة أخرى بعد أن بدأ طوفان الاحتلال بالتمدد والتغلغل علّها تجد من يلبي نداءها.

د- السلام المزعوم وقصة الطوفان

يستدعي الشاعر سميح القاسم قصة نوح ليعبر من خلالها عن رفضه لعمليات السلام والتصالح مع إسرائيل التي قام بها الرئيس الأمريكي فورد والإسرائيلي رابين، فهي لن تعمل على إخماد نار التحدي والإرادة في مواجهة عمليات السلام التي عنى بها (طوفان الدم)، التي لا تجلب إلا الذل والرضوخ، فيقول[1]:

قُولوا لِلمستر فورد وَقُولوا لِخواجا رَابين

لَن يُطفئ نَار إرادتنا

لَن يطفئ نُور محبتنا

طوفان الدم.

قُولوا للجد الطيّبِ نوح

هيّىء فُلكَكَ من أجساد الشُهداء

واصعد

اصعَد يا نوح عَلى طُوفان الدَم

بعدَ الشدّةِ يرسو فُلكُكَ

في قمم الزيتون الخَضراء....

يطلب من نوح الذي جعل منه الشاعر رمزاً للثورة أن يصنع فلكاً للنجاة، غير أن فلك نوح هنا يختلف بأن مادة بنائه أجساد الشهداء، فالشاعر يرى أن السفينة هي وسيلة الانتصار وتحقيق الحرية المسلوبة، إذا بذل الشعب الفلسطيني دمه، لتكون دماء الشهداء هي النواة الأولى في تحقيق النصر على

(١) القاسم، سميح: ديوان وما قتلوه وما صلبوه. منشورات صلاح الدين، القدس، ١٩٧٦، ص٢٠٢

الطوفان الغاشم الذي يسعى إلى المماطلة وتسويق دماء الشهداء بعمليات السلام المزيفة، عندها سيكون الوصول إلى قمم الزيتون الأخضر(السلام الحقيقي بالنصر)، من خلال سواعد الأبطال.

شكلت قصة الطوفان عند الشعراء الفلسطينيين بعداً رمزياً يتمثل بإسقاط دلالة الطوفان على الاحتلال الإسرائيلي، وبشخصية نوح الذي كان رمزاً للقائد المنجّي، وعند بعضهم جسدت رمزًا للفلسطينيين الراسخين في مواجهة الظلم، ولا ننسى دلالة غصن الزيتون التي استدعاها الشعراء رمزاً للسلام والنجاة والتطهير، إضافة إلى حب الوطن ومجابهة المحتل والأمل الخالد في تحقيق النصر مهما طال الزمان.

٢- قصة قابيل هابيل في الشعر الفلسطيني، وأبعادها الدلالية

تشكل قصة قابيل وهابيل القضية الأساسية الأولى التي تمثل صراعاً بين الأخ وأخيه، الذي كان باكورة الشرارة للظلم والطغيان الذي رافق الإنسان عبر الأزمان، فذلك الصراع أضحى رمزاً للجريمة التي انتهت بقتل قابيل لأخيه هابيل ظلما وبهتاناً، لتظل هذه القضية فضاءً رمزياً للتعبير عن الخير والشر.

والشعراء الفلسطينيون أكثر قرباً من هذه القصة التي وجدوها تعبر عن قضيتهم الفلسطينية، وعن صراعهم مع المحتل الغاشم الذي يسعى دائما إلى طمس هويتهم. فاستدعوا في قصائدهم جريمة قابيل ليعبروا عن الظالم المتجبر، والعدو المتغطرس المتمثل بالاحتلال الصهيوني، واستدعوا مصير هابيل ليعبروا عن الشعب الفلسطيني المظلوم، غير أنه الاحتلال(قابيل) لم يتركه وشأنه، إذ استخدم شتى الوسائل لطمسه، ليبقى هذا الصراع قائما إلى يوم الدين، تماماً كما كانت قصة صراع الأخوين منذ بدء الخلق.

أ- أيلول الأسود وقصة قابيل وهابيل

تعد الشاعرة فدوى طوقان من أبرز الشعراء الذين استمدوا قصة قابيل في شعرهم؛ ليعبروا عن الغدر والخيانة، في ظل أوضاع يعيشها شعبنا الفلسطيني تحت وطأة الاحتلال اللعين، فتقول[١]:

قَابيل الأَحمر مُنتصبٌ في كُل مَكان

قَابيل يَدقُّ عَلى الأبوابْ

على الشرفاتْ

(١) طوقان، فدوى: الأعمال الشعرية الكاملة.ص٤٦٢

على الجدرانْ

يتسلّق يقفز يزحف ثعبانًا ويفحُّ

بألف لسانْ

قابيلُ يعربد في الساحاتْ

يلفُّ يدور مع الإعصار، يسدُّ –

مسالكْ

ويشرّع أبوابًا لمهالكْ

يحمل في كفّيه غَسولَ الدمِّ –

توابيت النيران

قابيلُ إلهٌ مجنون يَحرق روما

تمتص الشاعرة شخصية قابيل رمز الجريمة الأولى، وأول قطرة دم على وجه الأرض لتنقلنا إلى قابيل العصر الحديث، محدثة مفارقة دلالية في القصة تضيف إليها ما يقوم به قابيل الحالي من تنكيل وقتل، وقد ربطت حديثها عنه بحديثها عن أحداث (أيلول الأسود)[١]، وما عاناه شعبنا الفلسطيني بسببه، إضافة إلى مشاعر الإحباط واليأس التي سيطرت عليه في تلك الفترة، فاقتتال الأخوة الذي بدأ منذ الخليقة يعيد ذاته، فحرب الأخوة(الأردن وفلسطين)، تتكرر لتتعمق المأساة في نفوس كانت من الأولى لها أن تقاتل الاحتلال الصهيوني وتطرده، فوجدت الشاعرة في استدعائها لهذه الشخصية وسيلة تختصر بها مأساة اقتتال الأخوة.

ب–جرائم الاحتلال وقصة قابيل وهابيل

يعبر الشاعر سليمان دغش عن معاناة الشعب الفلسطيني والاقتتال المستمر فيه بفعل جرائم الاحتلال الذي يرمز لهم بشخصية قابيل، فيقول[٢]:

---

(١) ينظر: اشتية، محمد: موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية. دار الجليل للنشر، عمان.٢٠١١، ص١٠٣–١٠٤

(٢) دغش، سليمان: ديوان سفر النرجس.ط١، دار الجندي للطباعة والنشر،القدس،٢٠١٤،ص٣١–٣٢

وَيحكَ يا رِيح كَيف تَمكنت مني

وحمّلتني وِزرَ تِلك الخُرافة

وَعد الإله زُورا

وكيف أعدت إلى هذه الأَرض بكر البِدايات

سَوأة قَابيل ثانية

يا إلهي فَهل من غراب شقي نقيّ تقيّ جميل على هذه الأرض

حَتى يُوراي التراب رفاة القتيل.

يستحضر الشاعر الغراب الذي علّم قابيل كيف يواري سوأته ويدفن أخاه الذي قتله، ويعبر عن حاجته الماسة لمثل هذا الغراب في أيامنا هذه، إذ يجعل من الغراب رمزاً لمن يعمل على حل قضية الشعب الفلسطيني ويسعى إلى نصرته ومد يد العون له، ليبقى تساؤله مفتوحاً لعله يجد جواباً للخلاص.

ج- الخذلان السياسي وقصة قابيل وهابيل

يخاطب محمود درويش الغراب الذي رمز به إلى العرب وحكامهم، فإذا كان الغراب شاهداً على قتل قابيل لأخيه، فإن العرب اليوم أيضاً شهود على القتل الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني، غير أن نقطة الاختلاف تظهر في أن غراب قابيل كان له الدور في إخفاء جثمان هابيل وبيان كيفية دفنه، كما صوره رب العالمين﴿ **فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ**﴾[1]. أما العرب فينظرون إلى حالنا وأحوالنا إذ نقتل بلا رحمة، ولا يحركون ساكناً، لذلك يخاطبهم درويش قائلاً[2]:

أَنْتَ مُتَّهَمٌ بما فينا. وهذا أَوَّلُ

الدَمِ من سُلاَلَتِنا أمامَكَ، فابتعدْ

عن دار قابيلَ الجديدةِ

مثلما ابتعَدَ السرابُ

---

(١) المائدة: ٣١

(٢) درويش، محمود: ديوان لماذا تركت الحصان وحيداً.ط٣، دار الريس، بيروت،١٩٩٥،ص٢٦-٢٧

عن حِبْر رِيشكَ يا غرابُ...

أَنا هابيلُ، يُرْجِعُني الترابُ

إليكَ خَرُّوباً لتجلسَ فوق غُصْني يا غرابُ

يقارن درويش بين مصير هابيل في القصة القرآنية، وهابيل الفلسطيني (الضحية) الذي سيبقى شامخاً، وصامداً كشجرة عظيمة، لن يستسلم أبداً، وسيبقى رغم تقلب الظروف كشجر الخروب دائم العطاء.

د- محنة العراق في قصة قابيل وهابيل

يستدعى الشاعر محمود درويش قصة قابيل ليعبر عن هموم الشعب العراقي، وذلك في قصيدة (فرس للغريب إلى شاعر عراقي)، إذ يقول[١] :

على صورَتي خَنْجَري وعلى خَنْجري صورَتي كُلَّما

بَعُدْنا عَنِ النَّهْر مَرَّ الْمَغولُّي، يا صاحبي ، بَيْنَنا

كَأَنَّ القَصائِدَ غَيْمُ الأَساطيرِ لا الشَّرْقُ شَرْقٌ

ولا الغَربُ غَرْبٌ تَوَحَّدَ إِخْوَتُنا فِي غَريزَةِ قابيلَ. لا

تُعاتِبْ أَخاكَ، فإِنَّ الْبَنَفْسَجَ شاهِدَةُ الْقَبَر...

قضية الشعب الفلسطيني وهمومه حاضرة في أشعار العرب، كذلك هموم العرب ومصائبهم حاضرة في الشعر الفلسطيني، فيستدعي درويش في هذه القصيدة قابيل رمز القتل والظلم؛ ليبين لنا عظم المأساة التي حلت بالشعب العراقي في ظل حروب همجية حيكت ضده، وتعرضه للسلب والتدمير على مرأى من العالم، دون أن يحركوا ساكتاً، فالمغول الأمريكي قد عادوا إلى العراق في عصرنا؛ ليعيدوا الدمار الذي ألحق بهم سابقاً، فدرويش يبين أن الشعب العربي بات متوحداً مع قابيل في غريزة القتل، وأن الانقسام قد شتت شملهم فلا داعي لمعاتبتهم على أفعالهم، فهم أموات لا يفقهون.

هـ- مساءلة أخلاقية في قصة قابيل وهابيل

(١) درويش، محمود: الأعمال الأولى.مج١،ج٣،ص٣٤٨

يعقد الشاعر معتصم الخضر[١] حواراً افتراضياً بين طائر البوم والإنسان، ليكشف أن البوم طائر بريء من تهمة التشاؤم والموت والخراب (وفق الموروث الثقافي الشعبي)، وأن الإنسان هو مصدر الشر على الأرض منذ بدء الخليقة مستشهداً بقابيل وهابيل في قوله [٢]:

أَلا يـا بُـوم أَســـمِـعـنـي جَـوابـاً ... فَسُـــمـعَـتُـكـم تـلـطـخ بِـازديـادِ

فَـهـل يَـا بُومُ أَنـت الشّـــؤم حَقـاً ... ويَـخـلـو الـبُـوم حَـقـاً مِـن وِدادِ

ويفضي الحوار الافتراضي إلى استدعاء شخصية قابيل الذي بات عاراً على الإنسانية بفعله المشين، وليبين لهم أنه مهما وسم بصفات مشؤومة فإنه لا يصل به الأمر إلى أن يصبح كقابيل الذي قتل أخاه، فأنتم البشر تقتلون بعضكم بعضاً، فانظروا إلى فعالكم قبل أن توجهوا أنظاركم لي.

أيـا إنســـانُ أنـتَ الشُّـــؤمُ حَقـاً ... فَليسَ البوم شُـــؤمَـاً في اعتِقـادي

فـــلا بُـومٌ يَـقـطـعُ رَأسَ بُـوم ... ولا بـــومٌ لِأخـــوَتـــه يُـــعـــادي

فـــلا بُـومٌ كَـمـا قَـابـيـلَ يـومـاً ... ولا الـفِـرعـونُ يَـومـاً فـي الـبِـلاد[٣]

وظف الشاعر أسلوب السرد القصصي القائم على الحوار الشائق؛ لإسقاطه على واقع الشعب العربي والفلسطيني، بعد أن وصلت بهم الحال إلى الاقتتال بدلاً من أن يكونوا يداً واحدة على عدوهم الغاشم، فأوصل الشاعر من خلال أسلوبه رسالة تظهر غايته التي أرادها.

و- الاقتتال العربي وقصة قابيل وهابيل

يستدعي الشاعر يوسف الخطيب شخصية قابيل ليعبر عن اقتتال العرب معللاً ذلك بلعنة قابيل التي حلّت بالعرب، فيقول[٤] :

آهٍ عـلـى دمِ قَـومـي يَـغـتـلـي بَـدَداً ... فـيـهم ويَـأسَـــن، إنْ نَـاداهم الثَّـار

لـعـنـةُ قَـابـيـل لا انـفَـكـت تُـطـارِده ... عـلـى الـخَـلـيـقـة مِـن كَـفـيـه أَوزار

---

(١) معتصم الخضر: شاعر وأديب فلسطيني، يسكن في قرية دير الغصون في طولكرم، أستاذ الأدب الإنجليزي في جامعة القدس المفتوحة. (مقابلة شخصية)

(٢) الخضر، معتصم: من أفراح وادي مصين إلى شواطئ الأحزان.ط١، دار الشيماء للنشر والتوزيع، رام الله ،٢٠١٦، ص٩٧

(٣) المصدر السابق: ص٩٨

(٤) الخطيب، يوسف: الأعمال الشعرية الجاهزة.ج٣،ص١٨٥

يتحدث الشاعر بأسى وهو حامل لهموم الشعب العربي الذي وصل بهم الأمر إلى حد قتل بعضهم بعضا، وشيوع الفرقة والخلافات بينهم.

وعطفاً على ما تقدم يتبين أن الشعراء وظفوا قصة قابيل وهابيل؛ ليعبروا عن تلك الفتنة العظيمة التي عادت مرة أخرى (فتنة القتل)، قتل أبناء الشعب العربي بعضهم بعضا، بدلاً من أن يتكاتفوا، فامتصّ الشعراء من تلك القصة ما أرادوه من دلالات، وضمنوها قصائدهم، لعلّهم يجدون فيها متنفساً يعبرون به عن مأساتهم بسبب ما تقترف أيديهم.

٣- قصة طير الأبابيل في الشعر الفلسطيني، وأبعادها الدلالية

عانى الشعب الفلسطيني من الحروب على مرّ العصور، ولاقى من الظلم والعدوان ما يشتت الشمل وينهك العزم، ويضعف القوى والقدرة على التحمل. واستمد الشعراء من آيات الله ما يعيد ذلك العزم، ويجدد تلك القوى الخائرة في النفوس، ومن بين ما استدعاه الشعراء من كتاب الله، قصة أصحاب الفيل، وطير الأبابيل. تلك القصة العظيمة كانت كفيلة بأن تزرع الثقة في نفوس أبناء الشعب الفلسطيني بانتهاء كل ظالم متجبر على الأرض، وبحماية البلاد من أي عدوان كان، إذ إن ظلم المحتل (أبرهة هذا العصر) لن يطول، وأن عدوانه سيزول بالحجارة.

أ- صمود غزة في قصة طيور الأبابيل

في سياق الحديث عن غزة الصمود يصف الشاعر معتصم الخضر قوة غزة، وصمود أهلها الذين تملؤهم العزة والكرامة، مستعيناً بقصة أصحاب الفيل وطيور الأبابيل، فيقول[١]:

اضرِب رَأسكَ يا نَمرود بِصخرة المَوت

فَغزة صَخرة عِزة

وَعليها تُكسر أَمواج الطُغيان

وَسَحابك يَا غَزة يمطر سِجيلاً

يَضرب أَبرهة الأَشرم

فترجِع دَبابات الأَشرم بِالخَيبة

لن تُصبح غَزة طَبقاً يَأكله الأَعداء

(١) الخضر، معتصم: من أفراح وادي مصين إلى شواطئ الأحزان.ص١٢٧-١٢٨

بل سُماً يَتجرعه جَيش الأَشرَم

يعلن الشاعر عن إباء غزة وصمودها، وبقائها شامخة على الرغم من كل أمواج التدمير وألوان العذاب الذي تعرضت له، طالباً من (النمرود رمز كل ظالم ومحتل) أن يضرب رأسه بصخور غزة، (كناية عن الخسران والفشل)، جاعلاً سحاب غزة يمطر حجارة من سجيل، تضرب أبرهة وجيشه (الاحتلال الإسرائيلي)؛ لتعود جيوش المحتل بالخسران. وعمد الشاعر إلى مقاربات تجمع بين الماضي والحاضر، فأرض مكة هي غزة العزة، وطيور الأبابيل هي سحاب غزة، والسجيل هي الحجارة، وأسلحة قليلة، كثيرة الإنجاز تُنجز الأفعال العظيمة، وأبرهة الأشرم هو الاحتلال الصهيوني الذي يستبيح حمى غزة، وفيل أبرهة هي دبابات الاحتلال، ويعلن الشاعر أن غزة وأهلها لن يكونوا العصف المأكول، بل السم الذي سيقضي على المحتل ببطولة شعبه الخالد والمتحد يداً بيد.

ب-الشهيد وقصة قابيل وهابيل

يستدعي الشاعر المتوكل طه قصة أصحاب الفيل في سياق أحداث الانتفاضة الفلسطينية، واستشهاد خليل الوزير، الذي اغتاله الموساد، فيقول[1]:

يا "ختيار" يا جَبار

قَد ذَبحوا أَخاك الخَليل

قَبل قَليل

فاهَتزت سَماء الله والأَلواح والأَرضون

وَقال الرَب_حين رأى الدماء تسيل_

يا جبريل لا تهبط إلى الأَرض التي اغتالوا الخَليل بها

فسوفَ أُحيلها عَصفاً

وأُمطرها بِطير تَحمل الأَحجار من سِجيل

يخاطب الشاعر الرئيس الفلسطيني الراحل أبا عمار(الختيار)، ويخبره باستشهاد أخيه في النضال والكفاح (خليل الوزير)، الذي أبلى بلاءً حسناً في سبيل الدفاع عن الوطن وتحريره، ويعلن الشاعر أن

(١) طه، المتوكل: الأعمال الشعرية. ص٥٤٠

السماء اهتزت بسبب استشهاد خليل الوزير، ليتمثل أمر الله في أخذ الحق المسلوب من أولئك المجرمين القتلة، فيأمر أن يرسل على من قتله(إسرائيل)، حجارة من سجيل، تعمل على إبادتهم وتحيلهم رماداً.

ج- نكسة حزيران في قصة قابيل وهابيل

يُبشر الشاعر أحمد دحبور بالنصر والخلاص متعالياً على المحن، ومتجاوزاً الجراح، ومستدعياً قصة قابيل وهابيل في قوله[١] :

قلت: في فوَّارة القيظ يجيء الفاتحون

وعلى ظهر حزيران المكابر

قلت عن طير الأَبابيل، وعَن ريح المَنون

إنها تَنهض من مَرج ابن عَامر

إنها تَبزغ من كُل الشُجون

إنها تَمتد في كُل مَدار

يَتصباه الجِياع الطَيبون

يعلن الشاعر أن طيوراً أبابيل من الشعب الفلسطيني المناضل، سيكون النصر حليفهم، وسيرمون المحتل بتلك الحجارة القاضية، كما يحدد الشاعر موضع خروج أولئك الأبطال بأنهم من مرج بن عامر، أهل جنين الأبطال الأوفياء.

د- التهديد والوعيد في قصة طيور الأبابيل

يعلن الشاعر يوسف الخطيب بأسلوب التهديد والوعيد مصير إسرائيل الواضح، والجزاء العسير الذي ينتظرهم، فيقول[٢]:

أأبـرهـة عَـادَ يـا مَـرحـبَـا ... سـقـاء الأبـابـيـل نَـار ودم

سَـتزخر منهـا رحـاب السَـمـاء ... تصـبّ عـلـيـه الـردى والشَـجـم

(١) دحبور، أحمد: الديوان. ط١، الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين.٢٠١٧، ج١، ص١١٤

(٢) الخطيب، يوسف: الأعمال الشعرية الجاهزة.ج٢، ص٢٦٦

فأبرهة المتمثل بإسرائيل وجيشها يرحب بهم الشاعر بأسلوب استهزائي، معلناً أن الشعب الفلسطيني (طير الأبابيل) كان شرابه الذي يستمد منه القوة هو الدم والنار؛ لتنصب على رؤوس الجيش الإسرائيلي، فتحيلهم أشلاء رماداً.

استمد الشعب الفلسطيني قوته بتلك الدلالات والمعاني الرمزية، فكان طيراً من أبابيل سخرها الله لنشر العدل والأمن والسلام، ومجابهة العدو الظالم، والخلاص من ذلك الظلم المتمثل بأبرهة الإسرائيلي، ليكون المصير الانتصار والعزة، والأمل المحقق بإحالة المحتل عصفاً مأكولاً.

٤- قصة إبراهيم عليه السلام في الشعر الفلسطيني، وأبعادها الدلالية

تمثل قصة إبراهيم عليه السلام عند الشعراء الفلسطينيين رمزاً للتحدي واستمداد القوة من شخصيته، إذ اتسمت شخصيته بالقدرة على مقاومة العدو الغاشم المتمثل بالنمرود في عصره، إضافة إلى محاربته الجهل والتخلف الكامن في عقول قومه بسبب عبادة الأصنام. وكانت النار التي أوقدوها لعقابه برداً وسلاماً.

ويأتي التحدي الأكبر الذي جاء بأمر الله ، فيأمره أن يذبح ولده قرة عينيه، ليتقبل هذا الأمر بكل طاعة، فيكافئه الله بذبح عظيم يفدي به ولده، وتسجل الاستجابة العقائدية أروع نماذج البطولة، "فيشع منها أكثر من معنى، وترمز إلى دلالات عظيمة، فهي الشخصية التي تجسدت فيها الخلة لله، والطاعة في ذبح الولد، وصفة التحدي حين واجه البشر، وما كانوا يعبدون، فكانت الشخصية صاحبة المعجزة الكبرى، الخروج ببرد وسلام من النار التي سجّرها له النمرود طاغية عصره"[١] ولجأ الشعراء الفلسطينيون إلى هذه الرمزية الدالة؛ ليستمدوا منها القوة الكبرى في مواجهة نمرود هذا العصر (المحتل)، وليأخذوا من معجزاته الكبرى آيةً للنصر والظفر وتحقيق الحرية.

أ- الانتفاضة الفلسطينية والنار في قصة إبراهيم عليه السلام

يوظف الشاعر محمد عمر قشير قصة النبي إبراهيم، ويستل منها النار التي كانت برداً وسلاماً على إبراهيم مستمداً من سياق القصة دعاءً وابتهالاً في سياق مواجهة نمرود هذا العصر (شارون) في قوله[٢]:

هَذي الليلة

(١) شرّاد، شلتاغ عبود: أثر القرآن في الشعر العربي الحديث. ص١٦٥

(٢) قشير، محمد عمر: أنا من يافا بلد المحبوب. ص١٥

أغرقَ شَارون المُجرمُ شَعبي بالنار...

هَدم الدَار..عَلى من في الدار..

كُوني بَرداً وسَلاماً يا نار...

عَلى الثوار...

كوني يا أَحجار...

فَوق رُؤوس الشُهداء الأَبرار..

أَكاليل الغَار..

كُوني أَزهار...

تشكل عبارة (يا نار كوني برداً وسلاماً) مقاربة دلالية تتوزع على النار التي أشعلها المجرم شارون والنار التي أشعلها قوم إبراهيم، فيأمل الشاعر أن تكون نار شارون برداً وسلاماً على الفلسطيني كما كانت برداً وسلاماً على إبراهيم النبي.

ب-نكسة حزيران وقصة النبي إبراهيم

يستحضر الشاعر قشير مشهد الحطب الذي جمعه قوم إبراهيم عليه السلام في سياق حديثه عن النكسة، ليجعل من الكفار الذين قاموا بجمع الحطب في زمن إبراهيم؛ لحرقه، هم ذاتهم المحتل الصهيوني الذي يقوم بالتخطيط للقضاء على الفلسطينيين. فيقول[1]:

قَالوا..

كَتبوا..

زَعموا...

في الخَامس من شَهر حُزيران..

وفي القَرن العشرين..

بأن الكُفار الليلة..

(١) قشير، محمد عمر: أنا من يافا بلد المحبوب: ص٤٠

جَمعوا كل الأَحطاب..

وَقدْ حَرقوا إِبراهيم

فالشعب الفلسطيني المظلوم هو إبراهيم النبي، غير أن المفارقة العكسية في الدلالة تكمن في أن إبراهيم نجا من تلك النيران، أما الشعب الفلسطيني، فلم يسلم من نار تلك النكسة.

وتتحول النار من دلالة العذاب إلى دلالة الثورة لدى الشاعر مأمون جرار في قوله [١]:

أَوقَدي يَا نَار لَكن لا تَكوني

في رِحاب الأَرض بَرداً وَسَلاماً

واملئي الأَرض قتامًا

يتمنى الشاعر بأسلوب الأمر من نار الثورة أن تهب في نفوس أبناء الشعب الفلسطيني من أجل السعي نحو النضال والتحرير، فيدعو نيران الثورة أن تهب وتشتعل غضباً في وجه المحتل الغاصب، بلا رحمة أو شفقة.

ج- القدس في سياق قصة النبي إبراهيم

يدعو يوسف الخطيب الله أن يُحِل الأمن والسلام على مدينة القدس بعدما تعرضت له من انتهاكات وعدوان مستمر، فيقول[٢] :

- فيا نَار كوني عَلى القُدس بَرداً وسَلاماً

وظلاً حَميماً...وطلّاً، وأَندى

- ويا نَار كُوني سَلاماً
ويا أُمة العَرب قومي
ويا مُؤمنون، قياماً

يتضرع الشاعر إلى الله أن يكون العدوان على مدينة القدس برداً وسلاماً، ومحرضاً العرب على النهوض من سباتهم والثورة على المحتل.

---

(١) جرار، مأمون: الأعمال الشعرية.ط١،دار المأمون للنشر والطباعة، الأردن،٢٠١١،ص٣١

(٢) الخطيب، يوسف: الأعمال الشعرية الجاهزة.ج٣،ص٣٦٨

د- التحوير الدلالي في قصة النبي إبراهيم

يُضفي الشاعر علي الخليلي دلالة جديدة على النار في سياق قصة إبراهيم في قوله: [1]

لِماذا لا يُضيء المَكان ؟؟؟؟

لِماذا؟

...

أم أَنها النَار وَحدها

أيها المَعدن الكستنائي السَخيف

ولا كَستناء

ولا غَامض أَو واضح أو أي شَيء؟

يا نَار كوني بَرداً ولا سَلاماً تَكونين،

وأَصابعي مُشتعلة.

لا تزال نيران الاحتلال التي تحرق الشعب الفلسطيني مشتعلة، يعاني منها شعبنا، غير أن هذه النيران ستحرق العدو في يوم ما، بعد تأجج مشاعر الفلسطيني فيثور ثورته منتصراً، ويخرج سالماً كإبراهيم النبي الذي انتصر على عدوه.

هـ- تضحية الفلسطيني وقصة النبي إبراهيم

يتساءل الشاعر أحمد دحبور عن وطنه وشعبه مستدعياً قصة إبراهيم عليه السلام مع ابنه إسماعيل الذي أمر بذبحه فكان من الطائعين، وجزاءً له فداه الله بذبح عظيم، فيقول[2] :

ما أَخبارُ دَاري؟

رَحيل في رَحيل

---

(١) الخليلي، علي: ديوان هات لي عين الرضا، هات لي عين السخط.ط١، وزارة الثقافة الفلسطينية، ١٩٩٦،ص٢٢-٢٣

(٢) دحبور، أحمد: الديوان.ج٢،ص٥٩

وإبراهيم يَفدي بابنه حلماً من شَأنه أن يَستعيد النَعيم

وفَديناه بذبح عَظيم

هل أنا الكَبش؟

وإلا فِلماذا مَوتي اليَومي؟!

يتحسر الشاعر على حاله المزرية بسبب ظلم المحتل الغاشم، فيتساءل عن داره ومحنته، فيجري مفارقة دلالية بينه وبين إبراهيم النبي في قصة فدائه لابنه إسماعيل، فهو يرى إبراهيم قد امتُحن في أغلى ما يملك وهو ولده، ومع ذلك نفذ أمر الله، فنجاه وولده بالكبش العظيم، أما الشاعر فيرى أن الشعب الفلسطيني هو الكبش المضحي بنفسه من أجل سلامة أبناء وطنه، فيكون الفلسطيني رمزاً للتضحية كما كان إسماعيل عليه السلام.

يدور الفضاء الرمزي في قصة إبراهيم عليه السلام عند الشعراء الفلسطينيين حول الرفض والتمرد في وجه الظالم، وأن من يقتدي بإبراهيم من أبناء الشعب الفلسطيني فإن الله سيعينه وينجيه من نيران الاحتلال كما نجا إبراهيم من نار النمرود الظالم، وأن محن الله في النهاية تتحول إلى منح إذا توشحت بالصبر والإرادة، وأن الله سيقلب الحال البغيض، ويرسل معجزة تنجي الشعب من الهلاك كما نجا إسماعيل من سكين إبراهيم بالكبش المبارك.

٥- قصة موسى عليه السلام في الشعر الفلسطيني، وأبعادها الدلالية

اتجه الشعراء الفلسطينيون إلى استدعاء قصة موسى عليه السلام بدلالاتها ومعانيها الرمزية المختلفة، إذ وجدوا في شخصية هذا النبي الأكرم وسيرة حياته ما أعانهم على الصبر والتحمل والجلد في معايشة واقع مليء بالظلم والقسوة، وفي ظل حاكم يتصف بالجبروت، فأول أيام حياته امتُحن بالابتعاد عن أمه ليعيش في كنف عدوه بعد مرحلة عصيبة في اليم، تداركها برحمة من الله، ليتعرض بعدها إلى حوادث واجه فيها الظلم والعذاب والهجرة حتى أيده الله بنصر منه، وبمعجزات كانت له النور والهداية.

استدعى الشعراء هذه الشخصية؛ ليستمدوا منها القوة في تحمل مخاض الحياة، ومواجهة عدوانية المحتل الغاشم (فرعون هذا العصر)، الذي طغى وامتد جوره. وأصبح النبي موسى في القصيدة الفلسطينية فضاءً للعزيمة والإرادة، وآفاقاً للخلاص والتحرر.

يشكو الشاعر يوسف الخطيب حال أمة جرحت كرامتها العربية بعد نكسة حزيران، ويقرر أن يتبع طريقاً يوصله إلى العزة بعد ذل طويل، فكتب قصيدة (الطريق إلى محمد) مستخدماً دلالات رمزية لنبي الله موسى عليه السلام عندما خلف أهله في الصحراء بعدما تاه فيها فيقول[١] :

أبَـا الـعُـروبـة، إنـي خـارجٌ لـغـدٍ ... من غيم أمسِـــك، وافي الغيث، منهمل

آنســـت نـارك في الظلمـاء آن خبـت ... على مـدار الـدجى كـذابـة الشـــعـل

إنـي لـواردك الســـقيـا علـى عجـل ... وصَـــادر عنـك، بـالرُؤيـا، على عَجـل

يستلهم الشاعر قول الله تعالى: ﴿**إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى** ﴾[٢]، ليحدث مقاربة دلالية بينه وبين نبي الله موسى عليه السلام، فقد ترك الأخير زوجه وعياله في صحراء يسودها البرد الشديد، لا يعرف المسار الصحيح، أما الشاعر فيروي حالة أمةٍ أصابها الضياع والتشرد، وعانت من التشتت والفرقة والنزاع، غير أن الفرق بينهما أن موسى عليه السلام آنس ناراً وجد فيها الهدى وطريق الحق، وقد "قال آنست ولم يقل أبصرت أو رأيت؛ طلباً للأنس ورغبة في الطمأنينة لا لنفسه فحسب وإنما لزوجه التي لا يقل خوفها عن خوف زوجها"[٣].

وبينما يصف عمر عتيق أن النار التي وجدها الشاعر كانت صفتها كذابة الشعل، يرى الباحث خميس جبريل أن الشاعر قد عنى بكذابة الشعل "تلك الشعارات الزائفة، والأيديولوجيات الفكرية التي ملأت العالم عرضاً وطولاً، بادّعاء الحفاظ على القيم والحقوق والحريات الإنسانية"[٤] وترى الباحثة أنها تلك الادّعاءات والوعود التي نادى العرب بها لتحرير فلسطين في فترة النكسة، غير أنها كانت عبارة عن أوهام ضالة، لم تفعل شيئاً سوى أنها تركت أبناء الشعب الفلسطيني في تيه يعانون الجراح، فكانت أحداث موسى عليه السلام بدلالاتها المعكوسة عند الشاعر معبرة في ظل نكسة هدمت طموحاً وآمالاً كبيرة عند الشعب الفلسطيني.

---

(١) الخطيب، يوسف: الأعمال الشعرية الجاهزة.ج٢،ص٢٥٠-٢٥١

(٢) طه: ١٠

(٣) عتيق، عمر: التناص الديني في شعر يوسف الخطيب. مجلة مجمع القاسمي للغة العربية، ع٦، ٢٠١٢، ص٢٠١

(٤) جبريل، خميس: التناص في شعر يوسف الخطيب. رسالة ماجستير، إشراف: أحمد جبر شعث، جامعة الأزهر، غزة،٢٠١٥، ص٢٨

أ- التفاؤل بالخلاص والنصر وقصة النبي موسى

وصف الشاعر أحمد دحبور الأجواء التي سبقت حرب حزيران، وانتشار الآمال في تحقيق النصر على الاحتلال الغاشم في قوله: [١]

ولقد آنستُ ناراً،

قبسا يمخر أعماق السكون:

باسم رمح الأمل المزروع في نهر العيون

باسم جوع يقتل الأطفال .. كافر

أَعبر النَهر المُجاور

يحرص الشاعر على تجاوز المحنة، ومن باب زرع الأمل في النفوس بتحقيق الخلاص من العدو الغاشم والانتصار المحقق الذي بات مشهده قريباً، يعلن الشاعر مواجهته وتحديه لكل ظلم وظالم، وذلك من خلال استنهاض همم الشعوب وبذور الأمل المغروسة في نفوسهم، ليأنس بقبس من نار التحرر والانتصار.

ب-الاحتلال وفرعون في قصة النبي موسى

يستدعي الشاعر لطفي زغلول شخصية فرعون الذي يعد الشخصية الأكثر ارتباطاً بسيدنا موسى، "وقد اقترن اسم فرعون منذ زمن بعيد بالظلم والطغيان والألوهية الزائفة، ومجابهة دعوات الحق والسلاح"[٢]، فاستخدمها الشاعر زغلول رمزاً لظلم الاحتلال الصهيوني في فلسطين الذي مارس أبشع ألوان العذاب بحق الشعب، فيقول[٣]:

فِرعَون هُنا.. فِرعون هناك،

يَصول يَجول بكل مَكان

لَن أَقذِفَ أَطفالي في تَابوت اليَمّ

---

(١) دحبور، أحمد: الديوان.ج١، ص١١٣

(٢) شرّاد، شلتاغ عبود: أثر القرآن في الشعر العربي الحديث.ص١٦٢

(٣) زغلول، لطفي: مدار النار والنوار.ط١، اتحاد الكتاب الفلسطينين،القدس،٢٠٠٣،ص٥٣-٥٤

عَسى يَتلقاهم شَطٌّ أو بَر أمان

أَطفالي لا يَخشون المَوت

يعلن الشاعر التحدي والمواجهة، فالاحتلال المتمثل بفرعون قد طغى وانتشر ظلمه في كل الأرجاء، فيقرر الشاعر عدم الاستسلام، إذ لن يقوم بفعل أم موسى بإلقاء ابنها خوفاً من بطش فرعون، بل إنه وشعبه سيواجهون المحتل، لأنه شعب لا يخشى الموت في سبيل محاربة الظلم والعدوان.

يجسد استدعاء قصة موسىﷺ في الشعر الفلسطيني محطة للتعبير عن معاناة الشعب الفلسطيني في ذكرى النكسة التي خيّبت الآمال، ولم تجلب سوى الآلام، فكان نور الله الذي أَنِسَ به موسى النبي رمزاً لنور كاذب أحبط أبناء شعبنا بالخلاص، غير أن الشعراء استمدوا من قصة موسى العزيمة واليقين بالخلاص والنصر.

٦-قصة هجرة النبي محمد من مكة، في الشعر الفلسطيني، وأبعادها الدلالية

وصل صوت قضية الشعب الفلسطيني وما تعرضوا له من قبل الاحتلال أرجاء العالم، ومن أبرز تلك القضايا التي كان لها الأثر الكبير في النفوس، قضية اللاجئين، فكانت منبع الشرارة التي حركت مشاعر الشعراء في الوطن العربي.

وجدوا في الرسول الكريم القدوة والمثال في الصبر على هذه الأحوال، فهو أشرف الخلق، قد تعرض للأذى من قبل قومه، وهاجر من أحب البلاد على قلبه، حيث نشأ وترعرع عليه الصلاة والسلام، فلله دره ما أصبره على المصائب! لذلك استدعى الشعراء سيرته في الهجرة واختباءه في الغار خوفاً ممن يتربصون به، ذاكرين أبرز عنصرين كانا لهما الشرف في تخليد سيرتيهما، وهما الحمامة والعنكبوت اللتان سخرهما الله لسيدنا محمد ﷺ لتكون لهما دلالة جديدة تعبر عن السياق السياسي الفلسطيني.

أ- اللاجئون الفلسطينيون وقصة الغار

تبرز مفارقة في قصائد للشاعر أحمد دحبور الذي اتخذ قصة الهجرة والغار فضاءً للمقاربة والمفارقة في قوله[١] :

السيد الأَمين

(١) دحبور،أحمد:الديوان.ج١،ص٧٣

كانَ لَه مَغارة وخَيط عَنكبوت

فلفّت المطاردين خَيمة السُكوت

كَانَ لَه تَميمة البَقاء من حَليمة

وُقته حمّى اليتم والتَشرد المَمقوت

***

واليومَ حين ألغيت حَليمة

وماتت الأَسرار في التَميمة

عَادوا من الطراد قَائلين

ليس له مغارة.. وفي غد يموت

يصور الشاعر إجماع المشركين على قتل محمد ﷺ، فلجأ مع صاحبه إلى غار ثور، ويروي بعض المفسرين أن العنكبوت نسجت خيوطها على باب الغار الذي اختبأ فيه وصاحبه. ليحدث الشاعر مفارقة بين ما حصل مع النبي ﷺ وما حدث للشعب الفلسطيني في تعرضهم للهجرة والنفي، فالرسول ﷺ عندما هاجر من مكة واختبأ في الغار حماه نسيج العنكبوت، أما النازحون والمهجرون من أبناء الشعب الفلسطيني، فلا مغارة أو خيوط تأويهم، ويقصد الشاعر بالمغارة تلك الدول العربية التي لجأ إليها الفلسطينيون، فما وجدوا في بعضها الأمن والأمان والسكينة كـ(حضن حليمة)، وما وجدوا فيها المأوى الذي يقيهم من الموت.

ويعمد الشاعر سميح القاسم إلى حزمة من الأسئلة في سياق المقاربة في تفاصيل الهجرة والغار ومعاناة اللاجئين الفلسطينيين في قوله [1]:

أحراء ! هل هجرت حمامتُك الوَديعة ؟

هل جَفَتك العَنكبوت ؟

أَحراء

هل دَهمت قُريش أَمان لائِذك الكَريم ؟

(١) القاسم، سميح: الأعمال الكاملة. دار سعاد الصباح، القاهرة،١٩٩٣،ج٤،ص٢٥-٢٦

فَراح تَحت سَنابك الكفّار

مغدوراً يموت ؟ !

عَادت مني وأبو لهب

عادا ... فما تبت وتبّ !

نلاحظ تغييراً في اسم الغار، فهو " حراء " بدلاً من " ثور ". ولعل الشاعر قد أخطأ في اسم الغار. فالشاعر يتساءل عن وسائل الأمان التي ينبغي أن تكون في مناطق لجوء الفلسطيني المشرد، تعويضاً لهم عن غربتهم، غير أنه لا حمامة ولا عنكبوت، لا وجود لأي وسيلة تحميهم من خطر المحتل الذي رمز له بقريش، فالمفارقة هنا أن النبي عندما داهمته قريش هاجر ولجأ إلى الغار، فحمته خيوط العنكبوت والحمامة الوديعة، بينما الشعب الفلسطيني عندما داهمته قوات الاحتلال الصهيوني هاجر إلى مناطق اللجوء، فلم يجد فيها أمناً ولا حماية.

أما الشاعر معين بسيسو فيستحضر هذه القصة معبراً عن حيرة وقلق في ربطه بين الغار الآمن ومصير اللاجئ الفلسطيني في قوله[1]:

أَبحَثُ عَن مَغارة جَديدة

عَن قَافيه

غَار حِراء أَين؟

عَنكبوت هذا العَصر وَاشية

ثَرثارة

وهذه اليَمامة البَيضاء

ذاتِ الطَواف والخِلخال زَانية

تَبيع بَيضها وعُشها

لقاءَ ملء حَوصله.

(١) بسيسو، معين: الأعمال الكاملة. ط٣، دار العودة، بيروت،١٩٨٧، ص٦٠١

يتساءل الشاعر في غمرة معاناة الشعب الفلسطيني ووسائل القمع والردع التي تمارس بحقه، عن إمكانية وجود مكان آمن يأوي الشعب الفلسطيني المهجر، ليحدث انزياحاً مكانياً في(حراء)، فالشاعر يخشى على أبناء شعبه عدم وجود الأمن في مناطق اللجوء.

لذلك يبدو عاجزاً باحثاً عن وسائل تحميهم، وعن مغارة تأويهم، فأحدث انزياحاً في دلالة الحمامة والعنكبوت، فالعنكبوت التي حمت الرسول بخيوطها هي اليوم واشية وثرثارة، كمن يريد الإيقاع بأبناء الشعب الفلسطيني في مناطق لجوئهم، وكأصحاب الكلمة الذين أضاعوا حق الشعب والوطن، فلم يصرّحوا إلا بالزيف والخديعة، وكذلك الحمامة التي لم تعد طاهرة، تلك التي تبيع كلماتها المأجورة بعيداً عن شرف هذه الأمة وحقها الذي يجب أن يسترجع بهمة الشعب وسلاح كلمتهم، بهذه المفارقة الدلالية الواضحة يظهر بسيسو الأسى بسبب مصير اللاجئ الفلسطيني.

وفي قصيدة طويلة للشاعر تميم البرغوثي، بعنوان (تقول الحمامة للعنكبوت) يستدعي الشاعر هذين الرمزين في قصة الهجرة النبوية بأسلوب شائق وجذّاب، وذلك من خلال الحوار ما بين الحمامة والعنكبوت، فيقول(١) :

تقول الحمامة للعنكبوت: أخيه تذكرتني أم نسيتِ؟؟

عشية ضاقت علي السماء فقلتِ على الرحب في الغار بيتي

وفي الغار شيخان لا تعلمين حَميتِهما يومها أم حُميتِ

جليلان إن ينجوا يصبحا أمة ذات شمل جميع شتيت

تصف الحمامة في حنايا القصيدة بطولتها مع العنكبوت في حماية أشرف خلق الله وصاحبه، غير أن نبرة الحزن تبرز في نهاية القصيدة بسيل من التساؤلات في قوله:

أُخية مَاذا جَرى لَهما؟؟؟

أترى سَلِما؟؟

يا أخية مَاذا جَرى لأَرى ما أَرى

فلقدْ طُفت مَا طفت تَحت السَما

لَم أَجد أَحدا منهما

(١) البرغوثي، تميم: ديوان في القدس. دار الشروق، مصر،٢٠٠٩،ص٥٣

وكأنهما لم يكونا هنا

لم يَحلا لم يَرحلا

يا أُخية ضَيفاك مَا فَعلا؟

أو لم يصلا للمدينة أم وصلا؟

يا أخية ضيفاك ما فعلا؟

أترى قتلا أترى أسرا؟

أترى بقيا صاحبين أم انفصلا

يا أخية ضيفاك ما فعلا؟؟؟[1]

تظهر مأساة الحمامة في تساؤلاتها المتتالية عن النبي وصاحبه، إذ إن أثرهما الواضح الذي خلّفاه للأمة قد تبدد، فتتساءل بغرابة ودهشة حول ما إذا كانا قد قتلا أو أسرا أو لم يصلا إلى هدفيهما، فالعدل لم يعد موجوداً، ولا حتى تلك الوحدة التي وحدت الشعوب، وينتهي الحوار بطلب الحمامة من العنكبوت حارسة الغار _كما لقبتها_ أن تقص على الأجيال القادمة حكاية الصاحبين حتى لا تنسى، ولكي تبقى الأسوة على مر العصور.

تَقول الحَمامة لما رَأت

روح حَارسة الغار فاضَت

وقد أَصبحَ الغار من بعدها طَللا:

تعزي قَليلاً وَخلي من الدَمع ما هَملا

ثم ميلي إلى كل طِفل وَليد

قصي عليهِ الحِكاية قولي له

في زمانٍ مضى

---

(١) البرغوثي، تميم: ديوان في القدس: ص٥٥

حل في غَارنا عَربيان وارتَحلا [١]

شكلت قصة الغار حضورًا وافراً عند شعراء عاشوا مرارة الهجرة، وأحسوا بعمق المعاناة التي يشعر بها من يُطرد من بيته ووطنه الذي أحب، أما وسائل الحماية التي يحتاجها الفلسطيني اللاجئ، فلا حمامة موجودة ولا خيوط العنكبوت.

٧- قصة الإسراء والمعراج في الشعر الفلسطيني، وأبعادها الدلالية

يجسد المسجد الأقصى منارة تشع منذ آلاف السنين، فتضيء تاريخ عقيدة فذّة أذهلت العقول، وجعلت منه محط أنظار للطامعين، ويزداد رونق تلك المنارة بأعظم حادثة تجلّت في رحاب هذا البيت العتيق، حادثة الإسراء والمعراج، التي أضفت القداسة والخلود للمسجد الأقصى، وفي أذهان خلق الله، فباتوا يأتون للصلاة في أكنافه، والتعبد في حناياه. ناهيك عن دور الشعراء الفلسطينيين الذين نشأوا في أطهر بقعة من بقاع الأرض، وفي أعظم عاصمة، ليظفروا بحق الريادة في ذكر مدينة القدس بأشعارهم، وفي الدفاع عن حرماتها التي انتهكت على أيدي قوات الاحتلال الصهيوني، فكان ذلك أشد وقعاً في نفوسهم وأصدق نبلاً؛ لأنهم أبناء الأرض والوطن.

ومن الشعراء الذين اهتموا بمعجزة الإسراء والمعراج محمد عمر قشير الذي صور حائط البراق، أو كما سمّاه الشاعر حائط المعراج، ذلك الذي ربط به النبي الأكرم دابته البراق، و شكلت هذه قضية كبرى عند أبناء الشعب الفلسطيني في مقاومتهم المحتل الصهيوني الذي استولى على ذلك الحائط محرفاً اسمه إلى حائط المبكى، فروايتهم تقول إن هذا الحائط هو ما تبقى لهم من أثر هيكل سليمان المزعوم، لتبدأ النزاعات بين أبناء شعبنا الفلسطيني وبين المحتل الغاشم، وفي سياق ذلك يقول قشير مدافعاً عن حقنا[٢]:

جحا.. مسماه (المبكى)..ولا مبكى...

فهذا حَائط المعراج..

يوم بُراقنا أهدى..

رَسول الله للقدس...

وفي سَاحاته صَلى...

---

(١) البرغوثي، تميم: ديوان في القدس: ص٥٦

(٢) قشير، محمد عمر: أنا من يافا بلد المحبوب.ص٥٦

وفي سَاحاته سَبح...

يتخذ الشاعر من المثل الشعبي (مسمار جحا) مدخلاً للرد على افتراءات اليهود؛ فالشاعر ينفي ادعاءات بني صهيون في حقهم بهذا الحائط العظيم، متخذاً من قصة جحا ومسماره[١] مثلًا لبيان حقيقة زيفهم وادّعائهم الكاذب، فهذا المثل يضرب لاتخاذ الذرائع والحجج في إزعاج الناس وسلب حقوقهم بطريقة بلهاء، فيضرب الشاعر هذا المثل؛ ليجعل من جحا رمزاً لبني صهيون، ومسماره رمزاً لحائط المبكى، الذي قام بغرسه في قلب الأمة العربية، والفلسطينية، محاولاً أن ينسينا هذه الجزئية المباركة من المسجد الأقصى، فيكون الرد من الشاعر قوياً، نافياً تلك الملكية الزائفة، ومعلناً أن هذا الحائط جزء أصيل من المسجد الأقصى، فهو ملك لمدينة القدس ولفلسطين. ويستذكر الشاعر ويعزز الحق الفلسطيني العقائدي بتصوير صلاة النبي إماماً بالأنبياء في المسجد الأقصى.

أما الشاعر يوسف الخطيب، فيمزج في سياق مخاطبته للبنان وأهلها وخاصة جبل عامل بجماله وبهائه وبطولته، محدثاً التلاحم بين الطوائف، فيقول[٢] :

يـا ذرى عـامـلٍ، هنـا قـد تمـاهى ... فـي عـلاكِ، الأبـنـاء، والأنـبـيـاء

لـلـغـطـاريـف مـن بـنـيـك بُـراق ... فـلأي الـمَـعـارج الإسـراء؟!

يمدح الشاعر جبال عامل اللبنانية كونها ملاذاً لعدد كبير من العلماء المثقفين الذين هم بمقام الأنبياء، وللأبطال الذين امتطوا براقاً يطير بهم في رحلة العظمة والبسالة الخالدة في هذا الجبل، ليحدث الشاعر توافقاً وتمازجاً دلالياً بين رحلة الإسراء والمعراج، والرحلة إلى هذا الجبل الذي يقع في حضن لبنان عنوان العزة والعنفوان، فكلاهما يتصف بصفات عظيمة ومزايا خالدة تؤجج في النفس المشاعر المقدسة، فالشاعر يضفي على جمال جبل عامل وأهله الأفاضل القداسة بأسلوب الاستفهام التعجبي (فلأي المعارج الإسراء؟!!)، فيرفع من قيمة هذا الجبل ليصل إلى مرتبة القدس.

---

(١) تحكي القصة أن اثنين باع أحدهم بيته للآخر، واشترط في العقد أن يبقى بيع البيت ماعدا مسمار، ويكون له الحق في أن يأتي للمسمار كلما أحب، فوافق المشتري على أساس أنه أمر وقتي، ولكنه فوجئ بحضوره كل يوم صباحاً ومساءً؛ حتى يطمئن على المسمار، حتى استاء أهل البيت من ذلك، ولكنه لم يقف على فعل ذلك معللاً حقه في المسمار، وظل البائع يذهب يومياً للرجل بحجة مسماره العزيز، وكان يختار أوقات الطعام ليشارك الرجل في طعامه، فلم يستطع الرجل الاستمرار على هذا الوضع، وترك المنزل بما فيه وهرب!! **ينظر: عشماوي،أماني: حكايات جحا. ط٢، مطابع دار الحدائق، بيروت،٢٠١٦، ص٣٥**

(٢) الخطيب، يوسف: الأعمال الشعرية الجاهزة.ج٣،ص٢١١

ويعتذر في قصيدة (الرهان) من فلسطين بسبب الخذلان، فيقول[١] :

ألا إنـا خـذلنـاك مسـرى الرسـول

فـلا عـزّ فـوق الـثـرى عـربـيٌ ولا صـح فـي دينـه مسـلـم!!

يعبر الشاعر عن الخذلان بسبب موقف العرب ن قضية فلسطين، وبسبب تخاذل أبناء الشعب الذين لا يحركون ساكناً، ويتضرع إلى الله أن يعيد الإسراء والمعراج مرة أخرى، وذلك بأن يرسل عبداً يطهر فلسطين من رجس الاحتلال، ويتمنى أيضاً أن يكون يسوع هو ذلك المخلص الذي يمتطي براقه ليطرد المحتلين كما طرد الصيارفة[٢] من القدس، فيقول[٣] :

وأرسـل "يسـوعا" على صـهوة البرق

يشـعل رأس فلسـطين، خمراً، وجمراً فـمِـن أَيـن تَسـتَسـلـم؟!

ويصور الشاعر أحمد دحبور في قصيدته (بيان الفقراء) حادثة الإسراء والمعراج، بدلالة مغايرة، يضفي عليها دلالات رمزية تتناسب وحالة الكفاح، فيقول[٤]:

يَطلع الآن بُراق من دِماء

يَبدأ الإسراء من ذَاكرة الأَرض في أَرض البِداية

بِجناحَين استقاما غَيمة،

لا.. خَيمة،

لا.. وَردة تصبح راية

ويدين التَقتا.. ماذا رأينا؟

يتحول براق الرسول إلى دماء الشهداء الذي ضحوا بأرواحهم في سبيل الوطن، لتبدأ رحلة الإسراء عائدةً إلى أرض البداية، أرض الشعب الفلسطيني الذي عاش في كنفها قبل أن يهجّر ويحرم منها، "وهذا

---

(١) الخطيب، يوسف: الأعمال الشعرية الجاهزة: ج٣، ص٢٧٦

(٢) هم الصـيارفة الجالسـون في الهيكل؛ لتغيير النقد الروماني إلى نقد يهودي للحصـول على نقود مُرخّصـة للتقادم، حيث كانت ضـريبة الهيكل تدفع بالعملة اليهودية. **ينظر: حزبون، لويس: الأحد الثالث للصـوم: طرد الباعة من الهيكل.موقع أبونا، صادر عن المركز الكاثوليكي للدراسات والإعلام، الأردن، ٢٠١٥. http://www.abouna.org**

(٣) الخطيب، يوسف: الأعمال الشعرية الجاهزة.ج٣، ص٢٧٥

(٤) دحبور، أحمد: الديوان.ج١، ص١٦٥

البراق المستدعى له جناحان من غيمة تتحول إلى خيمة "مخيمات الشتات" ثم تتحول إلى وردة ثم إلى راية ترمز إلى راية النصر والعودة"[١]، فتغير تلك الأجنحة من تغير الشعب وإرادته التي سيجعل منها يوماً ما؛ راية لتحقيق الثورة والانتصار.

أفرد الشاعر حسني البوريني[٢] قصيدة كاملة بعنوان الإسراء والمعراج ليتغنى في بدايتها بتلك الحادثة العظيمة التي حيرت العقول والأفكار، مبيناً معاناة النبي الأكرم، ويظهر شرف المسجد الأقصى، فيقول[٣]:

كَم آيــة حَــار فيهــا العَقــلُ والفِكر ... واسَـــتعظمتها النهى والجِن والبَشـــر

أَســـرى بِــكَ الله لَـيـلاً يَـوم تَـكرمــة ... بَعـد العَنــاء وكــادَ القلــبُ يَنفطر

جِبريــل جَــاء وَرب الكَون مُرســـلــه ... علـى البُراق لأَمـر سَـــاقــه القَـدر

والمَســـجد الأَقصـــى قَد بَات يَرقبهم ... والأَنبيــاء وَتلــكَ الرُســـلُ تَـنتظر

يذكرنا بتلك الحادثة التي حصلت في تلك الليلة العظيمة، ومدى شوق ذلك المسجد وضيوفه من الأنبياء والرسل الذين كانوا ينتظرون وصول النبي الأعظم، غير أن نبرة الشاعر تتغير إلى حزن وأسى على ما حلّ بالمسجد الأقصى من ويلات وانتهاك للحرمات، فينادي بأعلى صوته[٤] :

مَســـرى النَبي يَضـــيعُ اليَوم مِن وَهن ... أينَ المُثنى؟ أَمــا في قَومنــا عُمر؟

لَن نُســـلمَ القُدسَ للتَهويـد مَـا بَقيت ... أَنفاسُـــنـا فِينـا، ولتَغضـــبي مضـــر

فـالنصـــرُ بـاتَ قَريبـاً كـدتُ أَلمحـه ... والكفر عمّـا قَريـب سَـــوف يَنـدحر

يــا رَايــة الخَير حطي فـي مَرابعنــا ... يــا أمــة العرب بـالإســـلام ننتصـــر

هـيّــا فـقـومـوا لـنـبـنـي مَـوطـنـنـا ... لا يَصـــنع المَجد حَتى يَقدح الشَـــرر

يبكي الشاعر أحوال مسرى النبي الأطهر الذي ضاع بفعل تقاعس العرب ونومهم الطويل، وتملؤه الحسرة بسبب عدم وجود فرسان كالمثنى وعمر؛ ليعيدوا مجد الأمة التليد، غير أن شرارة الحماسة لا تنطفئ في قلب الفلسطيني الذي ارتوى من ماء الوطن، ورواه بدمائه، فيعمل الشاعر على شحذ الهمم

---

(١) عتيق، عمر: نبض الســيرة الذاتية في شــعر أحمد دحبور وتقنية التناص. موســوعة أبحاث ودراســات الأدب الفلسطيني. العدد٥١، ج٣، ص١٨

(٢) حســني محمد البوريني: من مواليد عام ١٩٥٥، من بلدة عصــيرة الشــمالية في مدينة نابلس، عضــو في المجل التشريعي الفلسطيني. من دواوينه: شوق وشوك. (مراسلة إلكترونية)

(٣) بوريني، حسني محمد: ديوان شوق وشوك.ط١، مطبعة حيفا، فلسطين، ٢٠١٤،ص١٥٧

(٤) المصدر السابق: ص١٥٨

بإعلان رفضه الاستسلام، وتحريضهم ليهبوا نصرةً لوطنهم وشعبهم العظيم، فيدعوهم للجهاد ولبناء وطن عزيز، فراية الانتصار لن ترفع إلا بالتضحية والبطولة.

تلك الإبداعات الفنية والصور الدلالية مكنت الشعراء من تضمين الرموز القرآنية بإيحاءاتها المختلفة، التي تنم عن ثقافة شعراء فلسطين، الذين عملوا على استدعاء شخصيات وأحداث كان لها دور في التعبير عن قضية شعب تعرض للتهجير والظلم والتهميش والطمس.

الفصل الثاني: الفضاءات الدلالية لقصة يوسف عليه السلام في الشعر الفلسطيني المعاصر

المبحث الأول: المنفى ومعاناة اللاجئين

المبحث الثاني: عودة اللاجئين

المبحث الثالث: مرايا وطنية في قصة يوسف

المبحث الرابع: العناقيد الدلالية في قصة يوسف

مدخل

يبحث الإنسان المؤمن عن أي وسيلة تنسيه كثرة الابتلاءات، وتبعده عن طريق الانحراف، وخاصة قصص القرآن الكريم، التي تتغلغل تفاصيلها في أعماقه، لعلّه يجد فيها صلاحاً لأحواله المتعثّرة، ومن بين بحور القصص الزاخرة بدررها البديعة، وجد الشاعر في سورة يوسف وقصته نبراساً في حياته، وعوناً له على شدائده.

إنها قصة من يشعر بالهم، ومن يعاني الغربة والغم، ومن يمرّ في رحلات عمره بالكيد والظلم، هي سورة مكية، عدد آياتها ١١١ آية، يتدبرها المؤمن ليكشف الله عنه الهم والحزن، نزلت على رسول الله الذي مرّ في فترة عصيبة، كان بحاجة إلى قصة تقوي أزره وتشحذ همته، " فبين عام الحزن بموت أبي طالب وخديجة سنديْ رسول الله، وبين العقبة الأولى ثم الثانية التي جعل فيهما لرسول الله وللعصبة المسلمة معه، وللدعوة الإسلامية، فرجاً ومخرجاً"[١]، واست رسول الله، وكل من قرأ هذه السورة، وجد فيها فيها ملاذاً ربانياً يحقق السكينة والطمأنينة لنفسه وقلبه.

سورة متكاملة تختلف عن غيرها من سور القرآن في إفرادها لشخصية نبي عظيم، تروي تفاصيل قصته الشائقة من بدايتها إلى نهايتها، وتروي فصول معاناته التي لقيها منذ طفولته حتى وصوله إلى العرش والمنزلة العظيمة، وهذه السورة "آيات متناغمة تتماوج فيها الانفعالات ظهوراً واختفاءً، قوةً وضعفاً، حسداً وإيثاراً، حباً وكراهية"[٢]، فكان فيها من الأحداث ما جذب الشعراء إلى استلهامها في أشعارهم، إذ وجدوا فيها متنفساً يعبرون من خلاله عن واقع معاناة أمتهم.

تبدأ قصة يوسف برؤيا، وتنتهي بتحقيق هذه الرؤيا التي جعلت من شعراء فلسطين _على وجه التحديد_ يستدعون هذه القصة في أشعارهم، فهي السورة الملهمة؛ لما فيها من مضامين سردية وشعرية _تبقيها صالحة_ على مرّ الأيام والدهور،[٣] ولأنّ الاحتلال وباء ما زال شعبنا يعاني منه، لذلك عمد شعراؤنا إلى تصويرهم لرؤيا تتطور أحداثها، وصولاً إلى نهاية حقيقية، متمثلة بالخلاص من الظلم والوصول إلى العزة والحرية.

أفضى استدعاء الشعراء لقصة يوسف إلى إثارة ويقظة تنساب إلى ذهن القارئ، وألبسوها حلةً أعطتها رونقاً خاصاً مزداناً بدرر هذه القصة وجزئياتها، فكان استدعاؤهم لهذه السورة ثراءً واتساعاً يتيح

---

(١) قطب، سيد إبراهيم: في ظلال القرآن.ط٣٢، دار الشروق،مصر،٢٠٠٣،مج١، ص١٩٤٩

(٢) عشوي، مصطفى مولود: سورة يوسف قراءة نفسية. مجلة جامعة الملك سعود، السعودية،ع١٥، ٢٠٠٧

(٣) ينظر: الشولي، داوود سلمان. عالم العذرية المفقودة "دراسات في النص الإبداعي.د.م، ٢٠١٨،ص٧١

للشاعر رموزاً تسعفه في التعبير عمّا يريد من القضايا التي تشغل باله[١]، فهذه القصة قلبت الأدوار التقليدية المتعارف عليها، فالأخوة في الدم والعرق، والأقرب إلى النفس والقلب، هم الأعداء الذين كادوا لأخيهم خطة محكمة أودت به في غياهب الجب والمنافي والسجون، و"القارئ يتابع في هذه القصة نفوساً شتى متغايرة، ومختلفة متأثراً بها، ويقف عند فجواتها بين الموقف والموقف، وبين الحلقة والحلقة، يملؤها بالخيال الأخاذّ فيكون فيها منتجاً ومبدعاً"[٢]، فيتصرف الشعراء في تلك النفوس، ويغيّرون فيها بما يطابق واقعهم الذي يعبرون عنه.

يستثمر شعراء الحداثة رموز قصة يوسف، ويحرصون على إعادة صياغتها وفق" دلالات جزئية يجدها في رمزه الكليّ، حتى يمكن اعتبار يعقوب رمزاً للهداية والحب، وأولاده _أي أخوة يوسف_ رمزاً للكره والخيانة، ويوسف رمزاً للطهارة والأمانة والبراءة،، وامرأة العزيز رمزاً للشهوة الحسية والخيانة"[٣]، كل تلك الرموز غاص في أعماقها الشعراء، وغيروا فيها بما يتناسب وموقفهم الذي يعبرون فيه عن واقع الشعب الفلسطيني الذي لقي الأذى بمكائد الذين خططوا له، وأوقعوه في جب الاحتلال البغيض، ومن ثم باعوا تلك القضية لمن لا يرحم، فصوروا في أشعارهم منفى الفلسطيني وغربته، ومعاناته المريرة، وصولاً إلى العودة التي تشكل يقينا لا يعتريه شك على الرغم من المعيقات المتراكمة .

وتشكل قصة يوسف فضاء يتقاطع فيه الماضي والحاضر، إذ" أسهمت في تعميق الارتباط بين الواقع الفلسطيني والتاريخ، لما تكتنزه من رمزية عميقة تُغْني بأبعادها الواقع، وتعبر عنه بدقة متناهية، لما تحتويه من مرتكزات نفسية قادرة على أن تقدم الفكر تقديماً غنياً بالإيحاءات ومؤججاً للعواطف"[٤]، وبهذا يكون الشاعر قد أسقط قوة يوسف وصبره على الفلسطينيّ، وجعل عنده بذرة أمل في مراحل حياته ستنمو لتخرج ثمرة الحرية والانتصار، وتحقيق كل حلم سعى إليه في ظل سراب الاحتلال البغيض.

قام بعض الشعراء بسرد أبرز الحوادث التي مرّ فيها يوسف النبي، لما فيها من عبرة لقارئها، كالشاعرة **سامية شاهين**، التي قامت بسرد أحداث القصة بأسلوبها الشائق، وبطريقة متسلسلة بادئة بالحلم الذي رآه يوسف النبي ﷺ، وخوف يعقوب النبي وتحذيره من قصّ الرؤيا على أحد، في قوله:﴿

---

(١) ينظر: العايب، يوسف: آليات استدعاء النص القرآني ودلالات توظيفه في شعر مفدي زكريا. جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، الجزائر،٢٠١٦، ص٣٠٩

(٢) فتيحة، دريزة: الأثر الجمالي في تلقي القصة القرآنية. مركز البصيرة للبحوث، الجزائر، ع١٢، ٢٠١١، ص١٣٩

(٣) نوفل، يوسف: أصوات النص الشعري.ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩٥، ص٧٤

(٤) جبريل، خميس: التناص في شعر يوسف الخطيب.ص٣١

قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[1]، تقول الشاعرة[2]:

وحلْمٌ كم يطوفُ على نبيٍّ	**كواكبُ لا تحيدُ عن المسارِ**
وشمسٌ بينهم سجدتْ وبدْرٌ	**هو الإجلالُ في ثوبِ الفخارِ**
وذا يعقوبُ يدركُ سرَّ حُلمٍ	**يقولُ حذارِ يا ولدي حذارِ**
فكيدٌ كم تُخبّئُهُ النّوايا	**وسوءٌ كيدهمُ وكبيرُ عار**
ورامُوا أن يكونَ خبيء جُبٍّ	**وصان اللهُ يوسفَ من شِرارِ**

قام إخوته حين أعلمهم برؤياه بتدبير مكيدة للخلاص منه، لينتهي بهم الأمر بإلقائه في الجب، يقول الله تعالى:﴿ **اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ(٩) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ** ﴾[3].

وتكمل الشاعرة سرد القصة بتصوير بيع النبي يوسف بدراهم معدودة، فتقول في القصيدة ذاتها:

وباعوا ذا الأُخيَّ ببخسِ مالٍ	**وعادوا كاذبينَ إلى الديار**
يقولونَ اسْتبقْنا يا أبانا	**وجاءوا بالدماءِ على الإزارِ**
فهالَ الكربُ والدهُ	**كئيبَ القلبِ غُصَّتَهُ يُداري**

جاءت القافلة التي أنقذته من البئر، وأقدم إخوته على بيعه، ﴿**وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ ۖ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ**﴾[4]، ورسم الأخوة خطة الكيد والكذب لإخبار والدهم بموت أخيهم، ليبرؤوا أنفسهم من دمه ويلقوا التهمة على الذئب، يتجلى في قوله تعالى ﴿ **وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ**﴾[5] .

---

(١) يوسف: ٥

(٢) شاهين، سامية: يوسف عليه السلام. مجلة الحوار المتمدن، العدد: ٦١٦٩، ٢٠١٩ / ٣ / ١٠ http://www.ahewar.org

(٣) يوسف: ٩-١٠

(٤) يوسف: ١٩-٢٠

(٥) يوسف: ١٧-١٨

ويبدأ يوسف رحلة جديدة في منفاه، بعد أن اشتراه عزيز مصر، فتسرد لنا ذلك في القصيدة ذاتها:

إلى قصرِ العزيز يُقادُ طفلٌ ... كسحرِ البدرِ يضوي في الصحاري
ومُكِّنَ للفتى في بيتِ مُلك ... ويَعرضُ لامتحانٍ واختبارِ

مكّن الله ليوسف الطفل أن ينشأ في قصر العزيز فترة من الزمن، وأصبح له مكانة فيه.﴿**وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[1].

وتتجدد المكائد، فبعد مكيدة إخوته، تأتي مكيدة زوج العزيز، ليمسي في سجون مصر:

ويمسي بعدها في قاعِ سجنٍ ... فعجَّ الظلمُ من خلفِ الجدارِ

تأتي بشائر الفرج ليوسف في تفسير المنام الذي رآه ملك مصر:

وأرَّقَ للعزيزِ عجيبُ حُلمٍ ... وعن ذاكَ المُحيِّرِ غيرُ دارِ
ومن يُفتِ العزيزَ يُرحْ لقلبٍ ... وينقذْ للبلادِ من الدمارِ
سوى الصديِّقِ يوسفَ حينَ حاروا ... ومن لنبوةٍ خَبُرتْ يُباري
فولَّاهُ الخزانةَ دون شرطٍ ... فصارتْ في عُلوٍّ وازدهارِ

ويصبح بعد تفسيره لرؤيا الملك التي كانت السبب في نجاة أهل مصر من هلاك مدمر للنفوس، عزيزاً صاحب ملك ومشورة، ﴿**وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[2].

اختصرت الشاعرة قصة يوسف بأسلوب مائز، وبكلمات بليغة لخصّت حكاية نبي من أنبياء الله، لاقى صنوف العذاب، وعاش مرارة الغربة في المنافي بعيداً عن حضن الأهل والأحباب، ثم كان له الفضل في إنقاذ أمة من هلاك محقق.

---

(١) يوسف: ٢١

(٢) يوسف: ٥٦

تتجسد رموز قصة يوسف في شعر درويش بإسقاطها على واقع الشعب الفلسطيني في قوله[١]:

أَنَا يُوسُفٌ يَا أَبِي. يَا أَبِي، إِخْوَتِي لَا يُحِبُّونَنِي، لاَ يُرِيدُونَنِي بَيْنَهُم يَا أَبِي. يَعتدُونَ عَلَيَّ وَيرْمُونَنِي بِالحَصَى وَالكَلَامِ يُرِيدُونَنِي أَنْ أَمُوتَ لِكَيْ يَمْدَحُونِي . وَهُمْ أَوْصَدُوا بَابَ بَيْتِك دُونِي. وَهُمْ طرَدُونِي مِنَ الحَقْلِ. هُمْ سَمَّمُوا عِنَبِي يَا أَبِي. وَهُمْ حَطَّمُوا لُعَبِي يَا أَبِي. حِينَ مَرَّ النَّسِيمُ وَلَاعَبَ شَعْرِيَ غَارُوا وَثَارُوا عَلَيَّ وَثَارُوا عَلَيْكَ، فَمَاذَا صَنَعْتُ لَهُمْ يَا أَبِي؟ الفَرَاشَاتُ حَطَّتْ عَلَى كَتِفَيَّ، وَمَالَتْ عَلَيَّ السَّنَابِلُ، وَالطَّيْرُ حَطَّتْ على راحتيَّ. فَمَاذَا فَعَلْتُ أَنَا يَا أَبِي؟ وَلِمَاذَا أَنَا؟ أَنْتَ سَمَّيْتَنِي يُوسُفًا، وَهُمُو أَوْقعُونِيَ فِي الجُبِّ، وَاتَّهمُوا الذِّئْبَ؛ وَالذِّئْبُ أَرْحَمُ مِنْ إِخْوَتِي.. أُبَتِ! هَلْ جَنَيْتُ عَلَى أَحَدٍ عِنْدَمَا قُلْتُ إِنِّي رَأَيْتُ أَحدَ عَشَرَ كَوْكبًا، والشَّمْسَ والقَمَرَ، رَأَيتُهُم لِي سَاجِدِينْ.

استبطن شخصية يوسف المرجعية، واستنطقها بما لم تنطق في مهمة شعرية أعلت صوته، لتذهب التجربة الشعرية إلى أبعد مدى، وتعيد رسم المأساة الحاضرة[٢]، فيوسف هنا الفلسطيني الذي لاقى الأسى وخاض غمار حروب أدمت جسده، وما وصل إليه كان بسبب الذين باعوا ضمائرهم، وشرف أمتهم بتنازلهم عن قضيتنا الفلسطينية التي باعوها بثمن بخس كما باعوا يوسف النبي، إذ "وظفها بمساحة كلية في جسد النص، التحمت بالتجربة الشعرية، وتحولت في بنية القصيدة إلى دلالة رمزية موحية ذات اتصال وثيق بالواقع"[٣]، عّبر من خلالها عن الهم الفلسطيني، منتظراً من ينصفه ويشعر بمأساته.

يشكو يوسف الفلسطيني لوالده يعقوب، الذي يمثل المجتمع الدولي أو الأنظمة التي أخذت على عاتقها الدفاع عن قضيتنا، والسعي لإثبات اسم فلسطين دولة مستقلة، ويبث له ظلم إخوته العرب الذين سعوا لطمس هويته، وإلقائه في جب النسيان، ليتهموا ذلك الذئب بفعلهم المشين، غير أن افتراسه أرحم

---

(١) درويش، محمود: الأعمال الأولى.مج٣، ص١٥٩

(٢) ينظر: المجالي، حسن: أثر القصة القرآنية في الشعر العربي الحديث.ص٦٩

(٣) موسى، إبراهيم نمر: آفاق الرؤية الشعرية.ص١٠١

من قلوبهم الشرهة، التي تنازلت عن ضميرها في موقفها من الفلسطيني الذي يحلم بالحرية والاستقلال كغيره من دول العالم، فهل كان يوسف الفلسطيني بحلمه ذاك مذنبا!!

المبحث الأول: المنفى ومعاناة اللاجئين

شكلت قصة يوسفعليه السلام، وما مر به من مراحل متعددة في دروب حياته محوراً هاماً لدى شعراء الشعب الفلسطيني، الذين وجدوا في أحداث حياته ما يلامس واقعهم المرير، لا سيّما مفصل البعد والفراق عن حضن الوطن والأهل والأحباب، والعيش في منافي الزمن القاسي، التي لا تعرف الرحمة إليها طريقاً ولا أنيساً.

تعرض يوسف النبي لمرارة المنفى، بعد الرؤيا التي رآها وهو غلام نقيٌ طاهر، فعلم من خلال والده يعقوب عليه السلام أنه سيكون له مرتبة عظيمة، ومقام عز ورفعة، وأوصاه أبوه ألّا يقصها على أحد من إخوته، فقد تتكالب عليه وساوس حقدهم، كما يتجلى في قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤)قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾[1] .

وتحقق ما خشيه يعقوب، فإخوة يوسف كانوا له بالمرصاد، فبدأوا بتدبير المكائد والدسائس وهم عصبة أقوياء﴿ **إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾[2]

بدأت رحلة عذاب يوسف في الجُبّ الذي ألقاه إخوته فيه، ومن ثم إلى أرض مصر غريباً وحيداً إذ بيع فيها عبداً ذليلاً، وصولاً إلى ذلك السجن الذي دخله ظلماً وبهتاناً بسبب زوج العزيز.

كانت تلك المآسي مرآةً لشعبنا الفلسطيني، وجد الشعراء فيها تعبيراً عن المصائب التي أحالتهم إلى التشرد في المنافي، بعيداً عن أحضان وطنهم الحاني، وعن أبناء شعبهم وأهلهم، فأضحى يوسف النبي فلسطينياً يعبر من خلال تفاصيل حياته عن هموم شعب لقيَ الأسى في المنفى، بسبب الذين تجاهلوا قضيته حتى ألقوه في غياهب النسيان.

أصبح الفلسطيني يحمل لقب "لاجئ"، إذ دخلت تلك الكلمة إلى المعجم لتغدو علامة سيميائية للفلسطيني المشرد، والمحددة للإطار الاجتماعي الذي سيعيشه بعد تاريخ النكبات والانتكاسات التي تعرض لها، يتلقى ألوان الذل والمهانة في بلاد العرب التي آلت إليه الظروف المريرة.

---

(١) يوسف: ٤-٥

(٢) يوسف : ٨

١- ثنائية الانكسار والانتصار في المنفى

كُتب على الفلسطيني أن يعيش في منفى الغربة، وأن يحيا في أرجائها حالماً بغدٍ مشرق، وبرؤيا تتحقق ولو بعد حين، على الرغم من منغصات العيش التي تأبى أن يكون الفلسطيني كغيره من أبناء الإنسانية، باتت أبسط أحلامه كأنها شيء محرم عليه.

يعبر الشاعر **سعد الدين شاهين** عن تلك الثنائية، من خلال قصيدته الموسومة بـ (أضغاث) فيقول[١]:

في المَنفى أَحلم

ما شَاء إليّ العَيش

قَالت أُمي: أَضغاث

وَمضَت تَقرأ آيات وتُتَمتم

يا الله...ما مَعنى أَن يَحمل وَطن عَربي

في نَعش؟

ما مَعنى أن تَصدق كل فناجين السَاسة

وتَضيع الدَار مع الحَوش؟؟

وأَبي حين استيقظ عضّ عَلى شَفة الصَحو وقال:

لا تَقصص رُؤياك عَلى نَار

تُسمى في كَومة قَش...!

يبدأ الفضاء السيميائي بالتشكل من عنوان القصيدة (أضغاث)، وهي جمع لكلمة ضغث وتعني أَحْلامٌ مُخْتَلِفَةٌ مُتَداخِلَةٌ وَمُضْطَرِبَةٌ يَصْعُبُ تَأْوِيلُها وَتَفْسيرُها[٢]، وينساب العنوان إلى قصيدة الشاعر، وإلى مضمون الحلم الذي يعيشه الفلسطيني في منفاه، معلناً أنه لا وجود لأحلامه في هذا الواقع المرير الذي

---

(١) شاهين، سعد الدين: ديوان وحيداً سوى من قميص الأغاني، ط١، دار الفضاءات للنشر،عمان،٢٠١٢، ص٨٩-٩٠

(٢) لسان العرب: مادة ضَغَثَ.

أضاعته عمليات الصلح ومفاوضات العصر _فناجين الساسة_ وأبقته مشرداً بعيداً عن داره، تماماً كذلك الميت في نعشه، ينقله أصحاب الحياة والقوة إلى حيث شاؤوا.

وتأتي الصدمة الكبرى في طمس حلم الفلسطيني من أقرب الناس إليه، وكانت مشاعر الخوف من قصّ ذلك الحلم هي الوازع الأكبر، مستمدين معرفتهم بقصة يوسف النبي وما حلّ به من مأساة من قبل إخوته؛ بسبب رؤياه، فنرى الأم قد همّشت تلك الأحلام التي يسعى الفلسطيني لتحقيقها، وهدمتها بكلمة أضغاث، أما الأب الذي كان على دراية بالأوضاع المحيطة به، فإنه يومئ بإشارة تعبر عن التوتر، وقلق الانتظار بما سيحصل من خلال سيمياء الجسد المتمثلة بالعض على الشفاه، فينطق بإجابة يعقوب النبي حين قال لابنه: لا تقصص رؤياك، فهو أعلم بالمصير الذي سيؤول إليه إذا سعى إلى تحقيق حلمه الذي يبحث عنه، لتغدو أحلام الفلسطيني في منفاه محرمة عليه، لن تجلب له إلا مصائب أكبر مما وصل إليه.

وظف الشاعر أسلوب الحوار في سرد قصيدته، بطريقة مكثفة وموحية لا تُشعر القارئ بملل في السرد، إنما يضفي عليها نوعاً من الحركة والحيوية، فالحوار يعد" تجديداً واضحاً في أسلوب القصيدة، وهو كسر للصوت الواحد، ولقيود الوزن والقافية، ولذاتية الشاعر"[١]، وبذلك يحدث تغييراً يجذب القارئ إلى نهاية القصيدة، ويضفي جدة تبعد السأم والجمود.

يعبّر الشاعر ذاته في قصيدة أخرى بعنوان قميص الأغاني، ليرتل على أنغامها وجع الانكسار الذي يتبدد في نهاية القصيدة بأمل يسعى لتحقيقه، فيقول[٢]:

كَانَت تَدوس العِير أَشتالي

وأَمتدحُ احتمالَ الصَمت حِين تَفيق سُنبلَة

وَتَملَأُ جَرتي سَبعاً عِجافاً ثمَ تَسأل

كَيفَ يَحتملُ المُسافِر شَهقة المِكيالِ في رَحلي

وَينُكرني الرَفيق

يسرد الشاعر تفاصيل معاناة الفلسطيني التي عاشها في غربته المريرة، ويستمد من قصة يوسف رموز ذلٍ وانكسار يعبر من خلالها عن جرحه الذي يأبى الالتئام، بدءاً بمرارة سنين العجاف التي تملأ

(١) هلال، محمد غنيمي: النقد الأدبي الحديث. دار العودة، بيروت،١٩٨٩، ص١٦٤

(٢) شاهين، سعد الدين: ديوان وحيدا سوى من قميص الأغاني. ص ٢٣

حياته، ومن ثم العير التي ترمز للذل والإهانة المتمثلة بالسرقة التي اتهم بها بنيامين أخو يوسف، كما جاء في قوله تعالى[1]: ﴿ **فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠) قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ (٧١) قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ** ﴾.

تحيلنا تلك المكائد _ التي جرت في غفلة من شعبنا_ إلى استيلاء اليهود على فلسطين بطريقة ماكرة، وصمت الضمير العالمي عن جريمة اغتصاب فلسطين، كما فعل أخوة يوسف مع أخيهم بنيامين، الذين لم يحركوا ساكناً جرّاء ما حدث معه، بل اكتفوا بتسليمه عبداً وفق قانون جزاء السارق عندهم، فيغدو الفلسطيني عبداً في منفاه، يلاقي ألوان الذل والهوان، ويكمل الشاعر فصول المأساة، فيقول[2] :

أَشد عَلى قَميصي أَزره

كَي لا يُقد مِن الغِواية مَرة أُخرى

وَأرتقه بِخيطِ الشَك في امرَأة أُفتِش عَن مَزاياها

مِنَ الزَمن الجَديد

هُو لَيس ذَات قَميصنا المَقدود مِن دُبر

عَلى شَك الغوايَة

لَيسَ مَن جَاؤوا عَلى أَردانه بِدَم

لَتنطلي الخِيانة في الشُقوق

ولَطَخوه لِيبرئوا الجب الذَي حَفروا عَلى عَطَش

وَما زَالوا عَلى عَطش يَسبون القَوافل وَالدِلاء

وَلَيس يَستر عَورَتي ما حَاكه الثُرزي

في زَمن الخِلافة مِن جَديد

حِين فَصل كُل قُمصاني بِشكل مَلامِح الناتو

---

(١) يوسف: ٧٠-٧٢

(٢) شاهين، سعد الدين: ديوان وحيدا سوى من قميص الأغاني.ص ٢٥-٢٦

وَأعلَن ثَورة الفُقراء.

يستمد الشاعر رمز قميص يوسف، الذي كان سبباً لبراءته، كما كان رمزاً لتبرير أصحاب الفعل المشين، حينما ألقوه في جب الغواية والنسيان، ولطخوه بدم الكذب والتضليل والزور والبهتان، لتبدأ حرارة العزيمة بالصعود في لهجة الشاعر من بعد الانكسار والخذلان.

يرفض الشاعر أن تعاد قضية قدّ القميص التي تذكّره بالغدر والخيانة، ويسعى بعزم وإصرار إلى أن يرتّق كل آلام شعبه الفلسطيني الذي عانى ألوان الذل في منفاه، ليبحث عن قميص جديد يرتل على أنغامه الحرية المنشودة التي يسعى إليها، فهو يبحث عنها في هذا الزمن الجديد المليء بالمكر والخديعة؛ بسبب إخوة ألقوه في الجب ليعاني ظلمة المنفى، ويعلن رفضه لكل حليف يدّعي الخير لهم في هذا الزمن القاسي، ويقدم الوعود الزائفة لحل قضيتهم، فباتوا كحلف الناتو الذي يزعم إعانته للفقراء بادعاءاته الواهية، غير أن الشاعر مدرك لذلك، ورافض لتلك المهزلة السياسية، فهو لا يريد البقاء إلّا بعزيمته وإصراره، علّه يجد تلك المرأة التي يفتش عن مزاياها، ربما هي الحرية وأمل العودة التي ستحقق له العزة بالتخلص من منفى الغربة، وتضمه إلى أحضانها بعودته إلى وطنه السليب.

يصور الشاعر **عبد الرحيم عمر**، ألم المنفى وحال الفلسطيني فيه، متخذاً المكان بطل القصة الذي قاربه بحال يوسف النبي، في سياق حديثه عن قريته جيوس[1]:

وفي الجُب أنتِ تُنادين قَافلة عَابرة

وَتغرب أَجراسَها في المَساء

وَتبقين رَهن انتظار لِقافلة عَابرة

...

وَيَمضي رَفيقي

يَسوق المُنى البَاسمة

أَحس بِأَنَّ الرّياح

تَهب مُحملة بِالقَميص الحَقيقي

(١) عمر، عبد الرحيم: الأعمال الشعرية الكاملة. مكتبة عمان،١٩٨٩، ص١٣٢

وأَن الصَباحَ

قَريب فَبشر بِه يا رَفيقي

يجري الشاعر مقاربة دلالية بين قريته التي اغتُصبت في نكسة حزيران، ويوسف النبي، فهما متشابهان في الذل والانكسار، مستحضراً الجب التي ألقي فيها بغتة وظلماً من قبل إخوته ليعاني آلم الوحدة والخوف وحيداً، وكذلك قرية الشاعر التي وقعت في جب الاحتلال الغاشم، بسبب غفلة الذين تركوها دون أن يدافعوا عنها، ويسعوا لاستردادها، فأضحت وحيدة تعاني الغربة المريرة، ليبدأ صوتها صادحاً بانتظار أجراس قافلة التحرير التي ستخلصها من قعر الجب.

وتبقى بشائر الخلاص والحرية قائمة في نفس الفلسطيني الذي يعيش على أمنياته، ويرى أن رياح الخير والبشرى بتحقيق العودة والتخلص من مرارة المنفى ستزف إليه أحلامه المحققة، وأن صباح الفجر الجديد بحرية قريته وعودته إليها سيبزغ عمّا قريب.

يتابع الشاعر تصوير مرارة المنفى وأمل العودة الذي لا يزال الفلسطيني مصراً على تحقيقه في قصيدة الجبال لا تزال شامخة، فيقول[1]:

أَوقَفي ثَرثرة الندمان عَن فَجرِ الغَد الآتي وَأحلام الخَلاص

لَم يَزل يُوسف في الجُب يُناديهم، فَتمضي القَافلة

الجِبال لا تِزال شَامِخة

أَوقفي ثَرثرة الندمان عَن فَجر الغَد الآتي وأَحلام الخَلاص

لَم يَزل يُوسف في الجُب يُناديهم، فَتمضي القَافلة

وَعُواء الذِئب في بَيدائهم حَادي القِلاص

والرَدى يَرعد في ليل الرُؤوس القَاتلة

لَم يَزل يُوسف يستنخي وتغضي السابله

يتلاشى ندبُه في صَخب الركب

وأَحلام الرَحيل الحَافلة

(١) عمر، عبد الرحيم: الأعمال الشعرية الكاملة: ص٤٥٦-٤٥٧

والردى يَنشر فَوقَ الجُب ظِلاً مِن رَصاص

تَتهاوى لَحظات العُمر في غَمرته

وَنَزيل الجُب في مِحنته

يَشهدُ المَوت عَلى غرته

دونَ أَن يَفهم مِن إِخوته

مَا الذي يَلقى ؟

خَلاص

أم قَصاص

يعبر الشاعر عن حال شعبه الذي يعيش في المنفى، فيوسف الفلسطيني لا يزال ملقىً في جب الغربة، ينادي ويستغيث لعل أحداً يسمع صدى صوته فيعمل على تحريره، كتلك القافلة التي حررت نبي الله من جبه، يستنجد بنخوة العرب، يندب حظه، فيتلاشى صدى ندبه في زحام انشغالهم عن وطنه بوعودهم الزائفة، تاركين يوسف الفلسطيني، نزيل جبه وحيداً في غربته، يموت كل يوم ببعده عن وطنه، دون أن يفهم منهم نهاية مساعيهم وادعاءاتهم المضللة، هل ستقودهم إلى الخلاص والعودة، أم سيبقى الفلسطيني في غربته بسبب ثقته العمياء بهم ؟!

يستمر صدى صوت الشاعر، الذي يعلو شيئاً فشيئاً دونما إجابة، ويكتسب الجب الذي سقط فيه يوسف الفلسطيني صفات جديدة عنده، فيقول[١] :

فَنزيلُ الجُب مَا زَال يُنادي

والصَدى يَترامى خَافتاً عَبر المَدى

عَبثاً رَاحوا، وهذي البِئر تَابوت الردى

يستغيث يوسف الفلسطيني، غير أن صوته خافت لا أحد يستمع لندائه، فتتسلل دلالات عنوان تلك القصيدة الموسومة بالهزيمة، وتتسرب إلى ذهن الشاعر، لتسيطر عليه ملامح الهزيمة والانكسار، ولتضفي صفة جديدة للجب، فيغدو تابوتاً للفلسطيني.

---

(١) عمر، عبد الرحيم: الأعمال الشعرية الكاملة. ص٤١

ويصبح هذا الجب أشرف مستقر للفلسطيني عند الشاعر، فيقول[١]:

يا سَاكن الجُبّ اتَئد فَالجب أَشرف مُستقر

يَافا أَيا حُلم الرِفاق يَشفهم طُول السَهر

مَا زَال في الدُنيا بَقايا مِن شَرف

...

قَد كَلّت عَزائمنا وَما عُدنا نَهز جُذوع نَخل

لمْ نَعد نَرجو ثَمر

فاليأس هو سيد الموقف، يوسف الفلسطيني قد أتعبه طول الانتظار، فلم يكن منه سوى أن يستقر في جب المنفى، ويرضى بالحالة التي وصل إليها، فيخاطب يافا بصوت المنكسر الذليل، ويعلن وهن قوته، وعجزه عن فكرة الرجوع إليها، لتغدو عزيمة الشاعر كالشجرة الميتة، لا ثمر فيه ولا عطاء.

ينساب الأمل إلى قلب الفلسطيني الذي يسعى جاهداً إلى التخلص من منفاه، رابطاً أحلامه بقافلة التحرير التي ستعمل على تحقيقها، فيأتي الشاعر **رشدي الماضي**، معبراً عن ذلك في قصيدته (عاد الفارس)، فيقول[٢]:

يا قَوافِل العَائدين إِلينا

مِن رَحم الحُلم أُنادِيكم

أَن تَعرجوا وتَحضروا يُوسف مَعكم

مِياه البِئر قَد جَفت

وَنَحن في سِنواتِنا السَبع السِمان

...

افتَحي النَوافذ وزَيني شَوارعك العَتيقة

---

(١) عمر، عبد الرحيم: الأعمال الشعرية الكاملة: ص١٣٩

(٢) الماضي، رشدي: ديوان تهاليل للزمن الآتي. مكتبة كل شيء، حيفا،٢٠٠٢،ص٢٦-٢٧

السِندِبادُ عَائد فِي رَحم الصَباح

عائِد لِيولَد مِن جَديد

يغرس الشاعر الأمل في نفس الفلسطيني من خلال فضاء العنوان الفارس عاد، وذلك بعودة الفلسطيني إلى أرجاء وطنه، فهو ينادي قوافل التحرير التي ستحقق له حلمه بالعودة من منفاه إلى أحضان وطنه، ويدعوهم أن يخرجوا يوسف الفلسطيني من رحم معاناته في جب المنفى الذي طال مكوثهم فيه، إذ آن لسنوات الخير والعطاء أن تحل بعد سنيّ العجاف والبعد والمرار، وآن لسندباد فلسطين أن يحط رحاله في وطنه، فالانتصار حليف الفلسطيني الذي يستمد من فجر الصباح البشرى في العودة، ليولد من جديد في ربوع وطن ابتعد عنه، ليبقى متشبثاً فيه، رافضاً تركه مرة أخرى.

يعبر الشاعر **عبد العزيز يوسف**[١] بانكسار عن الحالة التي وصل إليها شعبه، فيقول[٢] :

بِالقُربِ مِن البَيت

هُنالَك بِئر

لَيسَ لَها قَاع

ثَمة لَيل شَرس مَحبوس فِيها

كُنا نَفتَحها

فَتفور العَتمة مِنها كَالبُركان

وَتغرقُ نِصفَ بُيوتِ القَرية

في تِلكَ البِئر

رَمينا أَجمل إِخوتَنا

وَنسيناه:

---

(١) يوسف عبد العزيز: ولد عام ١٩٥٦. في بيت عنان في محافظة القدس، يعمل في حقل التدريس في عمان. من أعماله الشعرية: الخروج من مدينة الرماد، دفاتر الغيم. ينظر: شراب، محمد: شعراء فلسطين في العصر الحديث. ص٤٨٩

(٢) عبد العزيز، يوسف: الأعمال الناجزة. ط١، وزارة الثقافة الفلسطينية،٢٠١٣، ص١٢٣-١٢٤

حِصانُ أَبي

يصور الشاعر بأسى كبير يسيطر على مشاعره لدرجة تصل به إلى مرحلة جلد الذات، وتأنيب الضمير، فهو يخبرنا عن التردي والانكسار والانحسار بفعل ما اقترفته أيديهم، لأنهم تخلوا عن سلاح المقاومة الذي رمز إليه الشاعر بالحصان، وجزاءً لذلك وقعوا في بئر المنفى، لا يعلمون متى يتخلصون منه، فهو كما قال الشاعر بئر ليس لها قاع، فهم في غربة ليس لها نهاية بادية، فباتوا بإجرامهم كأخوة يوسف الذين تسببوا في إلقائه بالجب ليبدأ رحلة معاناته في الغربة.

يعلن الشاعر **فاروق مواسي**[١] أنه اكتوى بنار الانكسار الذي آن له أن ينطفئ، فيقول[٢] :

أحس شَوقاً سَارياً في مُهجَتي

أذيب أمسي ذِكريات

وأدْتُ سَاعاتي وأَيامي العِجاف

في غَمرةٍ فَلا تُطال

في غَمرة تَهدهد الأَحزان

لقي الشاعر في منفاه من الهول ما أتعبه، ليعلن أنه حان الوقت حتى يتخلص من سنين العجاف التي طالت، وأن يسمح لشوق الأمل في العودة بالتسرب إلى ذهن الفلسطيني، الذي غرق في غمرة مستنقع المنفى وأحزانه، فكما أُتبعت سنيّ يوسف القاحلة بسنيّ الخير والعطاء، ستكون كذلك حال الفلسطيني، فيعلن الشاعر وأده لتلك الأيام التي مضت، ليبدأ حياة جديدة.

اتكأ **محمود درويش** على رمزية السنين العجاف في قصة يوسف، لأنها من العلامات اللغوية السيميائية التي تختزل محنة الفلسطيني، فيقول[٣] :

هذه سَنَةٌ صَعْبَةٌ

لم يَعِدْنا الخريف بشيءٍ

---

(١) فاروق مواسي: ولد في باقة الغربية عام ١٩٤١. حاصل على شهادة الدكتوراه، حرر مجلة الباقة سنة ١٩٧١. من دواوينه: في انتظار القطار، غداة العناق. **ينظر: شراب، محمد: شعراء فلسطين في العصر الحديث. مطبعة الأهلية، عمان، ٢٠٠٦، ص٣٠٣**

(٢) مواسي، فاروق: الأعمال الشعرية. مكتبة كل شيء حيفا، ٢٠٠٥، مج ١، ص٩

(٣) درويش، محمود: ديوان سرير الغريبة. ط١، رياض الريّس للكتب والنشر، بيروت، ١٩٩٩، ص٨٥

ولم ننتظرْ رُسُلاً

...

والجفافُ يودِّعُ في سَبْعَ السنين العجاف

فلا من هُدْنَةٍ في المدينة

لا بُدَّ من ماعز يَقْضِمُ العُشْبَ

من كُتُب البابليين أو غيرهم

كي تصير السماءُ حقيقيةً...

فأضئ عَتَمتي ودمي بنبيذكَ

وسْكُنْ معي، جسدي!

يتوق الشاعر إلى وصاله مع حبيبته فلسطين، وينتظر ذلك الوعد الذي يتحقق بعودته من منفاه إلى أرضها ليسكن فيها، ويلامس جسده ثراها، فخريف الانتظار قد طال، ولا بد لجفاف سنين القحط والبعد أن تنتهي، فالشاعر يختزل الأمل في وداعه لتلك السنين القاحلة بزوالها، لتحط السكينة في رحال حياته التي لقي فيها من التشرد ألوان الوجع والألم، وكما كانت نهاية السنين العجاف بداية لسنين الخير والوفرة، ستكون نهاية البعد والغربة بداية لسنين الود والوصال في وطنه الذي أُبعد عنه.

ويعلن الشاعر **أحمد دحبور** أنه يتيم هذا الوطن الضائع، وأنه أضحى في غربته مشرداً، مفتقداً للحنان، حنان الأهل والوطن، فيقول[1] :

أقصّ عليَّ رؤيايا

فلا أب لي، ولا أخوة

وذئبي فيّ،

إلا أنه لم يدفع النسوة

إلى تقطيع أيديهنّ،

(١) دحبور، أحمد: الديوان.ج٢، ص٤٥٣

لكنّي قطعت الأرض بحثاً عن مراياي

فلم أرَ، في المرايا وجهي الحسنا

كانت تلك الرؤيا السبب في نفي يوسف النبي، ورحلة غربته المريرة، ويستمدها الشاعر؛ ليبحث عن روحه الضائعة والبريئة التي لم تتسبب في غواية أحد، "فتحضر قصة يوسف في بداية القصيدة كما تحضر في حناياها، لا لتتطابق معها"[١]، فهو بريء من هذا التشرد _الذي لم يكن بمحض إرادته_ براءة الذئب من تشريد يوسف وضياعه، كما أنه بريء من خيانة وطنه كما كان يوسف بريئاً من خيانة زوج عزيز مصر، فالشاعر يعبر عن حبه لوطنه التائه عنه، والمحروم من العودة إلى أحضانه.

يؤكد الشاعر **المتوكل طه**، على مرارة تلك الغربة الفلسطينية، وتواصل ألمها من عصر إلى آخر، وبلمحة سريعة أخذها من قصة يوسف فيقول[٢] :

ونُطلِقُ أَطفالنا في بَراري النِداء

والسِجنُ مِن عَهد جَان سُليمان

حَتى النَبي الذَي رَاودته زُليخَة

حَتى (نفي ترتسيا) أَوجدوه

لا زالت غربة الفلسطيني في فيافي المنفى وفي سجون الاحتلال بعيداً عن الأهل والأحبة هي نفسها منذ عهد يوسف النبي الذي دخل ظلماً السجن بعد مراودة زليخة والنسوة له ﴿**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾[٣].

يستمد الشاعر **محمد علوش** من قصة يوسف الأمل في الخلاص من غربة المنفى بتفاؤل بادٍ في أرجاء قلوب الفلسطينيين، فيقول[٤]:

لا شَيءَ يُقلِقُهم سِوى سُبات الفُصول

---

(١) الأسطة، عادل: لست يوسف وزليخة ما راودتني. مجلة الأيام، فلسطين، ٢٠١٧، ص٢ تاريخ الأخذ ٢٣-٢-٢٠١٨. https://www.al-ayyam.ps

(٢) طه، المتوكل: الأعمال الشعرية. ط١، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن،٢٠٠٣، ص٥٥٦

(٣) يوسف: ٣٣

(٤) علوش، محمد: ديوان خطى الجبل.ط١،وزارة الثقافة الفلسطينية، البيرة،٢٠١٦، ص٨٦

عَادوا يَتذكَرون بِدايات المَوسم

وَيَنسِجونَ حَولَهم أَساطير

تُقلقِهم السِنين العِجاف

وَلكنهم يَدخرون لليلٍ ضُوء قَناديلهم

يملأ التفاؤل قلب الشعب الفلسطيني الذي قاوم حقبة من المأساة، وعلى الرغم من تخوف هذا الشعب مما هو قادم ومجهول، إلا أنهم متفائلون، وقد استعار الشاعر تعبير سنين العجاف ليعبر عن قلقهم من المستقبل، كما يرى الشاعر أن السنين العجاف كانت سبباً لغربتهم ونكستهم وبعدهم عن أحبتهم، غير أن الأمل في التخلص من سنيّ المنفى قائمة، وقناديل عودتهم ستضيئ أرجاء ليل غربتهم الحالكة.

٢- ديمومة معاناة اللاجئين

تستمر معاناة اللاجئين الفلسطينيين في الشتات إلى يومنا هذا، لا تستطيع مشاعر الدنيا أن تصف عظمة تلك المأساة المكتوية بنار الفراق والبعد عن حضن الوطن والأحباب، هي قضية كبرى لطالما بُذلت الجهود لحلّها، غير أنها أصبحت وشماً على جبين كل فلسطيني، وألقي به في غياهب المخيمات، ولتبقى من أصعب القضايا التي تعسّر إيجاد حل لها، لم تكسرهم قيود الاحتلال، ولا جبروته المفروض عليهم، بل كانوا بصمودهم يتحملون كل سنيّ العجاف التي تمرّ بها، منتظرين على أمل تلك النهاية المحملة بسنابل الخير والعطاء والنصر.

عبّرت **فدوى طوقان** في قصيدتها (دقت الساعة) عن معاناة الفلسطيني من سنين الحرب، مستحضرة قصة يوسف عليه السلام لتعبر عن هزيمة حزيران القاسية، فتقول[١] :

السِنينُ العِجاف طَالت، تَآكلت

وَوجهي مَا عَاد وَجهي، وَصَوتي

في السِنين العِجاف مَا عَاد صَوتي

كَان لا بُدّ أَن تَقوم القِيامة

قَبل أَن يَستردَ وَجهي الحُزيراني . ذَاكَ

(١) طوقان، فدوى: الأعمال الكاملة. ص٤٩٢

الكابي . خُيوطَ الوَسامة.

أجرت الشاعرة مقاربة دلالية بين سنيّ الجدب والقحط التي حلّت بمصر، فكانت عجافاً أكلت الأخضر واليابس، وسنين حرب حزيران العجاف، التي تراكمت آثارها، وما إن انتهت حتى بدأت حرب أكتوبر عام ١٩٧٣_ وهو تاريخ كتابة هذه القصيدة كما دونت الشاعرة في ديوانها_ غير أن الفارق يتمثل في أن سنين يوسف النبي انتهت وابتدأت بعدها سنين خير ووفرة، بعكس سنين الجفاف على الشعب الفلسطيني التي تتمنى أن تقوم القيامة لطولها وقساوتها.

يعبر الشاعر **معين بسيسو** عن تلك المعاناة بقصيدة حملت عنوان (العندليب في البئر)، ليعبر عن أوجاع ذلك النازح في غياهب المنفى، فيقول[١] :

إيه يَا قَافلة السَبي

لَقد طَال السَفَر

سَقَط الظِل عَلى الظِل

وَضيعت الأَثر

...

لَم يَزل يوسف فِي البِئر وَمن

آه قَد أَلقى لَه الحَبل هَلك

مُد أَلوانك يَا قَوس قَزح

مُد أَلوانك فَالحَبل انقطَع

استوحى الشاعر قصة يوسف عليه السلام ليعبر من خلالها عن واقع معاناة شعبه في غربة المنفى، فلقد طال بهم الأمد، ينتظرون قافلة تسعى لتخليصهم من جب منفاهم، كما خلصت يوسف النبي من قعر الجب، فيوسف الفلسطيني لا يزال ملقىً في بئر النسيان والتهميش والتغييب.

كانت تلك المعاناة سنيناً عجافاً عند الشاعر **هشام أبو صلاح**، الذي عبّر عنها بقوله[٢] :

---

(١) بسيسو، معين: الأعمال الكاملة.ط٣، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧،ص٢٣٧

(٢) أبو صلاح، هشام: ديوان مرايا الليل. المركز الفلسطيني للثقافة والإعلام، جنين، ٢٠٠٨، ص٢٠

وَطلت عَلينا سُنون عِجاف

وَنام اليَبابُ عَلى شُرفة السَاهرين

فسنين المعاناة لا تزال مستمرة، مليئة بالقحط والجفاف والوجع المرير الذي يكوي الشعب الفلسطيني، ولا فرق بينها وبين سنين القحط في زمن يوسف النبي سوى أن النهاية مختلفة، فالأخير انتهت سنونه بالخير والعطاء، أما عند الشاعر فلا تزال سنوات العجاف مستمرة، والخراب هو السيد المسيطر عند أولئك الساهرين الحالمين بالرجوع إلى حضن الوطن والأحباب، فالشاعر " يقارب بين القحط والجوع الذي أصاب قوم فرعون والقهر والكبت في السياق الفلسطيني ، وفي المقاربة تكمن جينات التبشير بالخلاص والنصر على الرغم من أن استدعاء التناص ودلالات تلك المقاربة لم تحقق ما نصبو إليه"[١] ، فلا وجود لدلائل تقودنا إلى التخلص مما يعانيه الفلسطيني.

يصور الشاعر **محمد القيسي** محنة فلسطين، فيومئ إلى قصة نبي الله يوسف الذي ذاق طعم المعاناة ذاتها، بقصيدته الموسومة بـ يوسف في الجب، فيقول[٢]:

عَذبني الأَعداءُ لِأَني

لَم تَعشَق عَينايَ سِوى وَطني

صَلَبوني فِي الغُربة يَا حَادي الرَكب

قَيدني إِخواني وَرموني في الجُب

قَتلوني يَا حَادي الرَكب لأَني أَحببت.

كان يوسف ينعم بالأمن والاستقرار في حضن والده، ذلك الحب الذي أثر في النفوس المريضة، فسيطرت مشاعر الحقد على قلب إخوته ورموه في الجب، والشاعر محمد القيسي وجد في تلك القصة ما لامس وجع قلبه، فعبّر من خلالها عن معاناة وطنه فلسطين، وشعبه الذي لاقى هول المرار.

ونلاحظ أن الشاعر يستنجد بحادي الركب الذي كرره في ندائه؛ علّه يستطيع أن يرسل أصوات معاناة شعبه المستمرة في كل منطقة يحطّ رحاله فيها، فالمعاناة مستمرة من قبل الأعداء حتى يتمكنوا

---

(١) عتيق، عمر: رؤية نقدية في ديوان "مرايا الليل " للشاعر هشام أبو صلاح. ندوة أدبية برعاية مديرية الثقافة، بتاريخ ٢٠١٥/٩/١٧

(٢) القيسي، محمد: الأعمال الشعرية. ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،١٩٩٩، ص٥١

من إنهاء حياة الفلسطيني، ودليل ذلك تتابع الأفعال التي كررها الشاعر بسياق واحد، صلبوني، قيدني، قتلوني، فمن بعد الصلب والقيد والعزلة سيكون القتل مصيرهم.

يبرز الفارق الدلالي في نهاية المشهدين؛ فيوسف النبي تلاشت غمامة ظلمة الجب عنه، فخرج إلى نور حياة جديدة توّجت بالعز والحكم، أما الشاعر فنبرة الحزن تخيم على تفاصيل حروفه، فيعلن أن شعبه ما زال ملقىً في الجب، لا معين له ولا مساعد، وسيبقى كذلك ما دام الصمت هو سيد الموقف.

يعبر الشاعر **يوسف الخطيب** عن تلك المعاناة التي طمست أحلام شعبٍ تغنّى بجمال بلاده وبهائها، فانعكست على ملامح وجهه النديّ؛ ليورق جماله بالحسن. مستعيناً بقصة النساء اللّاتي قطعن أيديهن في قصة يوسف، فيقول[١] :

كَانَ حُزيران لَظى جَهنَم

يَحده أَيلولُ مِن هُنا...ومِن هُنا أيّار..

وَبَيننا المَوت..وَسيناء..

فَما أَقل زَاد عَاشق، وأَبعد المَزار...

فَلَن تَقد امرَأة العَزيز أَسمالي

وَلَن يَقطّع النِساء أَيديهن

رُدوني عَلى وَجهي، إِلى مَضارِب الأَنبار..

هُناك أَدري جَبلاً لَمْ يَأته رحّالة قَبلي..

يستحضر الشاعر رمزية قصة يوسف عليه السلام ومحنته مع زوج العزيز والنسوة اللاتي قطعن أيديهن، "ومارس عملية الإسقاط النفسي من خلال إظهار المفارقة بين محنته في ظل الأنظمة العربية المهترئة، ومحنة يوسف مع امرأة العزيز"[٢]؛ ليعبر عن معاناة شعبه من تلك الحروب التي أنهكته، فحرب أيار المتمثلة بالنكبة الفلسطينية، تلتها حرب حزيران ولظى آلامها التي زادت وجع المأساة، ومن ثم حرب أيلول الأسود الذي جعل الفلسطيني مختنقاً لا سبيل له لتنفس نسائم الحرية، فيرى أن تلك الآلام قد

---

(١) الخطيب، يوسف: ديوان امنع الخمرة عني.ط١، دار فلسطين للثقافة والإعلام، دمشق، ٢٠١١، ج٣، ص١٤٤-١٤٥

(٢) جبريل، خميس محمد: التناص في شعر يوسف الخطيب. ص٣١

مسحت سمات الجمال للفلسطيني، وتركته مشوهاً يعاني آثار ندوبها، فلم يعد مغرياً لزليخة ولا صويحباتها، وليس المقصود من قبل الشاعر ذكر قصة يوسف والمراودة التي جرت معه" بل يقصد منها الفضاء المكاني الذي جرى فيه الحدث، وهو قصر الملك عزيز مصر؛ فقول الشاعر(فلن تقد...لن يقطّع..) يختزل موقفاً سياسياً مضمراً في القصيدة ومعلناً خارج القصيدة" [١] فالشاعر حاله تختلف عن نبي الله كونه لم يكن على مقربة من ذوي المناصب وأصحاب الملك، فهو يرفض الذل والخضوع لأحد، لذلك ارتأى أن يهيم في وجه الأرض باحثاً عن شرف وطنه وعزه المسلوب.

أما المعاناة عند الشاعر **أحمد دحبور**، فقد جعلته يحاور ذاته بقوله[٢] :

وإنّا نُدرِكُ السَبعَ العِجاف يَمتن حَتى اللونَ في القُزح

فَيهرب مِن دَمي شَبحي

وأَدخَل غُرفتي، فَيضيء نور لا يَراه سِواي،

مَا جَدواه؟

يصور الشاعر عمق المعاناة وقسوتها في غربته، ولشدة قساوتها يراها قد غيّرت معالم الأشياء، وأبدلت حقيقتها، فقد كانت بمرارة السبع العجاف، التي جعلت الذات تنسلخ عن نفسها هاربة إلى حيث تجد الراحة والأمان.

ويبرز نور خفي في أعماق الشاعر، يتمثل بالإشراق الداخلي الذي يستمد منه الشاعر تلك الطاقة التي تزرع في روحه بذرة الأمل في خلاصه من سنين القسوة والإحباط، وكأن تلك السنين رغم قسوتها لا بد لظلامها أن يتبدد يوماً ما.

ويقتبس الشاعر **خالد الفحل** آية قرآنية من سورة يوسف، قيلت على لسان الملك، فيقول[٣] :

مَضى (أيلول)

أَزهرَ الغَيم عَلى فم الحَياة

تَكاثَرت النِساءُ أَطفالاً للمَوت

---

(١) عتيق، عمر: التناص الديني في شعر يوسف الخطيب.ص٥

(٢) دحبور، أحمد: الديوان.ج٢،ص٤٥٤

(٣) الفحل، خالد: ديوان وهج الكلمات، ط١، الاتحاد العام للمعلمين الفلسطينين.فلسطين،٢٠١٨،ص٦٥

مَاتَ النَاجونَ مِن المَذبحة الآن

ولا وَطَن

"يَا أَيها المَلأُ أَفتوني في رُؤياي إِن كُنتم لِلرُؤيا تَعبرون"

يصف الشاعر شبح أيلول الذي يلاحقهم وجعه، فالشاعر يحاول أن يخدّر أوجاعه، ويقنع نفسه أن كل ما جرى من وقائع ما هو إلا حلم يبحث له عن مفسر متفائل، يؤهله بأن هناك مستقبلاً مشرقاً سيأتي بعد هذا العذاب، كمستقبل مصر بعد رؤيا الملك للسنين العجاف التي تلتها سنين الحب والعطاء والخير الوفير.

يعبر الشاعر **عمر شبانة** عن معاناة الشعب الفلسطيني، فيقول[١] :

أَنَا يُوسفُ(البئر)

الذِئابُ تَشم عِطر نُبوءَتي

وتَعضّني أَسمائيَ الحُسنى

أَنا فِي بِئر يُوسف

ما رَأيتُ الذِئب يَوماً

يوظف الشاعر الدلالة الرمزية لقصة يوسف النبي، متخذاً الذئاب رمزاً للشعوب العربية التي نادت بأحقية الشعب الفلسطيني المهجر في عودته لوطنه، غير أن وعودهم له كانت كاذبة، فلم يجد تلك الذئاب التي كانت في بداية أمرها مدركة لحقه في وطنه، فتخيّم الخيبة على آمال الشعب الفلسطيني في تحقيق عودتهم، ليبقى يوسف الفلسطيني في خضم معاناته وحيداً مكبلاً باليأس والأحزان.

٣- الاغتيال السياسي

وجد الشاعر **مريد البرغوثي** في شخصية ناجي العلي وما جرى معه، ما يشبه قصة نبي الله يوسف، فهو لم يكن له سلاح سوى ريشته التي يرسم بها، إلا أنه قُتل غدراً في بلاد الغرب غريباً، فمقتله يشكل استمراراً لفصول معاناة اللاجئ في منفاه، فكتب قصيدة بعنوان (أكله الذئب) إلى ناجي العلي، فيقول[٢] :

---

(١) شبانة، عمر: ديوان سيرة لأبناء الورد.ط١، دار الأهلية، عمان،٢٠١٧، ص١٤٠

(٢) البرغوثي، مريد: الأعمال الشعرية الكاملة.ط١، دار الشروق، مصر،٢٠١٣،ص٣١٠-٣١١

وحدَّثَني قائلاً:

بريءٌ هو الذئب من غيلتي يا مريدُ

فذئب البراري أجَلُّ من الجُرم

والبعض أخلق أن يتعلم منه الوفاءَ إذا أَنصَفا

...

وقارِن إذا شئتَ بين الذئاب

وبينَ الذينَ أَتوني مِن الخلفِ

فالذئب يبدو أليفاً،

أنيقَ المخالب والروحِ

حين نقارنه بالذي أطلق النار في شارعٍ

ثم أحصى ثلاثين فِضَّتِهِ، واختفى

...

بريءٌ هو الذئب من دمعةٍ فوق كُمِّ صِغاري

وإحراق ناري

وتهجيج روحي بكل المنابذِ من كل دارٍ

إلى كل دارِ

بريءٌ هو الذئب

فلتحملوا للذئاب اعتذاري

وما أكل الذئب يوسف يوماً

ولكنّ يوسف ليس الذي يحتمي بالفرارِ

وليس الذي ينتهي راجفا

يقارب الشاعر بين ناجي العلي وشخصية نبي الله يوسف الذي تعرض لمعاناة مريرة من قبل إخوته، وكذلك ناجي العلي الذي يعد رمزاً للمقتول غيلة وغدراً من بعض المندسين.

نلاحظ قول البرغوثي (وحدثني قائلاً) أنه ليس حدثاً حقيقاً أي أن ناجي لم يحدثه، فكيف يحدث الميت!؟ فالحديث هنا متخيل وافتراضي، فالشاعر تخيل ناجي محدثاً، وهذا أسلوب لافت في إقناع المتلقي، إذ يضفي نوعاً من الحقيقة التي يعيش القارئ تفاصيلها، فيكون بذلك الأسلوب أكثر قدرة على تصوير واقع يتسم بالصدق.

يجري الشاعر مقاربة دلالية، فيوسف نبي الله تعرض لمأساته من قبل أقرب الناس إلى قلبه، غير أنهم اتهموا الذئب، وما حدث مع ناجي العلي الذي أطلقوا النار عليه وهو في الغربة، وأردوه قتيلاً، يريد الشاعر بهذا الربط أن يشير إلى دلالة خفيّة حول القاتل المجهول إلى يومنا هذا، فيبين أن القاتل ليس من بلاد الغرب _كما أثبتت التحقيقات_ بل على الأرجح لو تحرّوا الدقة في تحقيقاتهم لوجدوا أن القاتل هو من أقرب الناس إليه.

كل تلك المآسي التي وقع فيها نبي الله، كانت مرآة لجزءٍ من معاناة شعبنا العظيم، الذي يحرص على نهاية ملؤها العزيمة والانتصار، كنهاية قصة نبي الله يوسف، غير أن فصول سنوات العجاف كانت له بالمرصاد، فقد استمرت وسببت الوجع المرير.

٤- الاغتراب النفسي

يمرّ الإنسان في ظروف قاسية يحاول أن يتعايش معها، غير أنه قد يصل إلى مرحلة لا يجد فيها طاقة تجعله يستمر في وضعه الذي عليه، ومن أقسى أنواع العيش أن يكون غريباً داخل وطنه، مقيداً تحيطه أغلال الاحتلال التي تمنعه من تحقيق ما يريد، ومن العيش بسلام ووئام، ذلك هو الفلسطيني الذي حرم من أبسط الحقوق، على الرغم من أنه لم يتعرض لمرارة النفي خارج وطنه، ولكنه يعيش في منفاه الداخلي، الذي يضاهي منفى الغربة وأوجاعها.

يعبر الشاعر الفلسطيني **نمر سعدي** عن مشاعر الاغتراب، فيقول [1]:

كم هلالاً ينامُ على شَجر التُّوت أَحتاج؟

أم كَم توبجاً لقَلبي بظفر السياج؟

لأفهَم نَفسي أكثرَ في قربها...

(١) سعدي، نمر: ديوان لن أعود بعدك إلا على جسد الرائحة. دار أدب فن للثقافة والنشر،٢٠١٦، ص١٨٠

آه كَم بَسمة تنقص الدَّمع في بئر يوسف

فيّ.... ؟!

يتحدث الشاعر عن تلك الغربة التي يعيشها أبناء الشعب الفلسطيني داخل وطنهم تحت هيمنة المحتل، ليعبر عن غربته الداخلية التي يحياها وهو في وطنه، إذ لا يجد فيها سوى الدموع والأحزان، وكأن الشاعر قد خسر حياته داخل الوطن وخارجه، وعاش في بئر أحزانه يعاني الأسى والخذلان.

ويُجري مقاربة بين الأجواء النفسية التي تسيطر على الشاعر، والأجواء التي تسود ظلمة البئر، فالظلام دامس في قعر البئر، مثقلٌ بأجواء القلق والغربة، ولا يستطيع أحد أن يظل في جوفه برهة من الزمن، ومن فوهة بابه، يتسلل ضوء إلى داخله، يستمد منه وجود بداية مشرقة لنهايته، كذلك يشعر الشاعر في غربته، إذ يفتقر للمشاعر الإنسانية، ويبقى وحيداً يعاني ظلمة العيش بعيداً عن أهله وأحبته، يترقب أشعة الحرية؛ لتدخل أعماقه وتخرج به إلى نسائم وطنه.

وفي قصيدة أخرى للشاعر ذاته، يعبر فيها عن مشاعر المنفى الداخلي، بصوت يهز الأعماق، تدوي صرخاته لتعلو الأرجاء وتهز عنان السماء، فيقول[1] :

صراخي يشقّ سماء الثرى

بما لا يُرى من دمي الغائم

وأغبط يوسف في جبّه

وأيوب في المرض الدائم

يعظّم الشاعر مأساته من شدة الغربة والمتاهة الداخلية التي يحياها في منفاه الداخلي، ويجعلها أكبر من مأساة يوسف النبيّ عندما سقط في جبّه، فلا ظلام الجُبّ والوحدة التي عاشها يوسف بعيداً عن أهله، ولا مرض أيوب وبلاؤه الذي حلّ به يقارن بما يعانيه الشاعر في وطنه.

يعمد الشاعر **لطفي زغلول** إلى تفاصيل قصة يوسف في سياق بطاقة تعريفية بعنوان (أنا من وطن)، يعبر من خلالها عن قضية التهجير القسري التي تعرض له أبناء شعبه الفلسطيني، فيقول[2] :

أَنا مِن وَطن

---

(١) سعدي، نمر: ديوان لن أعود بعدك إلا على جسد الرائحة: ص٦١٤

(٢) زغلول ،لطفي: ديوان مدار النار والنوار.ط١، اتحاد الكتاب الفلسطينين.٢٠٠٣، ص٥٠

الجُرح يُسافر مِن أَقصاه..

إلى أَقصاه

تُلونُ عَينيه الأَحزان

خَطفوه مِن حضن أَبيه

أَلقوهُ عَلى قَارعة المَنفى والتّيه

...

اتَهموا الذِئبَ بِما اقتَرفَته أَيديهم

والذئبُ بَريءٌ مِن دَمه

هم ألقوه وَطني في فَمه...

مرّ الفلسطيني بمراحل متطورة من المآسي التي جعلته يفقد وطنه وأرضه، فمن نكبة إلى نكسة، ومن انتفاضة إلى أخرى، فكان مجبراً على مغادرة ثرى وطنه الذي يحب، فلسطين التي أضحت اليوم كيوسف النبي الذي أبعد قسراً عن حضن والده، فقد سرقوها من قلب الوطن العربي، وباتت بمظهرها ومستوطنيها وبناياتها كأنها في بقعة أخرى من الأرض تعاني التيه والضياع، وكما قام أخوة يوسف باتهام الذئب لدرء التهمة عنهم، قام النظام العربي بالاكتفاء بلوم إسرائيل واتهامها، متجاهلين أنهم لو دافعوا عنها بكل ما أوتوا من طاقة لتمكنوا من تحريرها من دنسهم.

وتظهر المقاربة في عاطفة الأبوة التي سيطرت مشاعرها على أجواء القصيدة، فعلاقة يوسف القوية مع أبيه يعقوب، كانت معروفة لدى الجميع، بل وكانت السبب حسد إخوته، وكذلك حال فلسطين، وما اشتهرت به من مميزات خاصة في موقعها ومكانتها الاقتصادية والدينية والتاريخية، جعلت أنظار الطامعين يدبرون المكائد للخلاص منها.

المبحث الثاني: عودة اللاجئين

تشكل قضية العودة جوهر الصراع، فلا يزال إصرار الفلسطيني على عودته إلى أرضه هدفاً وطنياً سامياً، فقوانين الإنسانية كلها ترفض ما يتعرض له من ظلم من قبل الاحتلال الصهيوني، الذي يسعى جاهداً إلى تجاهل حقوق اللاجئين، لأنهم ببساطة عاجزون عن إيجاد حلّ لها، لأن ذلك يهدد وجودهم في أرضنا.

وما زالت القرارات الدولية التي أكدت عودة اللاجئين حبراً على ورق، ويصر اللاجئون على رفض خيار التعويض بديلاً عن ممتلكاتهم التي صودرت منهم، لأن اللاجئ يؤمن بقضية عودته إلى وطنه إيماناً مقدساً ينغرس في وجدان كل من تجرع كأس اللجوء وذاق مرارة الغربة القاسية. ولا تزال مفاتيح بيوتهم المعلقة في صدورهم، ووثائق ملكيتهم القديمة لبيوتهم التي تهدمت، برهاناً على التمسك بحق العودة ورفض البدائل.

ويحاول أقطاب السياسة العالمية اختلاق معادلات سياسية لتقويض حق العودة وانتقاص الحق الفلسطيني، كصفقة القرن التي تهدف بشكل رئيسي إلى توطين الفلسطينيين في وطن بديل، وإنهاء حق العودة، ومهما تعددت الاقتراحات فإن الهدف واضح في ذهن الفلسطيني الذي يرفض تلك الخرافات، فلا شيء يعادل لثم ثرى الوطن.

تجسد نهاية مأساة يوسف النبي حلم كل فلسطيني مشرد عاش المعاناة نفسها، وما دام صابراً صامداً في وجه كل محتلٍ أياً كان، فإن بشائر الظفر آتية، ونسائم الخير قادمة، وحلم العودة كامن في قلب كل فلسطيني إلى وطنه محقق لا محال، فكما تولى الله يوسف من بعد طول معاناته، سيتولى الله شعباً مظلوماً ويحقق له النصر ولو بعد حين، وانطلاقا من هذا الإيمان واليقين تأمّل شعراؤنا الخير في تحقيق العودة والنصر، فصدحت أشعارهم بالحديث عن حق العودة، وعبرّوا في الوقت ذاته عن خيبتهم في تحقيق ذلك الحلم المنشود بسبب أحداث طارئة ومواقف آنية مخيبة للآمال، حتى بدى حلماً ضائعاً، صعب المنال، ينتظرون من يسعى لتحقيقه.

١- العودة في سياق الأمل واليقين

يبقى حلم العودة كامناً في نفوس الشعراء الذين عبروا عن ذلك من خلال يقينهم الحتمي بتحقق حلم العودة، أو التمسك بخيوط الأمل التي يستمدها بعضهم الآخر من أحداث قصة يوسف، فيعيشون على تحقيقه.

يستأنس الشاعر **يوسف الخطيب**، بقصة الرؤيا عند يوسف عليه السلام؛ ليعبر من خلالها عن معاناته التي يعيشها في غربته، فتلك الرؤيا هي ذاتها رؤيا الأمل في العودة، وتحقيق رؤيا يوسف، فيقول[١]:

لأنني ـعَفو أبيـ

قَصصتُ رُؤيا يُوسف عَلى دُجى عُيونِهم.. وآية النهار..

(١) الخطيب، يوسف: ديوان امنع الخمرة عني.ج٣،ص١٤٤

فَها أنا أَصرُخ مِن غَيابة الجُب:

مَتى يا سَفح جِلعاد

تغاديك قَوافل التُجار؟!..

يناجي الشاعر وطنه السليب الذي يعاني من ظلمة الاحتلال الطويل، ويعتذر الشاعر عن تقصيره فيما يقدمه لفلسطين، والسعي في خلاصها من تلك المعاناة الطويلة، فيستمد من رؤيا يوسف ما يعينه على تحقيق حلم العودة الذي طالما راوده، بذلك تتحول تلك الرؤيا " من سياقها القرآني إلى سياق سياسي أضمره الشاعر وهو العودة إلى فلسطين، وما تقتضيه العودة من تضحيات وتحديات"[(١)]، فبات الشاعر يصرخ في أعماق الجب باحثاً عمن سيأتي بقافلة التحرير والنصر؛ ليخلّصه من منفاه كما خلّصت تلك القافلة يوسف من أعماق الجب.

لا زالت تباشير الأمل في العودة تراود **يوسف الخطيب** بانتهاء تلك الأحزان، ويؤكد الشاعر بوساطة حرف السين على تحقيق العودة في قوله [(٢)] :

سيأتي زمان يفسر للناس رؤياي

ظلا...وخمرا..

وسبعين نهراً على ربعك الخال

يجرين مد الصحاري، ووسع الخيال

وتطلع من راحتي مروج السنابل

تفسير سبع عجاف...وسبع عجاف!!..

يأمل الشاعر بانتهاء سنين العجاف والغربة والتشرد، والعودة إلى أحضان الوطن بعد أن تعمّ سنين الخير والمحبة بعد طول غياب. ولهذا وظف دلالات من سياق الجنة كالظلال والأنهار والخمر التي وعدنا الله بها، وكما يوقن المؤمن بوجود تلك النعم في الجنة التي ينتظرها، ويوقن بأنه سينعم بها، يؤمن كذلك الفلسطيني في تحقيق حلم العودة المنتظر، وأنه كالوعد الرباني الذي سيتحقق في نهاية المطاف.

---

(١) عتيق، عمر: التناص الديني في شعر يوسف الخطيب.ص١١

(٢) الخطيب، يوسف: ديوان امنع الخمرة عني.ج٣،ص١٦٠

اتخذ **سميح القاسم** عنوان قصيدته (قميصنا البالي) عتبة لتوظيف قصة يوسف، ذلك القميص الذي كان له الأثر العظيم في بداية البلاء، وفي انتهاء ذلك البلاء بالعلو والرفعة، وعودة الأحباب إلى أحضانهم، فيقول[1]:

حَمل المُهاجِر ما يُريد

وَمضَى...

لَم يدرِ أَنَّ قَميصه البَالي

ما دَام يَخفِق في رَيحانِ الحُزن والشِدة

سَتَظلُ تَخفِق رَاية العَودة

فَخُذي أَخاهُ وأَفَهميه

أنَ المَذلة أن يَبيع ثَرى أَبيه

وأَفهِميه

أَنَّ اختلاجَ الرُوح في البِذرة

أَقوى مِن صَخرة

وَقَميصُنا البَالي

مَا دَامَ يَخفِقُ في رِياحِ الحُزن والشِدة

سَتظلُ تَخفق رَاية العَودة

سَتظلُ تَخفِقُ رَاية العَودة !!..

يشير الشاعر إلى يوسف الفلسطيني الذي يقبع في منفاه، فلا بد أن يأتي اليوم الذي سيعود فيه إلى وطنه عودة عز وشموخ، فكانت رمزية القميص ذات دلالة واضحة، "فإذا حمل قميص يوسف لون الدم ليقطع الشك باليقين أنه قد مات، وأنه صورة تلوح القميص في الأفق، وبين عيني أبيه مليئة بالظلمة والعتمة والموت، لأن الشاعر كما يعقوب جعل من القميص نبراس نور لغدٍ مشرق، وباباً للخروج من

(١) القاسم، سميح: الديوان. ص٤٥٧-٤٥٨

الظلمة"[١]، فقميص العودة الذي يرتديه كل فلسطيني، ويأبي أن يخلعه سوى أولئك الخونة الذين باعوا الوطن بثمن بخس لمصالح شخصية زائلة، ذلك القميص سيكون السبب في رجوعه إلى وطنه، ما دامت الإرادة متوهجة في روح كل شخص عشق تراب وطنه، وملاقاته الأذى في سبيل نصرته، ويؤكد الشاعر بأمل كبير حتمية تحقيق حلم العودة في تكراره لعبارة (ستظل تخفق راية العودة) ثلاث مرات، وإذا كان ذلك القميص بالياً كما جعله الشاعر، فإن سبب ذلك غدر الإخوة الذين يعدون من سلالة أخوة يوسف، غير أننا سنعتزّ به، ونجعل منه راية لتحقيق حلم عودتنا المحققة إن شاء الله.

ويؤكد على تحقيق العودة القريب، في قصيدة أخرى جعل عنوانها صريحاً باسم يوسف، فيقول[٢]:

أحبائي أحبائي، إذا حنّت عليّ الريح

وقالت مرة: ماذا يريدُ سميح؟

وشاء أن تزوّدكم بأنبائي..

فمُرّوا لي بخيمةِ شيخنا يعقوب

وقولوا إنني من بعد لثم يديه عن بُعدِ

أُبشّرهُ أبشّرهُ، بعودة يوسف المحبوب!

فإن الله والإنسان...

في الدنيا على وعدِ!

يبين الشاعر هموم الفلسطينيين المغتربين، من خلال قصة يوسف عليه السلام، و عمق حزن يعقوب على فراقه، و"طلب الشاعر باسمه سميح الإنسان يحمل في حناياه تمايز شخصيته الواقعية عن شخصيته الشعرية، ويضعف حضور الشخصية الشعرية، ويحجّم دورها في استشراف المستقبل بما هو آت"[٣] .

يرفض سميح القاسم أن تسيطر الأحزان على قلب الفلسطيني، إذ ينبغي أن يتسلح بالصبر، فكما كان يعقوب ينطق بالإيمان والقوة بعد مصابه في ولديه يوسف وبنيامين حين فقدهما فيقول: صبر

---

(١) الزواهرة، ظاهر: التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر.ص١٨٠

(٢) القاسم، سميح: الديوان. ص٥٩٦

(٣) موسى، إبراهيم نمر: شعرية المقدس في الشعر الفلسطيني المعاصر. مؤسسة دروب للنشر،الأردن،٢٠١٠، ص٧٤

جميل، كذا الفلسطيني، عليه أن يصبر ويقوّي روحه بالعزيمة، ويغذي نفسه بالطموح للوصول إلى بلده الذي حرم منه، فمهما طال الفراق، لا بد أن يعود كل مغترب إلى أرضه ووطنه، كما عاد يوسف بعد غربته الطويلة إلى أحضان والده.

يصف الشاعر **عبد الكريم السبعاوي** مشاعره بعد عودته إلى وطنه، فيقول[١] :

أَحقاً عُدتُ مِن مَنفاي

أَبحثُ في رُكام الدُور والأَنقاض عَن أَهلي

أغَزة تِلك..

أَم أَضغاثُ أَحلامٍ تُخيل لي

ثَلاثون عِجافاً في الشَتات مَررن

أَدفن صاحبًا وأَقول يَدفنني الصِحاب غَداً

فَكَيفَ امتَد بِي أَجَلي

عاش السبعاوي معاناة اللجوء، بعد نفيه من غزة، ومع عودة السلطة الوطنية عاد إلى أرضه، فكتب تلك القصيدة ليعبر عن النتيجة المأساوية التي سببتها له غربته القسرية، فلم يجد سوى أنقاض البيوت وأطلال الأهل الذين رحلوا، فيتمنى لو أن ما تراه عيناه يتحول إلى حلم لا تفسير له، كحلم الملك الفرعوني بالسنين العجاف، فتلك السنين التي قضاها في منفاه أوجعت قلبه.

واستكمالاً لقصيدة الشاعر **لطفي زغلول** (أنا من وطن) التي تعددت مفاصلها عن قصة يوسف، وتنوعها بين رمزية المنفى والمعاناة التي يلقاها اللاجئون فيها، ينهي قصيدته تلك بالأمل الذي يتمنى الشاعر أن يتحقق بوجود تلك السيارة التي كانت نعم العون والمعين، والمنقذ ليوسف من قعر جبه، فيقول[٢] :

وَيمُر زَمانٌ بَعدَ زَمان

والمَوْتورُ المَحكومُ عَليهِ بِالأَشجان

---

(١)السبعاوي، عبد الكريم: ديوان متى تُرك القطا.ط٢، ١٩٨٨،مكتبة مدبولي،مصر،ص١٣

(٢) زغلول، لطفي: ديوان مدار النار والنوار.ص٥٢

مَا زَالَ بِقاعِ الجُب..

وَما مَرت سَيارةُ قَوم تُدلي دَلواً حَتى الآن

يقارب الشاعر بين قصة يوسف النبي الذي ألقي في الجب، فسخر الله له قافلة أنقذته وكانت السبب في وصوله إلى العزة، ووطن الشاعر الذي وقع في جب الاحتلال الغاشم، الذي بغى وطال بطشه، فتتسرب خيوط اليأس إلى قلب الشاعر الذي يتمنى من أعماق قلبه المجروح مرور قافلة النصر والتحرير التي ستدلي خيوط الإنقاذ، وتخرجه من براثن الاحتلال، فالأمل لا يزال منتظراً السيارة المبشرة حتى الآن.

وفي سبيل العودة المحققة، وبدروب الشوق المثير إلى أرض الوطن، وترابه الندىّ، يأتي الشاعر **نمر سعدي** على رمزية قميص يوسف، الذي يعد بلسم الفرح لقلب يعقوب المكلوم على فراق ولده، والبشرى الخيّرة في عودته إلى أحضانه، فيقول[1]:

هَل يَكفيه مَا يَنحل مِن شَمسِ المَحبة فِيه

وَهُو يَعودُ مِن تَغريبةِ الإنسانِ للإنسَان؟

بَحر وَاحد لا غَير فِي شَفتيه يَردُم هُوة النِسيان

في دَمه

يُعانِقه فَيُدنِي قَلبُه الأَعمى

يَقبلّه ويَرفعه عَلى عَينيه مِثلَ قَميصِ يُوسف

هبّ من فردوسِ أحلامِ الصِغار.

يستمد الشاعر من رمز القميص البشرى والأمل في عودة شعبه المشرد إلى أحضان أوطانهم وديارهم، فحلم العودة ماثل أمامهم، يسعون جاهدين إلى إنهاء تلك التغريبة التي كادت تلقي بهم في غياهب النسيان، فحلم العودة يسري في دمائهم، وكما عاد أغلى ما يملكه نبي الله يعقوب إليه متمثلاً بالبصر وولده يوسف، سيعود الفلسطيني إلى أغلى ما ترك.

ونرى صورة الفلسطيني حين يلثم حلم العودة بصورة متحركة يتدرج فيها الشاعر، فمن مرحلة عناق تلك الفكرة إلى تقبيلها، ومن ثم رفعها إلى عينيه؛ ليؤكد حتمية تحقيق ذلك الحلم، تماماً كما فعل

(١) سعدي، نمر: ديوان لن أعود بعدك إلا على جسد الرائحة.ص٦٠١

يعقوب نبي الله في عناقه لقميص يوسف في لحظة مكثفة تفتح فيها البصر والبصيرة في إحياء الأمل في النفوس.

ومن بين أشواك المعاناة، تنمو أزهار الأمل التي تحوطها الأمنيات في انتهاء تلك المرارة، وزوال كل الأوجاع، وعودة الفلسطيني إلى وطنه وأهله، وبنبرة تفاؤلية ممزوجة بالرجاء في تحقيق ذلك افتقدناها كثيراً عند لطفي زغلول وذلك بسبب تغير الأطياف النفسية التي تنجم عن تغير مسار الأحداث السياسية في الوقت الذي قيلت فيه القصيدة، فيقول[١] :

لعل الأمان الذي غاب عنا..

زماناً طويلاً... إلينا يعود

وتورق فينا الرؤى والوعود

لعل الصحاري التي سكنتنا...عجافَ السنين

تمر عليها سحابة حب

وتمطر زخّاتها.. فوح ورد..

نسائم فل..

شذا ياسمين

يتمنى الشاعر بأسلوب الرجاء أن تزول تلك الغمامة التي خنقت شعبه الفلسطيني المكافح زماناً طويلاً، ويتمنى من سنواتها العجاف أن تمر عليها سحابة الخير والعطاء، سحابة النصر والابتهاج؛ لتمطر عليها نسائم ظفرٍ بعد خسران طويل، وتحقيقٍ لحلم العودة الذي يراود كل فلسطيني مهجر، فتنتهي سنواتها العجاف التي ملّها الشعب.

نلاحظ أن الشاعر استمد من أحضان الطبيعة مفرداته التي تزدهر بالأمل، وتتلون بخيوط التفاؤل، فإنبات الأمنية في تحقيق الحلم نستخلصه من لفظة تورق، وكذلك الألفاظ المحملة بالخير كسحابة وتمطر وزخّات، التي تحمل في داخلها العطاء المحقق، وألفاظ تحمل الجمال فيها كورد وفل ونسائم وشذا وياسمين، تعكس المفردات المشاعر النفسية والوجدانية التي تسيطر على الشاعر، ويستمد منها الأمل الحتميّ، والخير الوفير في تحقيق حلم العودة.

---

(١) زغلول، لطفي: ديوان اللية شعر وغداً شعر.ط١، دار ناشري الالكتروني.٢٠١٤، ص٨٩-٩٠

وفي مناجاة الشاعر **يوسف الخطيب** لغزة العزة، امتصّ من قصة يوسف ظلمة الجب الذي ألقاه إخوته فيه؛ ليظهر تباشير العودة، فيقول[١]:

لأَني فيكَ غُصتُ غَيابة الجُب

وأصعدُ فيك طَور الحُزن، والحُب

وها أَجراسَ قَافلة

تَجيء إليّ عَبر سُفوحِ جلعاد

فسوفَ أُشد مِئذَنَتي

عَلى بَوابِة السُلطان

تظهر جينات التبشير بحتمية عودة كل فلسطيني إلى وطنه الذي حرم منه من خلال انتظاره لتلك القافلة، فالشاعر يرى بأن تلك القافلة " تهدف إلى تحديد مسار العودة إلى فلسطين التي يراها الشاعر من جبال جلعاد"[٢]، فيرسم بذلك أفقاً لعودة الفلسطيني لوطنه، ويشيّد مئذنة النصر على أرض غزة في حي السلطان؛ لتكون منارة شاهدة على تحقيق حلم العودة من بعد طول غياب.

يروي **أحمد دحبور** قصة والد عواد الفلسطيني الذي بعث برسالة مكتوبة إلى ولده المغترب ليطمئن عليه من بعد فراق استمر عامين، فيقول[٣] :

بِالفجرِ الذي يُغمى عَليه الأَهل؟

هلّا مرّ طَيفٌ مِنك، أو وَعد؟

قد ابيَضت عُيونُ الأَهل،

والبِئرُ التي تُخفيكَ لَم تُرسِل قَميصاً مِنكَ أو كُوفية،

فاصعَد إِلينا مرةً في الشَهر

جئْ في اللَيل

---

(١) الخطيب، يوسف: ديوان امنع الخمرة عني.ج٣،ص٧٢

(٢) عتيق، عمر: التناص الديني في شعر يوسف الخطيب.ص١١

(٣) دحبور، أحمد: الديوان.ط١، الاتحاد العام للكتاب الفلسطينيين، ٢٠١٧، ج١، ص٤٦٣

جئْ في النَهار

يا عَيني أَبيك الصَابر

المَكدود

يجري الشاعر مقاربة دلالية بين قصة عوّاد ووالده، وقصة يوسف وأبيه النبي، فالأهل في شوق ولهفة، ينتظرون ولدهم الذي يعيش وحيداً في ذلك البئر(المنفى)، وقد ابيضّت عيونهم لشدة الشوق حتى باتوا بحاجة إلى قميص منه يعيد النور إلى بصرهم كما أعاد نور قميص يوسف البصر لأبيه يعقوب، غير أن قميص عوّاد هو كوفيتنا، رمزنا الفلسطيني الأصيل، " فالربط بين قميص يوسف والكوفية يحول القصة من مسار القصة القرآنية إلى مسار القضية الفلسطينية"[١]، فيناظر معاناة يعقوب مع ولده الحبيب، ويعلن أنها واحدة، بالمشاعر والأحاسيس نفسها ، فهم لم يفقدوا الأمل، بل لا يزالون قيد الانتظار لتقرّ عينا والده المكلوم.

وعمد الشاعر إلى اختيار اسم " عواد" بطل القصيدة؛ ليكون له من اسمه النصيب الأوفر، فعواد من العودة التي يسعى الشاعر إلى تحقيقها، مع الإصرار وقوة العزيمة المختزلة في صيغة المبالغة عوّاد (فعّال)، بدلاً من اسم الفاعل عائد.

يصرّح الشاعر في قصيدة أخرى برغبته في الخروج من غربته، والتخلص من منفاه الأليم، ليعود إلى أرض وطنه، فيقول[٢]:

وَأكسِرُ أَقفالي، لِأصعَدَ مِن

غَيابَة الجُب،

مَا في الكَفِ مُعجزة،

ولا قَميصي غِلاف النّور في الزَمن المَغرور

أظلم جُبّ المنفى في عينيه، لذلك لجأ إلى الظلال النفسية لقميص يوسف، الذي كان السبب في عودة النور إلى عيني يعقوب كما في سورة يوسف[٣]﴿ **اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾، تلك المعجزة التي يحتاجها الشاعر حتى يعود إلى وطنه، ولأن

(١) عتيق، عمر: نبض السيرة الذاتية في شعر أحمد دحبور وتقنية التناص.ص١٩

(٢) دحبور، أحمد: الديوان.ط١، الاتحاد العام للكتاب الفلسطينيين، ٢٠١٧، ج٢،ص٣٥١

(٣) يوسف: ٩٣

ذلك القميص رمز الأمل في العودة من المنفى يطلب الشاعر هذا النور حتى يخرج من ظلمة المنفى الذي لم يُنسه يوماً تفاصيل وطنه العظيم.

نلمس الوجع في حروف الشاعر **سميح محسن** الذي يعبر عن وطنه الضائع، فيقول[١]:

دمٌ فَوقَ قُمصانِنا

لَم يَعدْ يُوسف في المَساء إلى البَيت

لِماذا نُحسس يَا أَبتي بارتِيابٍ

وفي خجلٍ رأسَنا

يوسُف،

لَمْ يَعد،

بَعد،

لَنا

أضحى يوسف النبي وطن الشاعر الضائع الذي ذهب بلا عودة، ونلتمس ذنباً ووجعاً في أفعال أخوته العرب، فكما يبدو من كلام الشاعر قد بدا على أنفسهم الخوف والريبة، وهم يتحسسون بخجل يخيم على قلوبهم ورؤوسهم، ليظهر لنا أنهم في خطيئة، وهم يحيونها بزيف وخديعة، ويعترفون بذلك الذنب دون إنكار (دم فوق قمصاننا)، فقد أضاعوا الوطن السليب. وتُضمر كلمة (بعد) التي كررها الشاعر مرتين أملاً ويقيناً وتحمل جينات بشرى عظيمة بالعودة إلى الوطن.

تصنع الإرادة المستحيل، وتحقق المعجزات، وإرادة شعبنا تنبع من مشاعرهم الجياشة تجاه وطنهم، وتحقيق العودة إليه، فيختزل الشاعر **رشدي الماضي** ذلك بعنوان القصيدة (بيضة ديك)، إذ جعل للديك بيضة رغم استحالة ذلك، ليثبت أن العودة حلم سيتحقق مهما بدا مستحيلاً، فيقول[٢] :

فِرعونُ آمنَ وَناداه

فِرعونُ خَشي "سَبعاه"

---

(١) محسن، سميح: ديوان في حنجرة الريح.ط١،دار كنعان،الجزائر،٢٠١٦،ص١٦٣

(٢) الماضي، رشدي: ديوان تهاليل للزمن الآتي.ص٣٧-٣٨

***

يُوسُف !! أَنت أَنت تَسمَعُنا

مَخاضَ رُؤياكَ خَبرنا

الصُبح ديكٌ يَسكننا

***

اشتدَ الوَجَع يا رَبع

الفَرح الفَرح يا جمع

الآنَ الديك أَلقاها

ووطن العَودة سَماها

يستذكر الشاعر حلم فرعون مصر الذي رآه، وذلك في قوله تعالى ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ۖ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ**﴾[1]، ويعبر من خلالها عن سنين العجاف التي طالت على الفلسطيني في غربته، فيطلب من يوسف أن يؤول له رؤيا العودة والخلاص، ويستمد من مفرداته كلمات تحمل البشرى، فالصبح رمز للحرية المشرقة التي يبحثون عنها، والديك رمز لقرب شروق شمس العدالة والنصر، صادحاً بصوته تحقيق حلم العودة الذي ينتظره الجميع.

يبقى إصرار الشاعر على تحقيق العودة نوراً يستبصر به لغدٍ جديد، فيقول[2] :

لْم يَعد يُخيفُني زَمنُ التَصَحُر

يُوسف يَحرس بِئرنا

نعم! أيها البيَت

يوسف العائدُ مِن الأَبد يَسكنه

---

(١) يوسف: ٤٣

(٢) الماضي، رشدي: ديوان تهاليل للزمن الآتي.ص٨٠-٨٢

يَداه يَنابيعنا والجَداول

وَعَصا مُوسى والفُلك

الحَبل والسيارة

****

فِرعَون!!

يا مَلِكَ المُلوكِ

حُلمُكَ الأَخير أَرسِله

يَعقوب يَقود كَواكبه والقَافلة

فرعون!!

يا ملاك الغلالِ الوافرة

سَبعنا السِمان حَاملة

يعلن الشاعر التحدي والثبات، فهو لم يعد يخشى المخاطر في تلك المنافي، فيوسف الفلسطيني الآن أصبح ذا قوة أكبر من قبل، وسيعود حارساً للحمى والديار التي خرج منها، كما يشير الشاعر إلى رؤيا الملك مرة أخرى فيؤكد أن سنوات العجاف والغربة انتهت، وقد طواها زمان القسوة التي عاشه الفلسطيني، والذي سيبدأ بسنوات خير وافرة، محملة بالعودة الحتمية، والنصر المؤكد.

ويعلن **رشدي الماضي** بشارة عودة الفلسطيني إلى وطنه، فيقول[1] :

يُوسِفي

جَفِفْ دُموعَكَ

واخلَع عَنكَ ثَوبَ الغَدرِ

بَقراتُنا العِجافُ ذَبحناها

وبِئرُكَ لَم تَعد مَهجورة

(١) الماضي، رشدي: ديوان تهاليل للزمن الآتي ص٨٩-٩٠

مَهجورة، مَهجورة

سَماؤنا شِتاؤُنا

وَشتاؤُنا مَطر

مَطر، مَطر...

يوسف أيها الصديق

سيارتنا من البعيد

قادمة إليك

فقد ملّتها الدروب

وكرهتها المنافي

وعاداها السفر

يُسند الشاعر الياء في (يوسفي) لنفسه تأكيداً على الهوية الفلسطينية ليوسف النبي، طالباً منه أن يرتدي ثوب النصر والعزيمة، فتلك السنوات العجاف التي آلت به إلى المنافي قد انتهت، وديارِه التي تركها في فلسطين لم تعد مهجورة، وقافلة العودة في طريقها لأخذه من منفاه والعودة به إلى أحضان وطنه، فيدعوه أن يستبشر بتحقيق حلمه، كما تحمل كلماته التي كررها دلالات مفعمة بالخير والبشرى، فعبارة (لم تعد مهجورة) التي كررها ثلاث مرات، تأكيد على الإعمار وديمومة الحياة، ولفظا (شتاؤنا ومطر) يحملان في تكرارهما الخير والبشائر والرزق الوفير، على الرغم من أن كلمة مطر في السياق القرآني تشير إلى الغضب والعذاب، عكس كلمة غيث التي يحمل الخير.

يستخدم الشاعر ذاته في قصيدته الموسومة بـ (عنقاء يوسف العصري)، دلالات جعل من عنوانها علامة سيميائية تحمل كثيراً من البشائر المنتظرة، فيقول[1] :

غداً سَأرتدي غيمة

وأقيم على كَتف الشِتاء

فإن رأيت سَيارة

(١) الماضي، رشدي: ديوان شمال إلى حجر الانتظار،ط١، دار الفارس للنشر والتوزيع،الأردن،٢٠١٢، ص٧٠-٧١

فكت عراها، وَتفلتت

من مِسمار مثبت على جدارِ غَفوة؟

سأجرّح صدر يافطة الهداية

وأخبئ في مدونتي

للماء كتابة!!

وإن عادَت زُليخةُ واستعارَت

مِن جَحيم لَها بَابا مشرعاً !!

سأرسل ناسوخي زَاجلاً يبلغ:

لن أقرأ ما تَحمله مِن عَطش

أنا يوسف العَصري الذي رَأى فانتظروني

سَتبدل الفصول لون حزني

لاستنسخ من مضغة نجت من مدية إخوتي

نطفة عنقاء تخصب تأويلي ورؤياي

اختار الشاعر رمزية العنقاء ليوسف الفلسطيني العصري، ليكتسب منه صفة الأمل المتجدد، فهو طائر خرافي بجناحين عملاقين يخرج من رماده إلى الحياة بعد الموت، ليكون بشرى للفلسطيني الذي سيخرج من منفاه إلى حياة جديدة في وطنه الذي حرم منه، وسيعود مهما كان الأمر مستحيلاً.

والفلسطيني مشحون بطاقة الأمل في خلاصه مما هو فيه، فبدأ نصه بـ (غداً) تأكيداً لبداية عزيمة جديدة سيتسلح بها، لتمطر غيمة النصر شتاء النصر الوفير، كما أنه يعلن التحدي لكل جهة تفكر فتح باب المنفى من جديد، فيتحدى إسرائيل التي يرمز لها بزليخة، ويؤكد بسين التسويف المربوطة بأفعال المضارعة الدالة على الاستمرارية (سأرتدي، سأجرح، سأرسل...) أن المقاومة ستبقى مستمرة حتى تتحقق رؤياه في العودة المكللة بالنصر.

وتؤكد الشاعرة **إيمان مصاروة** على حتمية العودة، فتقول[1]:

نقوش في ذاكرة الريح

فلترفعوا فيها الأذانَ

ولتقرعوا الأجراسَ في كل الكنائس

واستفيقوا إنها للنصرِ روحٌ لا تموتْ

سيذوبُ هذا البردُ في وجهِ الدماء النازفة

سيغيبُ صوتُ القهرِ من تلكَ الحناجر

سوفَ نرجعُ

لا مجازَ لها يا يوسفْ

فاسمعْ ما قالَ عاشقُها الشهيد

واذكر لها تموز

قد آنَ الحصادْ

فالشاعرة تنادي يوسف الفلسطيني أن يرفع الأذان ليعلن النصر القادم، ويقرع أجراس التحرير المنتظر، وأن تفيق الأمة من سباتها العميق، فثلج الغربة وبرودته سيذوب أمام تحديات أبناء الشعب الفلسطيني الذي كفاه ما ذاق من مرّ القهر والذل، فقد آن الأوان لحصاد سنابل النصر والتحرير من بعد طول تلك السنين المريرة.

تؤكد الشاعرة من خلال صوت المئذنة وأجراس الكنيسة على وحدة المصير بين المسلمين والمسيحيين في فلسطين، فألم الاحتلال واحد، ولا وجود للفرقة الدينية بينهم، باتحادهم ستذوب كل الفوارق، فالوطن لا يميز المسلم عن المسيحي، كما تستمد الشاعرة من أسطورة تموز الحياة والانبعاث من جديد، فيعيش الفلسطيني بأمل وجود حياة جديدة مليئة بالخصب والإيناع.

---

(١) مصـــــاروة، إيمـان: نقوش في ذاكرة التـاريخ. مجلـة الحوار المتمـدن، العـدد: ٦١٦٩، ٢٠١٩ / ٣ / ١٠ http://www.ahewar.org

يؤكد الشاعر **عبد السلام العطاري** على رفض الفلسطيني للذل والخضوع، فيقول:[1]

أهيئ من كلام الطير مغناة

وأطلق على جناحيه نشيدي

وأعلي صوتي من غياهب الجب

يا سيارةُ هذي بلادي أنا من سادتها

لا أباع ولا أشترى في سوق العبيد

يصدح الشاعر بصوته الذي ينادي بنسائم الحرية والعودة، من خلال قصائده التي أرسلها مع طير السلام إلى من هم في المنافي، الذين يرفضون الذل والخضوع والخنوع، مستئنساً بقصة يوسف ومجرياً تحويراً في مدلولها، فهو لا يباع ولا يشترى في سوق العبيد، وسيعود إلى دياره مهما طال زمان الغربة.

يستمد الشاعر **مسلم محاميد** تحقيق حلم العودة من عتبة عنوانه الموسوم بـ **(أنين الولادة)**، إذ تعبر كلمة الولادة عن الحياة الجديدة، والحلم المتجدد الذي يسعى الشاعر إلى تحقيقه، رغم وجود بعض المنغصات وآلام المخاض في ذلك، التي نستمدها من كلمة أنين، غير أن الأوجاع تذهب بولادة الحلم، فيستأنس الشاعر بقصة يوسف ليعبر به عن فكرته، فيقول[2] :

"أئِنُّ"

أقولُ:

"تَماسكْ"

يقولُ: "وفي الجبِّ

عتمةُ قبرٍ"

أقولُ:

"تماسكْ"

---

(١) العطاري، عبد السلام :عراب الريح .ط١،دار الشروق،٢٠١٣ ،ص١٣

(٢) محاميد، مسلم: ديوان نشيد..وآخر.ط١، مطبعة الصراط، فلسطين، ٢٠٠٩، ص٩٥

يقولُ:

"وفي الجبِّ محنةُ دهرٍ"

أقولُ:

"تماسكْ

يجري الشاعر مقاربة دلالية بين يوسف عليه السلام والشعب الفلسطيني، إذ يذكر لنا قصة إلقاء يوسف في الجب، ومشاعر الألم التي اعتصرته في ظلمة ذلك الجب، ويقاربها بمعاناة الشعب الفلسطيني الذي سقط في جب المنفى، فيبدأ صدى أنينه ينتشر لهول ما يعانيه في تلك المنافي، غير أن خيوط الأمل تأتي من صوت خارجي يدعوه إلى التمسك والصبر، ليكمل لنا الشاعر المفارقة الدلالية، فيقول[1] :

"رنينُ الدّراهمِ أُشرى

بأبخسها، أنقذوني"

أقولُ: "تماسكْ"

يقولُ:

"أنا ابنُ الحقيقةِ

وابنُ النّبوّةِ

وابنُ الكرامه"

أقولُ: "تماسكْ"

يقولُ:

"لماذا أباع

ببعض الدّراهمِ

في زمنٍ صار

فيه الذّليلُ كريما

(١) محاميد، مسلم: ديوان نشيد..وآخر: ص٩٦-٩٧

وصار الكريمُ

ذليلاً يهونْ"

يظهر الشاعر مفارقة بين ما حصل مع نبي الله الذي بيع بدراهم معدودة، وفلسطين التي باعها الأخوة العرب، فاستنكار يوسف الذي بيع وهو الكريم ابن الكرماء، يناظر استنكار فلسطين التي بيعت على الرغم من العزة والكرامة والقداسة التي تتصف بها، و" تفضي هذه المفارقة إلى مفارقة أخرى لا تقل ذهولاً واستنكاراً؛ إذ إن قدسية فلسطين ومكانتها الدينية لم تشفع لها عند تجار "القضية " وسماسرة الوطن"[١]، نستخلص من النهاية التي حققها نبي الله في المكانة الرفيعة التي حظي بها، وفي عودته إلى أبيه، البشرى في تحقيق عودة ذلك الفلسطيني إلى وطنه، واسترجاعه لكرامته التي هدرها المحتل له.

ونلاحظ أسلوب الشاعر بوساطة حوار يعتريه نوع من الوجع الخفيّ في شخصية المتكلم، فهناك يوسف الفلسطيني الذي يسرد قصته وفصول معاناته بتسلسل بادٍ، تمتزج فيه مشاعر الألم والانكسار، بالمفردات التي عبر بها عن نفسه (أئن، عتمة القمر، قهر الجب، أنقذوني، أبخسها، ذليل، يهون، بعض دراهم)، أما الشخصية التي تستمع إلى شكوى الفلسطيني، فهي مليئة بالطاقة التي تحاول أن ترسلها له، وذلك باكتفائه بكلمة "تماسك"، التي كررها مراراً ليغرس الصمود في نفس الفلسطيني المنكسر، ويستمد منها القوة في تحقيق حلمه.

ولا يزال الشاعر محاميد يستمد من قصة يوسف الأمل في تحقيق العودة من خلال رؤياه التي رآها، إذ يقول[٢] :

نشيدٌ وآخرُ

يوسفُ

يُنشِدُ عهداً

وآخرْ

نشيدٌ وآخرْ

ويوسفُ: إني رأيتُ

---

(١) عتيق، عمر: هدير العودة في ديوان "نشيد وآخر " للشاعر مسلم محاميد . صحيفة القدس،٢٠١٢،ص١٣

(٢) محاميد، مسلم: ديوان نشيد وآخر.ص١٠٨

الكواكبَ تسجُدُ

والشّمسَ تسجُدُ

إني رأيتُ

سجودَ القمَرْ

وأخوة يوسفَ

بين حقودٍ

وبين حليمٍ

خذوهُ إلى البئرِ أو ....

فاقتلوهُ

يستند الشاعر إلى رؤيا يوسف التي تتجسد بسجود الكواكب والشمس والقمر له، وكما كانت تلك الرؤيا في بادئ الأمر السبب في حقد إخوته عليه، ومكيدتهم به، تغدو في النهاية سبباً للعزة والرفعة، وفي تحقيق العودة إلى حضن أبيه يعقوب، من هنا ينشد الشاعر ألحانه مستخلصاً فكرة تحقيق حلم العودة من تلك الرؤيا.

كما ويشير إلى موقف إخوة يوسف الذين حاروا في تحديد نهاية يوسف، بين قتله أو رميه في الجب﴿ **قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ**﴾[1]، ويناظره بحال العرب الذين حاروا في قضية فلسطين ومصير شعبها.

٢- العودة في سياق الشك والقلق

تسيطر على فضاء بعض القصائد مشاعر الشك في العودة، بل يكاد بعض الشعراء يرى ذلك الحلم مستحيلاً، ويستمد تلك النظرة التشاؤمية من خلال الأوضاع السياسية الراهنة، التي تخلو من بشائر العودة، فيبقون في حيرة وشكٍ يسيطر على نفوسهم، ويكون اليأس والعجز سيد موقفهم.

---

(١) يوسف: ١٠

يعبر الشاعر **سميح محسن** عن يأسه وفقدانه الأمل من العودة إلى الوطن، والبقاء في منفى الغربة يعاني آلامها وأوجاعها، فيقول[1]:

أفتش ما بين كفيّك عني

فظلي يغادرني باتجاه سحابات موج

ويتركني سادراً في غيابته،

لا قميص يقيني من البرد، لست نبياً

ولا عاشقاً

لا خزائن للقمح بين يديّ

ولا أخوة لي

أبي لم يكن ذات يوم رسولاً

ولا كنت أغنية في فضاء حبيسين

كانا يطلان من قمرين على الأرض...

يجري الشاعر مفارقة دلالية بين الفلسطيني والنبي يوسف، فكلاهما تعرض للتعذيب وذاق ألوان المعاناة، وكان أشدها تلك الغربة التي عاشا فيها بعيداً عن الأهل، غير أن نهاية الحال مختلفة، والعاقبة ليست واحدة.

امتلك يوسف النبي مقومات النجاة، وسبيل العودة المحقق، فقميصه النبويّ كان وسيلة لعودة أبيه إليه، إضافة إلى امتلاكه خزائن الحكم في منفاه، ووالده النبي الذي بشره بالعزة والمجد منذ صغره، وتحقيق ذلك في كبره، فكانت نبوءة أبيه شرفاً عظيماً لتحقيق مراده ومطالبه، والظفر في النهاية. أما الفلسطيني، فلا قميص يقيه من برد الغربة والمنفى، ولا يمتلك مقوماتٍ للغنى في منفاه، لم يكن نبياً ولا كان أبوه رسولاً يبشره بما سيأتي عليه من أحداث، حتى إخوته(العرب) خذلوه في البداية، وأسقطوه في حفرة المنفى بأساليبهم ووعودهم الخادعة. وهي مفارقة دلالية واضحة جسدت عمق مأساة الفلسطيني المشرد في غياهب الغربة وظلمة المنفى، دون تباشير أمل.

---

(١) محسن، سميح: ديوان سادن الريح.ط١، دار فضاءات للنشر والتوزيع.الأردن،٢٠١٣،ص ٦٤-٦٥

يحلم الفلسطيني في عودته إلى وطنه، غير أن تفاصيله لم تكن كما يتخيل، فرجوعه إلى وطنه وبيته سيكون مؤقتاً، وما أُخذ منه يوماً لن يتم إرجاعه، فتكون زيارته كضيف عابر لا يملك سوى الحسرة في داخله، كذلك **أحمد دحبور** حين زار بيته في حيفا، عبّر عن مشاعره تلك، إذ يقول[١] :

لو كنت أعرف باب داري

لو كان تحت يدي جداري

لو أن رائحة تغرّد في قميصي

لاستجاب لطير قلبي ألف يعقوب من الكينا

و لانفتحت من الشجر العيون

لو كان لي ما كان لي

بدأ الشاعر بأسلوب الاستفهام في عنوان قصيدته (هل كان لي؟) منتقلاً إلى أسلوب التمني المليء بالحزن والأسى وهو يقف أمام مسقط رأسه (واد النسناس في حيفا)، فالشاعر يقف في حيرة أمام منزله الذي ولد فيه ونزح منه طفلا لا يتجاوز ست سنين، فنراه حائرا مضطرباً لا يعرف باب داره ولا جدار منزله، وبحزن عميق يتمنى لو أن هناك معجزة تحصل مع قميصه كما حدث مع نبي الله يعقوب، الذي وجد ريح قميص يوسف على الرغم من المسافة البعيدة،﴿**وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ (٩٤) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ**﴾[٢]، وكان يقين يعقوب بعودة ابنه حتميّاً، " ففاعلية الشم قد ارتقت لديه من طور الإدراك الحسي الذي يعوزه الوعي، إلى طور الإدراك اليقيني التام"[٣]، ليستأنس الشاعر بتلك المعجزة، ويتمنى وجودها؛ لتدله الرائحة المنبعثة منه على أشجار الكينا التي كانت تحيط منزله القديم،" ذلك الشجر الذي علق بذاكرة الشاعر من حكايات الأم عن بيتهم في حيفا، فقد كانت مخيلة الشاعر تحفظ أن شجرة الكينا علامة فارقة، يمكن أن يهتدي بواسطتها إلى بيته في حيفا"[٤]، فتغمره بذكريات الأهل والأحباب، كما غمرت ريح يوسف قلب يعقوب وأعادت البصر إلى عينيه.

---

(١) دحبور، أحمد: الديوان.ج٢،ص٢٦٤

(٢) يوسف: ٩٤-٩٥

(٣) دحماني، نور الدين: بلاغة الصورة الفنية في الخطاب القصصي القرآني. رسالة دكتوراه، إشراف: أحمد مسعود. جامعة وهران، الجزائر،٢٠١١،ص٣١٩

(٤) عتيق، عمر: نبض السيرة الذاتية في شعر أحمد دحبور وتقنية التناص.ص٢٠

ونلاحظ أن الشاعر كرر في أبياته أسلوب الشرط بحرف لو الذي يفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط، وذكر جواب الاستجابة والانفتاح لأفعال سبقتها، ويشير ما تقدم إلى مشاعر الحسرة التي تملأ نفس الشاعر، وألم العجز في عدم القدرة على فعل أي شيء.

بات العجز يسيطر على الشاعر في قوله (لو كان لي ما كان لي)، لتظل تلك الأمنية تتردد في ذهنه بعد أن غيّر الاحتلال أطلال بيته الذي يجسد حب الوطن، ولتبقى العودة إليه ناقصة، والعيش فيه كما كان سابقاً حسرة في قلبه، وقلب كل فلسطيني حرم من كنف وطنه والبقاء فيه.

يعبر الشاعر **لطفي زغلول** عن حلم العودة الذي يعد هاجساً لكل فلسطيني، وعن فكرة التشاؤم من مستقبل القضية الفلسطينية، فيقول في قصيدته الموسومة بـ (خريف الانتظار)[1] :

كانت رؤاي تستبق الغد..

ترى في أحشاء رحمه..

سبعاً من السنين العجاف

في رحمها سبع أخر..

من السنين العجاف

سيطرت على الشاعر فكرة استبعاد الغد المبشّر بالنصر والحرية وتحقيق حلم العودة، فسنين الظلم العجاف التي عاشها الفلسطينيون في غربتهم عن أوطانهم، ليست كسنيّ يوسف التي انتهت، وبدأت بعدها سنين الخير والعطاء، فالشاعر يقرّ ويؤمن بمصير وطنه الواضح للعيان، فسنيّ العجاف والمعاناة ستتبعها سبع عجاف، وشاعرنا لم يبدِ هذه النظرة السوداوية إلا بعد أن رأى حال وطنه الراهن، وحال أمته الغافلة، ولهذا مزج عنوان القصيدة بالخريف، وما أصعب خريف الانتظار الخالي من أمل العودة إلى الديار.

وما زالت تلك النظرة تسيطر على الشاعر في قصيدة أخرى عبّر فيها عن إيمانه بأن تلك السنين العجاف لا تزل قائمة، ولا وجود لسنين خير تتوج بالعودة، فيقول[2] :

خطاه في جرح الثرى

---

(١) زغلول، لطفي: ديوان أقول لا.ط١، اتحاد الكتاب الفلسطينين.القدس،٢٠٠١، ص٣٣

(٢) المصدر السابق: ص١١

أين المصير...والمدى سراب

سبع عجاف...والرؤى يباب

سبع عحاف...والرؤى يباب

يخيم التشاؤم في استشرافه للمستقبل، فالسنين ما زالت عجافاً، وحتى الرؤى _التي يأمل الشاعر من خلالها أن تنزاح تلك الغمامة السوداء_ قاحلة لا خير فيها، لا رؤى ولا تطلعات على تغير وضع الأمة الراهن، ولا تباشير حلم بالعودة، ألم الشاعر كان قادراً على تغييب بشائر الأمل، وفرض مشاعر اليأس في نفسه.

تتنوع الآمال في قلوب الشعراء المكلومين، الذين اكتووا بنار الغربة والمنفى، وتمنوا أن يعودوا إلى وطنهم الذي فيه ترعرعوا ونشأوا، وبين أزقة أحيائه عاشوا طفولتهم العذبة، فتنوعت أشعارهم ما بين متشائم يرى حلم عودة الفلسطيني حلماً فعلياً لا يمكن تحقيقه على أرض الواقع، فخيم اليأس على قلوبهم، وما بين شعراء مؤمنين بالعودة الحتمية، يترقبونها بيقين وعزيمة.

المبحث الثالث: مرايا وطنية في قصة يوسف

ارتبط الأدب الفلسطيني عند الشعراء بطرق التعبير عن معاناة شعبهم جرّاء ما ارتكبه الاحتلال في حقّهم، إذ قام بعضهم بتضمين بعض القضايا الوطنية التي تتعلق بفلسطين وكفاحها ونضالها المستمر في أشعارهم، في سبيل حديثهم عن قصة يوسف عليه السلام، فكانت بذلك مرآة تعكس الحديث عن قضية كبرى للشعب الفلسطيني، وتطرحها بربطها مع معاناة نبي الله يوسف، ومن بين تلك المرايا الوطنية:

١- قصة يوسف عليه السلام والقدس

تشكل مدينة القدس القضية الكبرى التي تشغل بال الشعب الفلسطيني، الذي يسعى جاهداً إلى تحريرها من قيود الاحتلال الذين يسعون إلى تهويدها، وطمس قداستها، فباتت مدينة القدس ضحية كنبي الله يوسف، تعيش في منفى منعزل عن أولئك المرابطين الذين يسعون إلى إخراجها مما هي فيه، ويصرون على عودتها إلى أهلها كما عاد يوسف إلى حضن أهله ووطنه.

يربط الشاعر معتز قطب قصة يوسف بالمسجد الأقصى، فيصبح المسجد الأقصى يوسف النبي الذي رأى تلك الرؤيا في ليلة من ليالي الاحتلال القاسية، فيقول[١] :

---

(١) القطب، معتز علي: قصيدة عودة يوسف.شبكة الألوكة، السعودية،٢٠١٦، على موقع: https://www.alukah.net

الـمَســـــجـدُ الأقصَـــــى رَأى بِـزمـانِ ... حُلْمـاً يفيضُ بِشـــارةً بِمَكـانِ
فـي جـوفِ لـيـلٍ نـامَ بـعـدَ عَـنـائِـهِ ... فَـأتَـت لَـهُ الرؤيَـا بِكـلِّ بيـانِ
سَـــجـدَت لَـهُ الـدُنيـا بكـلِّ نُجومِهَـا ... مِن بعـدِ إذنِ الـخـالـقِ الرَّحمنِ
لَـكَـأنَّ قِصَّـــةَ يُـوســـفٍ قـد كُـرِّرت ... فِي المســجد الأقصـى مِن الإخوانِ

يجسد الشاعر شخصية يوسف النبي في المسجد الأقصى، ويحدث توافقاً دلالياً بين تفاصيل الحوادث التي مرّ بها، فالمسجد الأقصى رأى رؤيا تبشر بالعز والمجد والخلاص، من بعد طول معاناة، رأى سجود الدنيا لذلك المسجد، وخضوع دول وسياسات له، ولتلك المدينة المقدسة التي تمثل القبلة الأولى لكل مسلم على هذه الأرض، فتعود أحداث قصة يوسف إلى زماننا ببطلها المتجسد بالمسجد الأقصى.

ويذكر كذبة إخوة يوسف التي اختلقوها، بعد إلقائه في الجب، ويربطها بالقدس، فيقول:

مـن أســـلـمَ الـولـدَ الـجَـمـيـلَ وَخـانَـهُ ... قَـد كَررَ المـأســـاةَ بـالبلـدانِ
مَـن راحَ يـكـذبُ أن ذئـبـاً ضَـــرَّهُ ... قـد بـاعَ مَســجِـدَنـا الى الجُرذانِ
كـانـت أخـوَّتـهـم جَـمـيـعـاً كـذبَـةً ... ضَـــرباً مِن التضـــليلِ والهَذَيـانِ
قَـد أســلموا القـدسَ الشـــريفَ وأهلَهـا ... والشـــامَ مع بَغـدادَ لـلطغيـانِ
ألقوا الى الجـبِّ السَـــحيقِ حضـــارةً ... والمســـجدَ الأقصـــى مَع الأوطانِ
فِـي كـلِّ مـرحـلـةٍ قَـمـيـصٌ كـاذبٌ ... يُـغـرِي عُـيـونَ الـنـاسِ بـالألـوانِ

يربط الشاعر الحوادث التي مرّ بها يوسف النبي بعد إلقائه في الجب، مع القدس ومساجدها التي أُلقي بها في جب الاحتلال الغاشم، وذلك بعد تخلى الذين يدعون العروبة والحرص على القدس عن واجبهم الديني والقومي، وراحوا يبحثون عن قميص واهٍ بالحجج المضللة؛ ليبرؤوا أنفسهم ويلقوا التهمة على غيرهم.

وبانتظار يوسف للقافلة التي ستحرره من الجب، يعبر الشاعر عن شعبه الذي يترقب قافلته المحررة له، فيقول:

تـأتِـي إلـى الـبـئـرِ الـعـمـيـقِ قـوافـلٌ ... تَبتاعُ أرضـــاً غَضَّـــةَ البُســـتانِ
وَتَســـوقُ مِن مُـدن الجَمـالِ ضَـــحيَّـةً ... كـي تُـطِـعـمَ الـتَّـاريـخَ لـلـغِربـانِ
لـهـفـي عـلـى تـلـك الـديـارِ وأهـلِـهـا ... عـانَـت مِن التضـــليـلِ والخُـذلانِ
حقـدوا على الطفـلِ الصـــغيرِ وَحظِّـهِ ... واليومَ هُم حَقـدوا على البنيـانِ

يكمل الشاعر سرد قصة ذلك المسجد، وتلك المدينة المقدسة التي غدت في ذلك الجب تنتظر القافلة التي ستعمل على تخليصها من الاحتلال كما أخرجت يوسف النبي وأنقذته، غير أن قوافلنا المقنعة بالدين والعروبة كانت وما تزال على غير ما نتمناه، فهي تعمل اليوم على بيع أراضي المدينة، فلم يكفهم أن تقع المدينة في قبضة المحتل، بل يسعون إلى تهويد كل ملكية في تلك البقاع.

يصل الشاعر إلى شراء يوسف وبيعه، لتبدأ معاناته الجديدة مع زوج العزيز، فيربطها بحال شعبنا ويقول:

وَشَـــرى العَزيزُ من القوافلِ حِملَها ... لتـذوقَ كيدَ الغَربِ والنســـوانِ
قَدوا قميصَ المؤمنينِ بِبغيِهم ... ليضـــيِّعوا إرثاً من الإيمـانِ
يا ويحَهُم أخَذوا زُلَيخَةَ قُدوَةً ... وَتَفنَّنوا بالكيدِ والأحزانِ
من قاومَ الكيدَ العظيمَ وأهلَهُ ... أمســـى بذلِّ القيدِ والســـجانِ

أصبحت القدس ملكاً للعزيز الذي اشتراها من العرب الذين تنازلوا عنها، ذلك العزيز المتجسد بأمريكا، التي تصدر القرارات التي تسعى لتهويد مدينتنا، فتبدأ القدس معاناة جديدة، بتلك القرارات الظالمة التي تقد قميص العزة والشرف عنها، متأثرين بأفعال زليخة(إسرائيل) التي تفننت في صنوف التعذيب والطمس بحقها.

يتابع الشاعر تفاصيل المقاربة بين قصة يوسف والقدس في قوله:

ســـبعٌ عجافٌ في البلادِ جَميعها ... يأكُلنَ أيَّ مروءةٍ وحنانِ
يا ربِّ لو تَمضيْ العجافُ سريعةً ... وَيَجيءُ عامُ الغَيثِ والإحســـانِ
أكَلت ســـنونُ القحطِ كلَّ فضـــيلةٍ ... وأتت عَلى الأخلاقِ والأعيانِ
وعواصـــمُ التَاريخِ كانَ نصـــيبُها ... ضـــرباً بســـيفٍ قاطعٍ وسِـــنانِ
لَكَأنَّ في القُدسِ الشـــريفِ كواشـــفاً ... نَطَقت لتفضـــحَ فعلهم بِلســـانِ

يذكر الشاعر سنين العجاف التي مرّت بها مصر في زمن نبي الله يوسف، ويربطها بسنين الاحتلال التي تمر بها مدينة القدس الشريف، فقد طالت تلك السنين وتكالبت فصول المعاناة على أهلها، فهي لم تترك شيئاً في القدس إلا وغيّرت معالمه، ليناجي الشاعر ربه أن تأتي سنين الخير المحملة بالنصر والعزة للقدس كما أتت في زمن يوسف النبي، فلقد طالت المحنة بالقدس قبل أن تخرج عن صمتها وتفضح صمت العرب المخيّم عليهم.

يعود يوسف إلى أحضان أبيه، وتتحقق له الرؤيا التي رآها في طفولته، ومن تلك العودة يتسمد الشاعر الأمل لشعبه العظيم، فيقول:

المسجدُ الأقصى يُصرُّ بأنَّهُ ... سَيعودُ للأحبابِ والخُلانِ
تلك النجومُ مع الكواكبِ كُلِّهَا ... سَتُضيءُ ليلَ القُدسِ والإنسانِ
تأتي وتسجد للعزيز وأهلهِ ... وتحققُ الرؤيا بكلِّ أمانِ
سيعود حتماً مثل عودَةِ يوسفٍ ... يستقبل الإخوانِ بالأحضانِ
ويسامحُ الأهلَ الذين يُحبُّهم ... ويبادل الأَعرَابَ بالتحنانِ
يا ربِّ، أدركنا لنشهَدَ عِزَّةً ... ونرى زمان البرِّ والأشجانِ

لا يزال حلم النصر كامناً بين عيني المسجد المكلوم، وبالعزم والإرادة يعلن إصراره على عودته إلى أهله، مستذكراً تلك الرؤيا التي تحمل جينات التبشير بين حناياها، فكلمة النجوم في المقطع السابق تحيلنا إلى أحد عشر كوكباً، فالنجوم الساجدة هم أخوة يوسف الذين خرّوا سجداً لأخيهم، وكما سجدت تلك الكواكب ليوسف النبي في نهاية المطاف تحقيقاً لحلمه، سجدة عز ورفعة، ستأتي الدول العربية وتطلب العفو والمغفرة من القدس جرّاء تقصيرهم.

يجسد قميص يوسف النبي عند الشاعر ذاته علامة فارقة، جعلته يحمل عنوان قصيدة يعبر من خلاله عن معاناة القدس والمسجد الأقصى، وبلغة صارمة يعلن الشاعر تقصير العرب تجاه العاصمة الدينية المقدسة، التي تكالبت أنياب المحتل الإسرائيلي عليها، فجعلتها ضحية تنتظر الخلاص من أبطالها لنجدتها، فيقول في قصيدته الموسومة بقميص يوسف [1]:

قَدَّوا قَمِيصَكَ يَا أَقْصَى وَمِنْ دُبُرٍ ... وَأَلْفَيا خَيْرَ أَهْلِ الأَرْضِ فِي البَابِ
مُرَابِطُونَ لَهُمْ حَظٌّ وَمَكْرُمَةٌ ... مِنَ المُرُوءَةِ، مِنْ أَهْلٍ وَأَنْسَابِ
يُشَدِّدُ المُجْرِمُ المَلْعُونُ قَبْضَتَهُ ... على القَمِيصِ بِأَضْرَاسٍ وَأَنْيَابِ
وَالمَقْدِسِيونَ مَا انفكَّتْ عَزِيمَتُهمْ ... فَالسجنُ أَفْضَلُ مِنْ تَدْنِيْسِ أَعْتَابِ
يُرَاوِدُ المَسْجِدَ الأَقْصَى لِيَخْطِفَهُ ... وَيَسْرق النُّورَ مِنْ أَهْلٍ وَأَعْرَابِ
يَشُدُّ فِي الثوبِ يرجُو أَنْ يُبَدِّلَهُ ... كَمْ بَدَّلَ الظلمُ أَثْوَاباً بِأَثْوَابِ

(١)القطب، معتز علي: قصيدة قميص يوسف.شبكة الألوكة، السعودية،٢٠١٥، على موقع: https://www.alukah.net

جعل الشاعر من المسجد الأقصى يوسف النبي مرةً أخرى، مستأنساً بقميص يوسف، ويخبرنا عن ذلك المسجد الحزين الذي تعرض للمكيدة المدبرّة من إسرائيل العدو الغاشم، غير أنه مهما أحكم قبضته على ذلك المسجد، وعلى المدينة المقدسة بأركانها، فإن المرابطين مستعدون للتضحية بأرواحهم في سبيل تخليص مدينتهم من سجن المحتل البغيض.

يسرد الشاعر معاناة مدينة القدس التي تعيشها وحدها، كما عاشها يوسف نبي الله، فيقول:

مَا عَادَ فِي الأَرْضِ مَنْ يَأتِي وَيَحْضُننا ... مَهْمَا فَعَلْنَا فَلَنْ نَحْظَى بِإِعْجَابِ
آذُوا العُرُوبَةَ فِي أغْلَى جَوَاهِرِهَا ... فَمَسْجِدُ القُدْسِ ذُو أَصْلٍ وَأَحْسَابِ
قَدْ حَاصَرُونَا وَجَدُّوا فِي هَزِيمَتِنَا ... وَاليَومَ بِتْنَا بِلا عِلْمٍ وَآدَابِ

...

يُقَلِّبُ الدَهْرُ فِي أَرْضٍ وَأَزْمِنَةٍ ... مَا بَيْنَ مُغْتَصِبٍ أو بَيْنَ أَصْحَابِ
صَبْرٌ جَمِيلٌ.. بِإِذْنِ الله مَوعِدُنَا ... أنْ نَدْخُلَ القدسَ فِي أَهلٍ وَأَرْبَابِ

يعبر الشاعر بأسى عن تخلي الآخرين عن مدينة القدس، التي تعاني الألم وحدها، فهم بفعلهم المريب لم يؤذوا القدس فحسب، بل آذوا العروبة بأكملها، فهي تتعرض للانتهاكات المستمرة، رغم قداستها بين عواصم العالم، غير أن نافذة الفرج سينير شعاعها بتبدل الأحوال وتغيرها، فالأيام دول، ويستأنس بعبارة نبي الله يعقوب التي قالها بعد المصائب التي حلّت به، (صبر جميل)، تلك العبارة التي تمتلئ بطاقة إيمانية هائلة، تومئ بتحقيق حلم نصرة القدس وحريتها، وكل فلسطيني حرم من الصلاة في رحابها.

رصد الشاعر **المتوكل طه** افتراءات اليهود في حقهم في القدس في قوله [1] :

والأنبياء من الهدير إلى الغدير

تواثبوا،

حتى يجيئوا أورسالم..

والذي عبر المدينة كان منّا

أو لهذي الأرض ماء في الوسادة..

---

(١) طه، المتوكل: ديوان نصوص المدينة المقدسة.ط١، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا جامعة القدس المفتوحة، رام الله،٢٠١٥،ص٨٥

نام في أولاده

وتوالدوا

وتعابثوا

واستأجروا ذئباً بريئاً، مرة،

يعبر الشاعر عن معاناة مدينة القدس، ليحيلنا إلى رمزية الذئب البريء الذي اتُهم بدم يوسف،﴿**وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**﴾[١]، وتمثل الإحالة إشارة لادّعاءات الصهاينة أن مدينة القدس لهم، وأنهم برآء من فعلهم ذلك كبراءة الذئب، فهي من حقهم، واحتلالهم لها أمر طبيعي .

ويشير الشاعر إلى أن السبب الأساسي للاحتلال كان من بعض أبناء شعبنا (والذي عبر المدينة كان منَا) فلولا التخاذل والتقاعس الذي بدر منهم، لما استطاع المحتل فرض سيطرته، فهم قد أخذوا من خيرات بلادنا، وترعرعوا في أحضانها، ثم جلبوا اليهود إلى ديارهم، ليفرضوا سيطرتهم، ويثبتوا صدق افترائهم.

وتشير الشاعرة **مها الحاج حسين** إلى مدينة القدس، مشيرة إلى قصة يوسف، فتقول[٢]:

من صرخة الميلاد كان وجودها حزنا عميقاً فيه ألقي يوسف

يا قبلة المشتاق حـــضنك دافئ وكأنه والبرد قاس معـــطف

تربط الشاعرة بين معاناة القدس منذ القدم، والجب العميق الذي ألقى فيه يوسف النبي، للدلالة على عمق المأساة التي عانت منها القدس، وما زالت هذه المعاناة مستمرة مع مرور تاريخ عصيب على الشعب الفلسطيني، يتمنى أن تخرج فيه القدس إلى نور الحرية كما خرج يوسف من ظلمة الجب.

يوظف الشاعر رشدي الماضي أسلوب الأنسنة في سياق حديثه عن القدس درّة المدن الفلسطينية التي جعلها يوسف النبي، فعبّر عن معاناتها وتخلي النظامين العربي والإسلامي عنها فيقول[٣] :

أنا لست يوسف يا أبتِ !!

---

(١) يوسف: ١٦-١٧

(٢) حسين، مها الحاج: وهج الكلمات، ص٥٥

(٣) الماضي، رشدي: ديوان مفاتيح ومنازل الكلمات.ط١، مكتبة كل شيء،حيفا،٢٠٠٥،ص٢١-٢٢

لكن أخوتي كبار خونة

جردوها من الأجراس، صارية الكنيسة

ومن سماء لها، أصوات المآذن

من أين يأتينا المفر

أبتاه!!

وهذا موت رصف بقائي جلجلة!!

تنطق مدينة القدس بلهجة حزينة وتناجي من يمد لها يد العون، ويقف معها حين تلمّ بها الشدائد، نافيةً أن تكون كيوسف النبي، لأن نهاية المصير التي آلت إليه مختلف عن مصير نبي الله.

يتابع الشاعر أسلوب الاستغاثة لمدينة القدس، ذاكراً الأخوة الذين كانوا السبب في المأساة التي تعرض لها يوسف عليه السلام، وتعرضت لها مدينة القدس، فأخوتها من الدول العربية كانوا من الذين كادوا لها، فكانوا السبب في إيقاعها في جب احتلال قيّدها، وطمس صوت المقدسات الدينية فيها، فلا صوت الأذان في المساجد يعلو، ولا الأجراس في الكنائس، غدت ضحيّة مجردة من أصوات الحياة فيها.

تنادي القدس بأسلوب الاستغاثة أبتاه، فيحدث الشاعر ربطاً ينزاح فيه من دلالة نبي الله يوسف إلى عيسى عليه السلام، كما تشير إلينا عبارة جلجلة، وهو المكان الذي صلب فيه المسيح في مدينة القدس وفق العقيدة المسيحية، فاستخدم الشاعر لفظة أبتاه على لسان مدينة القدس. فالمجرم واحد على الرغم من اختلاف الزمن، فاليهود هم الذين صلبوا المسيح، وكذلك يفعلون اليوم مع مدينة القدس ليمحوا أثرها، ويطمسوا هويتها.

٢- قصة يوسف عليه السلام وحصار غزة

تشكل مدينة غزة الفلسطينية فضاءً دلالياً؛ لأنها أكثر عرضة من غيرها لعدوان الاحتلال الإسرائيلي الغاشم، إذ تعرضت للحصار المرير مرّات عدة، وخاض أهلها غمار معارك متعددة سقط فيها الشهداء، فوجد الشعراء في قصة يوسف عليه السلام تعزيزاً لنضالها وصمودها، مستمداً ذلك من قصة يوسف النبي وخلاصه من معاناته التي استمرت مدة طويلة .

استأنس الشاعر **معتصم خضر** بقصة يوسف عليه السلام، وخاصةً الرؤيا التي رآها في طفولته، وبشرى تحقيقها بعد طول صبر، إذ كانت نهايتها عودة يوسف إلى أحضان والده بعز وسلطان كبير، يقول الشاعر[1]:

يا أيها الكوفي

اسجد لبوصلة الكرامة والإباء

كسجود يعقوب النبي وزوجه

وكواكب تهوي ليوسف

يربط الشاعر بين الحوادث التاريخية التي عرفها الإسلام ومرّ بها، وقصة يوسف عليه السلام، في سياق عنوان قصيدته الموسومة بـ **كربلائية غزة والكوفيون**، إذ استعار مأساة كربلاء ومصائبها التي حلّت بالحسين، ويربطها مع غزة العزة وما تتعرض له من انتهاكات أدمت أبناء شعبه، فينادي ابن غزة بالكوفيّ الذي يأمره أن يسجد سجدة عزة وكرامة، ملؤها الصمود والإباء؛ تقديراً واحتراماً لصنيع المجد والبطولة، مستشرفاً من قصة يوسف سجدة إخوته له، ليحدث تقارباً دلالياً بين إباء شعب قوي حقق الانتصارات العظيمة، ويوسف النبي الذي حقق نصراً عزيزاً بعد طول جهد وبلاء، هذا النصر يحيل إلى العودة الحتميّة لأبناء الشعب الفلسطيني المشتت.

وكما يقال: الاعتراف بالذنب فضيلة، ها هم يعترفون بتقصيرهم تجاه كل فلسطيني لقي من المعاناة، وخاصةً ابن غزة الأبيّ وسط معركة الفرقان التي دارت فيها رحى حرب مع إسرائيل عام ٢٠٠٩، يعبر الشاعر سلامة خليل سلامة مستأنساً بمعاناة نبي الله يوسف، ويقول[2]:

أنت وحدكْ

أيها الغزيُّ... يا يوسفَ هذا العصرْ

أيها المصنوع من صبرٍ جميل

فيك شوكٌ ينكأُ الذّلة فينا

---

(١) خضر، معتصم: ديوان من أفراح وادي مصّين إلى شواطئ الأحزان.ص١٢٩

(٢) سلامة، خليل سلامة: ديوان لأجلك غزة. تقديم: موسى إبراهيم أبو دقة. ط١،منشورات منتدى أمجاد الثقافي،غزة،٢٠٠٩،ص٢٢٨

فتمنينا اقتلاعك

نحن من ألقاك في الجب وباعك

نحن من مزَّق باليأس شراعك

نحن سمّنّاك للذئب لكي يرحمنا

ثمّ جهزنا المناديل لنبكي

وننادي يا أبانا

إنه الذئبُ ولا دخلَ لنا

يا ابن غزة

يربط الشاعر بين الفلسطيني ابن غزة العزة ويوسف النبي، ويقدم له اعتذاراً على ألسنة إخوته العرب، الذين قاموا بإلقائه في جب المأساة والمعاناة، وقدموه للذئب(إسرائيل) بسبب تخاذلهم وعهودهم الزائفة، وتنازلاتهم التي باعوا فيها قضيتنا الفلسطينية، ومزقوا شرعيتنا الوطنية، ليقوموا بعد ذلك بالتباكي لأبيهم واتهام الذئب (إسرائيل) بأنه هو السبب في معاناتهم، أما يوسف الفلسطيني الغزيّ فهو لا يزال صابراً يتحمل الأذى، وهو مجبولٌ بالصبر الجميل _كما قال الشاعر_ يعيش على أمل تخلصه من أعماق جبّ مأساته.

نلاحظ تكرار الشاعر لضمير نحن في المقطع السابق، ليعبر عن مسؤولية العرب تجاه فلسطين، ونلحظ أن ضمير نحن يحمل الفخر لقائله في أغلب السياقات، غير أننا نلمس الوجع والندم من تكرارها هنا.

٣- قصة يوسف عليه السلام والأسرى

تعد قضية الأسرى من القضايا الوطنية التي تكمن في أعماقها قمة المأساة والمعاناة بحرمان الفلسطيني من حريته، ليزج في سجون الاحتلال، فيبدأ الأسير رحلة جديدة في حياته فرضت عليه، ليعيش بين أربعة جدران محكمة الإغلاق، تفتقر للعيش الآدمي، وليعاني من العزلة التي تبدأ في التغلغل إلى أعماقه، فتتآكل مشاعر الحياة والحيوية في نفسه، ناهيك عن ألوان العذاب التي يلقاها من قبل سجّانه.

وجد الشعراء الفلسطينيون أن أسراهم قد مروّا بظروف مشابهة لمعاناة يوسف عليه السلام في سجنه، فآلوا إلى الإيماء بقصته؛ ليعبروا عن قضية الأسرى. يعبر الشاعر **رفعت زيتون** عن القضبان الحديدية التي تسلب الفلسطيني حقه في العيش كغيره من بني البشر، في قصيدته الموسومة بـ (يا ليل فاحذر جنود الفجر"من زنزانة يوسف الفلسطيني")، فيقول[1] :

الســـــجـن كـفـر كـمـا الأغـلال كـفـار أعمى البصـــيرة خير الناس يختار

...

مـذ عهـد يوســـف والســـجـان منهمـك في قهر يوســـف والأحزان ســـقار

لـكـن ربـك مـن أســـــرار حـكـمـتـه إن شـــاء تنم خلال الصـــخر أزهار

يصف الشاعر معاناة الأسر وتقييد حرية الآخرين بأنها عمل همجي منذ عهد نبي الله يوسف الذي دخل السجن ظلماً وبهتاناً، منذ ذلك الزمن إلى يومنا هذا والسجين يعاني القسوة والمرارة في سجنه، ويشرب كأس الذل والقهر من سجانه، فيوسف الفلسطيني قد تشرّب المأساة ذاتها، غير أن بذرة الأمل لا تموت، ومن عنوان القصيدة يستمد طاقة النصر المحتم، بتحذير ليل الاحتلال وسجنه المظلم من جنود الفجر الذين سيضيئون عتمة الليل الحالك بقوة عزمهم، فلا بد لهذا الليل أن ينجلي، ولا بد لقيد الأسر أن ينكسر _كما قال الشابيّ_ وستنمو زهرة الحرية من بين جدران تلك السجون.

٤- قصة يوسف عليه السلام والشهيد الفلسطيني

يحرص الاحتلال الإسرائيلي على سلب كل ما يملك الفلسطيني، فيعمل على قتله دون رحمة أو شفقة، ذلك هو الشهيد الفلسطيني الذي يضحي بروحه ودمه في سبيل نصرة هذا الوطن السليب، ليسقي ثرى الأرض من دمائه الطاهرة الزكية، وينام بين أحضانها بطلاً ليبقى اسمه تاج فخر ورفعة على رؤوس ذويه.

حظي يوسف عليه السلام بمكانة كبيرة في قلب أبيه، وأسقط الشعراء ذلك الحب على ذوي المكانة المقربة لقلوبهم، فاتخذوا يوسف رمزاً للشهداء، فعودة يوسف إلى حضن أبيه ونجاته من ظلام الجب، هي عودة الشهيد الحي الذي يرزق في كتابه العزيز ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ**

(١) زيتون، رفعت يحيى: حروف مقدسية على السور الجريح.ط١،دار الجندي للنشر، القدس ٢٠١١، ص٥٧

أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1]، فترفرف روحه في أرجاء الوطن الذي ناضل فيه، هذا ما عبر عنه الشاعر حسان نزال في رثاء صديقه محمود الذي استشهد في قباطية حين قال[2] :

محمود..يا محمود

من أين هذا الحب؟؟!!

يا يوسف في الجب

حملته قافلة

وهدته كيف يجب

نال الشهيد الفلسطيني محمود الحب الكبير الذي حظي به يوسفَ من أبيه، غير أن الجب مختلف، فهو أرض النضال والمقاومة التي يعيش فيها البطل تحت وطأة الاحتلال، لتأتي القافلة المنتظرة التي حررت يوسف من قعر الجب إلى العيش الرغيد في أكناف قصور مصر، وأضحت اليوم قافلة التحرير والمقاومة، قافلة الشهداء الذين ساروا على درب التحرير والنصر، وأخذت معها محموداً بطلاً من أبطال الوطن الذي هدته إلى ذلك الطريق النضاليّ، الذي ستكون نهايته عيشاً رغيداً مع الصديقين والشهداء.

عمد الشاعر نمر سعدي إلى تخليد ذكرى محمود درويش الذي عدّه شهيداً قدم كثيراً من التضحيات في سبيل وطنه، وسطر إبداعاً شعرياً نضالياً، فيرثيه الشاعر بربطه بقصة نبي الله يوسف، محدثاً دمجاً دلالياً بين تفاصيل الحادثة، حادثة الغربة والمنفى التي عاشها نبي الله في جبه السحيق، وغربة محمود درويش في منفاه، فيقول[3] :

محمود لا توقظ دموع قبائل الطير المهاجرة

...

لا توقظ دمي بحنان ربك

فوق هذي الأرض.. فهو كمائك العاجيّ يجري

---

(١) آل عمران: ١٦٩

(٢) نزال، حسان: ديوان تقبلوا مني السلام.ط١، منشورات المركز الفلسطيني للثقافة والإعلام.جنين،٢٠٠٨،ص١٩

(٣) سعدي، نمر: ديوان لن أعود بعدك إلا على جسد الرائحة .ص١١٢-١١٣

دون أن يجري

ويشهق ميّتاً في جب يوسف...

حب من ذهبوا بلا معنى إلى المدن الخفيّة

...

في التاسع المشهود من آب الحزين

كنت مرنحاً لسواي خارج أمنياتي...

يخاطب الشاعر نمر سعدي محمود درويش راجياً منه ألّا يثير تلك الأوجاع التي تحكي مرارة البعد عن الوطن، فمحمود درويش قد عاش في ذلك الجب(المنفى)، كحال يوسف الذي عاش بعيداً عند حضن والده، غير أن المفارقة تتمثل في وفاة محمود درويش في غربته (حب من ذهبوا بلا معنى إلى المدن الخفيّة)، لتسيطر مشاعر اليأس في العودة إلى أحضان وطنه الحر، ولكنه حقق حلم العودة بجسده، إذ رفرفت روحه في أرجاء فلسطين، ودفن في ثراها الطاهر شهيداً لم تقتله رصاصات الاحتلال، بل كان المنفى والحرمان من العيش في أرض الوطن أشد وجعاً وألماً.

تعبر الشاعرة **إيمان مصاروة** عن عظمة الشهداء، فتقول[١] :

هاكَ قصيدتي..

حقائبَ مُدجّجةً بجنونِ جنازةٍ للتراب

تحملُ عودةَ روحٍ

قصصَ الذين تسكعوا عند بابِ الأرض

كلُ من في الجنازة شهداء

وقميصُ يوسفَ بللّه نزيفُ الدّمِ في عشقي

كي يرتدَ لي حلمي

---

(١) مصـــــاروة، إيمـان: هـاك قصـــيـدتي. مجلـة الحـوار المـتمـدن، العـدد: ٦١٦٩، ٢٠١٩ / ٣ / ١٠http://www.ahewar.org

رغيفٌ للجائعين والفقراء

عشق الفلسطينية لأرضها ووطنها جعلها تؤمن بحتمية البقاء فيه، ولأنها تعيش في بلدةٍ فلسطينية تعرض أهلها إلى التهجير والمعاناة، جعلها تفيض بمشاعرها الجياشة ذاكرة الشهداء الذين قضوا نحبهم في سبيل الدفاع عن أرضهم ووطنهم، وتختزل رمزية قميص يوسف الذي ردّ البصر إلى يعقوب، لتومئ إلى عودة كل فلسطيني ذاق مرارة الجوع والفقر في غربته، بعودته الحتمية إلى دياره، وتؤكد أن دماء الزيف التي كانت على ذلك القميص تغدو اليوم دماءً صادقة، فالشهداء قد رووه بصدق مشاعرهم وتضحياتهم تجاه الوطن، فيتحول مشهد الجنازة من صورته التي تدل على الموت إلى الحياة وتحقيق حلم النصر.

٥- قصة يوسف عليه السلام وافتراءات اليهود

لا تزال محاولات الاحتلال الإسرائيلي في طمس هويتنا الفلسطينية قائمة، وتتعدد الانتهاكات في سبيل إرهاق الفلسطيني وتكدير عيشه، حتى الأموات لم يسلموا من دنس أفعالهم الهمجية.

يشير الشاعر **محمد قشير** إلى معاناة شعبنا المستمرة في مدينة نابلس، وذلك من خلال حجج اليهود الواهية بتقديسهم لقبر يوسف النبي في منطقة بلاطة، واستمرار زياراتهم المؤذية برفقة عدد كبير من قطعان المستوطنين الذين يقيمون طقوسهم الدينية هناك، ومع كل زيارة تتجدد المقاومة، فلا قبرٌ ليوسف هناك ولا بئر، لذلك صوّر الشاعر المشهد جزءاً من المعاناة المستمرة، فيقول[١]:

(جحا)...شتى مساميره..

(جحا)...شتى مزاميره..

ففي نابلس...

لا بئر.. ولا قبر...

ولا يعقوب.. ولا يوسف..

(جحا).. قد هيّأ المسرح..

(جحا) قد روّج الأخبار..

لغايات..هنا في نفس يعقوب

(١) قشير، محمد: أنا من يافا بلد المحبوب.ص٥٢

بها التاريخ قد طوَح...

فمن قصة جحا ومسماره التي أشرت إليها في الفصل السابق، نجد الشاعر يتطرق من خلالها إلى قصة نبي الله يوسف لنفي الادعاءات التي سبق ذكرها، وكأن مسمارهم هو وجود قبر ليوسف النبي أو بئر ليعقوب، يأتون إليه لزيارته، فهم يريدون إثبات انتماء اليهود إلى نسل يعقوب نبي الله، غير أن الشاعر بلغة حادة ينفي فعلهم، فما ذلك القبر إلّا لشخص فلسطيني من أبناء الوطن اسمه يوسف دويكات[١]، وما تلك الأفعال إلّا ادعاءات وهمية ستكون نهايتها الزوال.

٦- قصة يوسف عليه السلام وحب الوطن

لا تقتصر تلك المرايا على قضايا وطنية كبرى، وإنما تجسد مرايا قصة يوسف حالات فردية وجدانية عبر الشعراء فيها عن ذواتهم المكنونة، ومشاعرهم العطرة تُجاه وطنهم.

ينقلنا الشاعر **سميح محسن** إلى حب فلسطين النقي، عبر أحاسيسه النديّة ومشاعره الجياشة، إذ إن فلسطين معشوقة الشاعر، ومحبوبته التي شُغف بحبها، فيقول[٢] :

إذا شئتِ، فلتدخلي من نوافذ طيفي إليّ

لأغلق باب القصيدة

أحكم إغلاقه بالمعاني

وأرمي مفاتيحها في الحديقة

أرمي الحديقة في قعر بئر

وأرمي الدلاء وراء المفاتيح

أقطع في الليل درب القوافل

حتى تتوه عن البئر

سيارة أرسلوا وارد الماء

حين استبد بهم عطش

---

(١) ينظر: وكالة الصحافة الفلسطينية صفا، صحيفة فلسطين اليوم، العدد ٣٤٠٤، ٢٠١٤، ص٣٥

(٢) محسن، سميح: ديوان في غيابة ليل.ط١،منشورات مركز أوغاريت الثقافي.فلسطين،٢٠١٢،ص٧٧-٧٨

والسراب مياها

لهم في الصباح تجلى

يخاطب الشاعر محبوبته فلسطين الذي يتمنى عليها التسلل إلى طيف روحه العاشقة، فالشاعر أضحى هو المراود والعاشق، فيطلب من محبوبته أن تدخل في ربوع قلبه وذهنه مغلقاً الأبواب وراءها، لمراودتها والتفرّد في حبها، كما غلّقت زليخة الأبواب على يوسف التي عشقته، ملقياً بمفاتيحها في قعر البئر، لا يريد لأحد أن يصل إليها، لتكون فلسطين لمن أراد بها الضر سراباً يتجلى لهم في صباح فجرها المشرق بالعزة والنصر.

يتنقل الشاعر ذاته في قصيدة (ذاكرة للمكان)، بين حقول ذكرياته، ليقف عند مرحلة كان لها الأثر المتجلي في السيطرة على ذهنه، فيعبر من خلالها عن مشاعر الحزن واليأس التي تغلغلت في أعماقه، وتعود تلك الذاكرة إلى بيروت_مكان دراسة الشاعر_ متذكراً حادثة أليمة حلّت بها، فكان الوقع شديداً على نفس الشاعر الذي عاد– عند كتابته لهذه القصيدة– إلى ثلاثين سنة خلت، ليتذكر مشاهد القتل والتدمير التي حلّت في لبنان في شهر حزيران، تلك التي أسموها حرب لبنان، فيقول(١) :

لبيروت صورتها في مساءين حلا

على عتبات حزيران بين ثلاثين عاماً

ولي في شوارعها ذكريات تنوء الجبال على حملها

كيف لي أن أمرّ سريعاً على عتبات الغياب

وأمضي كسيّارة عطشوا في الطريق

فأدلوا بدلوهم في غيابة جب

ليستخرجوا الطفل من نص أسطورة

هبطت من أعالي الجبال إلى حقل قمح بدون سنابل

خفافاً يمرون نحو الجنوب

يحدث الشاعر ترابطاً لافتاً حينما يستمد من قصة يوسف مشهد القافلة حينما أدلوا بدلوهم وأخرجوا يوسف النبي من قعر الجب، كما أخبرنا الله عز وجل بقوله:﴿**وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ**

(١) محسن، سميح: ديوان في غيابة ليل: ص٥٤–٥٥

فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ ۖ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[1]، فالشاعر يتعجب من نفسه بوساطة الاستفهام إذ لا يستطيع أن تمر ذكرياته سريعا دون أن يقف على عتبات الماضي في بيروت، فيكون كالسيارة الذين وجدوا يوسف فاستخرجوه طفلاً_ وقد ذكر الشاعر كلمة أسطورة ليعبر بها عن الأمر الخارق للعادة_ غير أن الشاعر يعلن أن هذا الطفل فارغ من القمح أو الغلال، يهبط دون سنابل.

تتضح المفارقة الدلالية هنا، فالقافلة حين فتّشوا عن الماء وجدوا الطفل رمز العطاء، بينما الشاعر يفتش عن ماضيه وذكرياته، فلا يجد شيئاً سوى الأسى والفراغ، وغمامة الخيبة والفشل الذريع، كما أن خيوط المعاناة تلتف حول عنقه؛ لتشعره باليأس المتغلغل في أعماقه، فيروي لنا قصة قافلة لم تظفر إلا بالمعاناة.

تبحر الشاعرة **نفين طينة** في فضائها الوجداني لتعبر عمّا تشعر به من المعاناة التي عاشتها في ظروف قاسية في وطن محتل لا يسمو فيه الإبداع بصاحبه، إنما يقتل في أنفاسه أحلاماً يحاول الاحتلال طمسها، فالشاعرة نفين طينة وجدت في قميص يوسف الرمز الذي أنار بصر يعقوب، نوراً يضيء عتمة الظلم، فتقول الشاعرة في قصيدتها الموسومة ب(قميص النور)[2] :

يتيهُ بقلبي السُّهدُ فالجفنُ عَندَمُ

ويصحو بعينيَّ الدجى المتجهّمُ

يُجَنُّ ولكنّي عَنِ الضَّعفِ أُحرِمُ

ستبقى طيورُ الفجر تشدو بخافقي

فلي في دياجي الصبر بدرٌ وأنجُمُ

ويوسُفُ إذ يُلقيْ عليَّ قميصَهُ

يعانقُني نورُ الحياةِ وأُرحَمُ

فالشاعرة غارقة في أحزانها وأوهامها كأنها يعقوب النبي في غربته وحزنه، تتمنى وجود نبيٍ كيوسف يأتي إليها بقميص النور والحياة، قميص التفاؤل بأيام جديدة وحياة سعيدة، لا ظلم فيها ولا حزن،

---

(١) يوسف: ١٩

(٢) طينة، نفين: ديوان فرحتي البكر.ط١، دار التوحيدي، المغرب.٢٠١٧، ص٤٧-٤٨

لا احتلال ولا غربة، حتى تعانق روح الحياة الجديدة، فتصير كيعقوب الذي بدأ حياة جديدةً بعودة ولده وبصره، بتلك المشاعر الجياشة والمليئة بالكلمات المؤلمة لا زالت تلك الشاعرة تنتظر قميص نورٍ يومئ بحياة جميلة، وظروف أفضل.

ونجد الشاعر **نمر سعدي** مغموراً بالأمل في سبيل تحقيق رؤياه التي يحلم بها منذ طفولته، فيقول[١]:

يسقي خطاك

كأنه يسقي النباتات الصغيرة

والزهور على النوافذ

شاعر لن يقصص الرؤيا على أحدٍ

سوى شجر الظلام

فرؤيا يوسف التي كانت السبب في كرهه وبغضه من قبل إخوته الحاسدين له، قد تحققت في النهاية، وظفر بنصر عظيم، أما رؤيا الشاعر، فهي مفعمة بالنصر والأمل والعودة والنجاة، غير أن الشاعر كيوسف يرفض أن يقصص الرؤيا خوفاً من المكيدة، ليختار الليل والظلام مأمناً للنجاة من كيد الكائدين.

اتخذ الشاعر **سميح محسن** من فضاء قصة يوسف ما منحه القدرة على التعبير عن مشاعره، وخاصة قميص يوسف، الذي كان رمزاً لبراءته وشاهداً على طهارته وعفّته، فبرأه من كيد دبّر له دون علمه، فيقول[٢] :

أطل على امرأة تستغيث من البرد،

أدخلها في رحاب المكان

وأبدأ طقس الكتابة

قبل نيام الحروف على فرشة الفجر

---

(١) سعدي، نمر: ديوان رماد الغواية.ط١، مؤسسة الانتشار العربي،السعودية،٢٠١٧،ص٧٨

(٢) محسن، سميح: ديوان سادن الريح.ص٨٦

تفتح صدر الكلام

تقد قميص القصيدة من عجزها

تفتح القلب كيف تشاء

يحرص الشاعر في قصيدته التي تحمل عنوان (أنا والحقيقة وجهاً لوجه) على مواجهة تلك الحقيقة المرّة، فهو بوجدانه ومشاعره حزين على مصير محبوبته فلسطين، تلك المرأة التي تطلب الاستغاثة من برد الاحتلال القاسي، ويتجلى سيطرة تلك الحقيقة المرّة التي قدّت خيوط الأمل، وتغلغلت بوجودها وفكرها لتكدّر صفو محبوبته فلسطين.

وتعبر الشاعرة **فاطمة نزال** عن حالتها النفسية والوجدانية من خلال امتصاصها لأحداث من قصة يوسف، فتقول [١] :

دنوتَ حتى لامست روحي

سكبتَ كلك فيّ فأينعت سنابلها

آن الحصادُ

وملأت خزائني

للسنين العجاف

يبدو أن الشاعرة كانت تعيش في مرحلة عانت فيها من القلق والانتظار، وكانت تحتاج إلى بذور أمل لتحيا من جديد، وتصنع لها مستقبلا حالماً بأمانيها التي طالما ترقبتها، فمن بعد ذلك الجدب وتلك السنين العجاف، وستورق أيام الشاعرة، وسيتحقق لها ما أرادت، مستمدة ذلك من قصة يوسف عليه السلام، " فعمدت الشاعرة إلى التقارب الدلالي من خلال تقنيات الرمز ؛ فحصاد القمح يناظر اللقاء الذي طال انتظاره ، والخزائن المملوءة تناظر نشوة الروح وتجليات الجسد ، والسنين العجاف تناظر حنظل البعد والانتظار "[٢]، فيكون يقينها بما تمنت مستمداً من يقين يوسف بأيام العطاء والخير بعد سنين القحط والجدب.

---

(١) نزال، فاطمة: ديوان اصعد إلى عليائك فيّ. مكتبة كل شيء، حيفا، ٢٠١٧، ص١٠٧

(٢) عتيق، عمر: دراسة سيميائية في ديوان " اصعد إلى عليائك فيّ" للشاعرة فاطمة نزال. مجلة فيلادلفيا الثقافية، جامعة فيلادلفيا، ع١٥، ٢٠١٨، ص١١٧

ونلاحظ أن الشاعرة نزال قد استندت إلى قصة يوسف في قصيدتها الموسومة بـ (نهاية)، لتعبر عن مشاعر المرأة التي ترفض أن يفضي الحب إلى الذل، فتقول[1]:

ما أنا بامرأة العزيز

ولا أنت بيوسف

وما إغواء حرفي

قدّ قميص كلماتي

فإن استبقت الباب فهو مشرّعٌ

لكن لا ترجو إيابا لقلبٍ

أوصدتُهُ بوجه الريح

تستمد الشاعرة من قصة يوسف حب زليخة له، وشهوتها التي جعلتها تراوده، غير أنها قد اتخذتها بطريقة معاكسة، لتعبر عن مشاعرها القوية البعيدة عن خذلان الحب وما يجره على المرء من أوجاع، " ويمكن فهم القصيدة اعتماداً على ثنائية الثابت والمتحول، فالثابت هو المألوف في النص القرآني حينما اشتعل قلب زليخا عشقا بيوسف، والمتحول صورة المرأة العاشقة الواثقة المتزنة الرافضة لغواية القلب وبريق الجمال"[2]، فالشاعرة ترفض رجوع من يسبب الخذلان إلى محبه، لأن الكرامة أسمى من أن يستمر الإنسان في تنازلاته بسبب مشاعره الجارفة التي لن تجلب له سوى الألم.

عبّر الشعراء بتلك المرايا عن قصة يوسف عليه السلام، التي انعكست على قضايا شعبنا الفلسطيني التي تشغل بال المواطن الذي عاش تجربتها، ولتظل عنواناً راسخاً عند الأجيال القادمة التي ستحملها، وتعمل على تخليص فلسطين من عذاباتها التي طالت. ومهما كانت تلك القضايا وطنية أو وجدانية التي يعبر عنها الشعراء، فإنها بلا شك تنصب في مصلحة الوطن الباحث عن الحرية والحياة.

---

(١) نزال، فاطمة: ديوان اصعد إلى عليائك فيّ.ص٣٧

(٢) عتيق، عمر: دراسة سيميائية في ديوان " اصعد إلى عليائك فيّ.ص١١٧

المبحث الرابع : العناقيد الدلالية في قصة يوسف

تختزل قصة يوسف عناقيد دلالية تنتشر بين حنايا قصائد الشعراء في محاولة لربط المدلولات مع بعضها، إذ إن وجود قاسم مشترك بين أحداث القصص، يضفي قوة للفكرة المراد التعبير عنها، لتتصهر جميعها في السياق الفلسطيني.

يعبر الشاعر **عبد الكريم السبعاوي** في سياق قصة يوسف بمجموعة من المرجعيات الثقافية التي تضفي دلالات جديدة على علاقة الفلسطيني مع وطنه، فيقول[١]:

أيهذا المغني الغني الذي يتلكأ تحت النوافذ

إن الأميرة نائمة

وسيوف المماليك لا تستطيب الغناء

...

وكنت هممت بها حين همّت

وفرق بينكما عاصف من دماء

عيون الخليفة ساهرة

وجنود الخليفة ..

دفنوا ألف وضاح تحت السرير

يربط الشاعر من خلال دلالة كلمة (همّ) التي تذكرنا بقصة يوسف في قوله تعالى﴿ **ولقد همّت به وهمّ بها...**﴾[٢] بين الفلسطيني العاشق، وفلسطين المعشوقة، غير أن عاصفة دماء الحروب المستمرة كانت السبب في الفرقة والمنفى، وفي بعد الفلسطيني عن وطنه الذي أحبه.

يرتبط السياق التاريخي للمماليك بفلسطين، فقد كانت فلسطين في عهد المماليك محط أنظارهم، ومركزاً مهماً اكتسبته من موقعها الجغرافي ورمزها العقائدي، فيستمد الشاعر من سيرتهم البطولية الأمل في تحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني الغاشم.

---

(١) السبعاوي، عبد الكريم: ديوان متى ترك القطا، ص٣٦-٣٨

(٢) يوسف: ٢٤

ويختزل الشاعر رمزية وضّاح اليمني، ذلك الشاعر الذي عرف بوسامته وجماله، والذي قتل بأمر الخليفة الوليد بن عبد الملك[١]، ليربط بين تلك الشخصية وفلسطين بجمالها الفتّان الذي أغضب جنود المحتل، فما كان منهم إلا السعي وراء التخلص من هذا الوطن.

يحدث الشاعر **نمر سعدي**، تعالقاً دلالياً بين بطل قصيدته (كلام أخير موجه إلى ويليام والاس)، ويوسف النبي، فيقول[٢] :

وارتفع في مدار بهائك حتى ولو علقوك

كأضلاع صارية في الجحيم مكسرة

...

كنهار قتيل الخطى.. كأصابع عثمان

قمصان يوسف في ليل يعقوب

عطر زهور الأناجيل...

يستمد الشاعر من قصة ويليام والاس[٣] ما يعينه على إعادة الأمل في نفس الفلسطيني الذي يعاني الاحتلال، فهو مناضل حر، دافع عن وطنه، ويعد أحد الثوار الذين دفعوا حياتهم نظير قضيتهم، ويستحضر الشاعر قصة زوج الخليفة عثمان، وأصابعها التي قطعت في سبيل دفاعها عن زوجها عثمان في زمن الفتنة والتردي، ليحدث تعالقاً بين بطولة المرأة الشريفة في دفاعها عن زوجها وبطولة الفلسطيني في الدفاع عن الوطن.

يجري الشاعر **رفعت زيتون** تعالقاً تلتقي فيه خطوط الدلالة بين قصة يوسف ﷺ وقابيل وهابيل، مع الفلسطيني، فيقول[٤] :

ولربما سألوك عن قتل ابن آدم

---

(١) ينظر: الكتبي، محمد بن شاكر: فوات الوفيات. ت.علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت،ج١، ص٦٢٠

(٢) سعدي، نمر: ديوان لن أعود بعدك إلا على جسد الرائحة.ص١٥٦

(٣) هو أحد الثوار الأبطال الذين ضحوا في سبيل بلادهم، أحد الفرسان الذين قادوا الاسكتلنديين ضد إنجلترا حتى مقتله **ينظر: عبد الرحمن، محمد: وليام والاس "القلب الشجاع" بين الحكايات الأسطورية والروايات الزائفة.مجلة اليوم السابع،٢٠١٨، في موقع https://www.youm7.com**

(٤) زيتون، رفعت يحيى: حروف مقدسية على السور الجريح.ص٧٢-٧٥

والغراب، عن التراب!

عن الخطيئة منذ نوح!

ربما..

سألوك من في مصر قد

سرق الصواع؟!

...

هيا استفق

هذا النداء...

هيا ... قم

إلى سوق النخاسة يا ابن ذلي قد تبور هناك

في سوق المهانة

او تبدل او تباع؟

يشير الشاعر إلى أول جريمة في الأرض حينما قتل قابيل أخاه هابيل، وتعد هذه الخطيئة وشم عار يلاحق بني البشر الذين يقتلون بعضهم بعضاً، إضافة إلى رمزية الغراب الذي بعثه الله ليعلم قابيل كيف يدفن جثة المقتول، فينتقل الشاعر رابطاً تلك الأحداث بحال أبناء شعبنا الفلسطيني في زمن الفتنة والاقتتال، الذي كان عليهم عبئاً وعاراً فوق فتنة المحتل التي يعانونها منذ زمن.

يسعى الشاعر من خلال المكائد التي تشعل فتيل الحرب بين الأخوة، إلى تنبيه الفلسطيني لما حوله، فيدعوه بأن يستفيق تاركاً كل الخلافات الداخلية، ويحثه على مواجهة تلك الفتن التي تدبر للإيقاع بينهم، وبأن يكون تركيزهم محدداً تجاه المحتل.

يستمد الشاعر **سلطان القيسي** من قصيدة يوسف شخصية مالك بن زعر، فيقول[1] :

قد باع "مالكٌ بنُ زعرَ " نبي كنعان الجميل

(١) القيسي، سلطان: ديوان بائع النبي.ط١،موازيك للنشر والتوزيع، عمان،٢٠١٦،ص٧٤

ودارت الدنيا ..

إذن دول هي الأيام:

عاد كما تعود عقارب الساعات

قبّل رأس يوسفَ نادمًا

وحنى له رأسَ القصيدة تائبًا

فأجاره القمرُ

يقارب الشاعر بين شخصية مالك بن زعر، الذي قام ببيع يوسف الصديق عبداً إلى عزيز مصر، والعربي الذي قدم تنازلات كثيرة بحق فلسطين.

ويتجلى بصيص الأمل في القصيدة، فيومئ إلى عزة فلسطين من بعد ذلها الطويل، وانتصارها الذي سيجعل من أولئك العرب نادمين.

يذهب الشاعر ذاته إلى شخصية زليخة، فيقول[1] :

زليخة

لم تخن يوسفَ في الغيب،

ولم تخن بوتيفار،

أجبرها الأهلون على حبٍّ

لم ...

تستطعه!

يذكر الشاعر شخصية بوتيفار الذي اشترى يوسف، ومنحه العيش في أكناف قصره، حتى مكنه من السلطة والحكم، وكذلك زليخة التي كانت قصة مكيدتها _التي حاكتها ليوسف_ حديث أهل مصر، لمراودتها فتاها، يأتي الشاعر بها هنا وينفي عنها مراودتها لنبي الله يوسف، وخيانتها لزوجها. ولعل

(١) القيسي، سلطان: ديوان بائع النبي: ص١١٧

الشاعر يُحدث تعالقاً دلالياً بين أطراف القصة، للإشارة إلى (إسرائيل) التي تمكنت من احتلال فلسطين بسبب تقاعس الأنظمة العربية وتواطؤ الاستعمار البريطاني.

يوظف رشدي الماضي مرجعيات ثقافية عدة في سياق حديثه عن يوسفعليه السلام، في قصيدته الموسومة بـ (يوسف الحلاج يجر البئر)، ، فيقول[1]:

قصر الدرب يا بئر !

وبانت نهاية الطريق..

فإن وصلت ساحاً غير ذي زرع

وصحنا غير ذي بئر!!

أنهي لإجازة دلوك

ليأتي هدهد يوسف

يحمل له من يعقوب سلماً

زينب ألقت على زليخة

بردة

فعادت ترفو قميصاً

شقته قبلا وقدته دبرا..

******

سينشرح يا بئر قميص

ضاق صدره

ويفصل للقادم حلماً

في سراجه

(١) الماضي، رشدي: ديوان شمال إلى حجر الانتظار.ط١،دار الفارس للنشر والتوزيع،الأردن،٢٠١٢،ص٨٨-٨٩

أحد عشر كوكباً..!!

قام الشاعر بإجراء تعالق دلالي بين مجموعة من الدلالات العنقودية، فمن منبع الصوفية المتمثلة في الحلاج، ينقلنا الشاعر إلى معاناة تلك الشخصية التاريخية، وذكر ألوان الذل والعذاب الذي لقيه الحلاج في حياته، ومصيره الذي آل إليه، فيربطه بشخصية يوسف، وما تعرض له من ظلم واضطهاد، والمصير الذي آل إليه.

يحيلنا الشاعر في قوله **(فإن وصلت ساحاً غير ذي زرع)** إلى قصة إبراهيم عليه السلام، الذي كانت له قصة مع الرؤيا التي رآها في ولده إسماعيل، فالأحلام والرؤيا شيء مشترك بين إبراهيم ويوسف، إذ إن علم الأحلام قريب جداً من علم التصوف؛ وذلك لأن علم التصوف علم معرفة الله ﷻ، وهذا العلم لا يختص به إلا من هو قريب من الله تعالى، كالأنبياء والمخلصين[١]، وتلك الأحلام تحدد مصير حدث مهم في المسار البشري، ومن بين تلك الرؤيا نجد الشاعر يرسم مصير درب الوطن المحرر الذي يحلم به.

ويحيلنا الشاعر إلى زينب الصوفية[٢] التي تمثل دور القائدة، فنجدها قد ألقت ثوب الحقيقة في وجه من يسعى إلى دب الخلاف بين البشر، فقميص الفرقة والنزاع الذي يسيطر على الوطن، عادت ترفو به وتصلح ذلك الشقّ، كما فعلت مع الفتنة التي عصفت بأخيها في كربلاء، فكانت قائدة مسيرة الثورة، التي أثبتت للعالم بطولتها وكفاءتها[٣]، فيربط بين زليخة صاحبة الفتنة بيوسف، وبين زينب التي ألقت بحكمتها بردتها على زليخة، مما أخمد تلك الفتنة.

وانتقل الشاعر إلى دلالة رمزية هدهد سليمان ليأتي بالبشرى وبالخبر اليقين، الذي يعيد نور الحق والنصر في تحقيق حلم طال انتظاره. ويتحول الخطاب إلى بئر يوسف في نهاية المقطع، الذي يعد رمزاً لبئر الاحتلال السحيق، إذ إن الشاعر قد رمز للشعب الفلسطيني بالقميص الذي تعرض للخيانة والانشقاق، فيبشره من بعد ضيق صدره وطول عذابه بالفرج القريب، وبتحقق الرؤيا التي طالما انتظر تحقيقها.

---

(١) ينظر: صالح، ضاري مظهر: الروح الصوفي. جمالية الشيخ في زمن التيه. دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق،٢٠١٢،ج١،ص٥٠

(٢) هي زينب بنت علي بن أبي طالب، تُعتبر إحدى الشخصيات المهمة عند المسلمين. كان لزينب قدسية خاصة عند الشيعة، بسبب دورها في معركة كربلاء التي قتل فيها أخوها الحسين بن علي بن أبي طالب، وعدد من أهل بيته.

(٣) الصفار، حسن: المرأة العظيمة، قراءة في حياة السيدة زينب.ط١، دار البيان العربي، مصر، ١٩٩٣، ص١٥٢

الفصل الثالث: ظواهر أسلوبية في قصة يوسف عليه السلام

المبحث الأول: الانزياح الدلالي في قصة يوسف عليه السلام

المبحث الثاني: تجليات الصورة الفنية في شعر قصة يوسف

المبحث الثالث: ظواهر في الموسيقى الداخلية (الإيقاع الداخلي)

المبحث الأول: الانزياح الدلالي في شعر قصة يوسف عليه السلام

تعد ظاهرة الانزياح من الظواهر اللافتة في الدراسات الأسلوبية، لأنها تدرس لغة مخالفة لما هو متعارف عليه، إذ تكمن جوانب التميز والإبداع في النص الأدبي الذي يصدم القارئ ويثيره. وكانت هذه الظاهرة امتداداً لما سار عليه نقادنا قديماً، فلم تكن جديدة في نقدنا الحديث، فها هو ابن جني _على سبيل المثال_ يذكر تلك الظاهرة بمصطلحاتها الدارجة في زمانه، فيقول:" وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة، وهي الاتساع والتوكيد والتشبيه، فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتّة"(١). أما في نقدنا الحديث، فلم يكن هناك اختلاف سوى المصطلح ومسمياته التي تعددت، كالانحراف والعدول والخروج والخرق والابتعاد والاتساع والغرابة والانخلال...إلخ (٢)، وهذه المصطلحات تنصب كلها في قالب الانزياح.

تخلق جمالية الانزياح اللغة الإبداعية، على حساب اللغة المعجمية وانطلاقاً منها، ففيها يتأتى للقارئ الإقبال على العمل الفني، وتذوقه ومدارسته ومحاورته، بشقف ونهمٍ كبيرين، إلى درجة الاستمتاع والإثارة والاقتناع به فنياً وجمالياً(٣) .

والانزياح في المفهوم الأسلوبي هو قدرة المبدع على انتهاك واختراق المتناول المألوف، سواء أكان هذا الاختراق صوتياً أم صرفياً أم نحوياً أم معجمياً أم دلالياً؛ ومن ثم يحقق النص انزياحاً بالنسبة إلى معيار متواضَعٍ عليه، لذا تبقى اللغة الإبداعية هي التي تسمح بهذه الخلخلات اللغوية ضمن النصوص بحملها من النفعية البلاغية إلى الفنية الجمالية؛ وهذا كله وفقاً لأفكار وتداعيات خاصة، في إطار أمنية ومواقف محددة تمليها طبيعة الموضوعات المتناولة في ضمن النصوص(٤).

تختلف الكتابة الفنية عن الاستعمال العادي للغة، فالمتحدث يستطيع أن يلجأ إلى وسائل كثيرة مصاحبة للكلام كي ينبه سامعه إلى فحوى الرسالة؛ من استخدام النبر والتعبير بحركات الوجه والإشارة باليدين إلى هز ذراع سامعه أو كتفه أحيانا إذا كانت في حالة انفعالية ... فكذلك وسائل اللغة التي يراد

---

(١) ابن جني، عثمان: الخصائص. ت: محمد علي نجار. المكتبة العلمية، مصر، د.ت، ج٢،ص٤٤٢

(٢) ينظر: ويس، أحمد محمد: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت،٢٠٠٥، ص٣٥-٣٨

(٣) ينظر: بولحي، محمد: الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحداثية. مجلة التراث العربي-مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب-دمشق العدد ٩٥ - السنة الرابعة والعشرون - أيلول ٢٠٠٤ - رجب ١٤٢٥

(٤) ينظر: المرجع السابق.

بها جذب الانتباه إنما تحدث ذلك بفضل ما فيها من المفاجأة أو الخروج عن سياق الكلام العادي، أي بفضل ما فيها من الانحراف[١].

الانزياح تعريفه وأنواعه

الانزياح لغةً: زاح الشيء يزيح زيحاً، وانزياحاً أي ذهب وتباعد، والزيح ذهاب الشيء وابتعاده[٢]، أما اصطلاحاً فقد أجمع النقاد على أنه الخروج عن المألوف، إذ يقوم المبدع بالتفنن بصياغة جديدة للغته، فينزاح إلى أساليب جديدة تثري عقل القارئ وتجذبه،" فهو خروج عن المعيار لغرض يقصد إليه المتكلم"[٣]، ليخرج بنص يرتدي حللاً إبداعية تختلف عما كانت عليه سابقاً، فيزيده قوة وإثارة.

عمد الشعراء في عصرنا الحديث إلى إدخال ظاهرة الانزياح في الأساليب الشعرية، ونكاد لا نجد شاعراً قد أبعده عن شعره، "فهو الشرط الضروري لكل شعر، بل لا يوجد شعر يخلو من الانزياح"[٤]، فضمنوه أشعارهم بأنواعه المختلفة، فقد يكون هذا الانزياح مختصاً بتراكيب الكلمات والجمل ضمن السياق الذي ورد فيه، ويسمى هذا النوع بالانزياح التركيبي" وهو الذي يتصل بالسلسلة السياقية الخطية عندما تخرج على قواعد النظم والتركيب"[٥]، فتعطي تلك التراكيب صفة جديدة غير مألوفة، وقد يكون الانزياح متعلقاً بالصوت والوزن والموسيقى فيسمى بالانزياح الصوتي أو الإيقاعي، أما الانزياح الذي "يحدث في مستوى اللغة كالاستعارة"[٦] فيسمى بالانزياح الاستبدالي. وكذلك هناك نوع آخر " يتلخص في أنه عدول عن إفادة المعنى مباشرة، إلى إفادته عن طريق لازم من لوازمه"[٧] ويطلق عليه الانزياح الدلالي الذي يكاد يماثل الاستبدالي، وغيرها من الأنواع التي ما زال نقادنا يقسمونها بها حتى وصلت ما يقارب الخمسة عشر نوعاً[٨].

أحدث بعض الشعراء انزياحاً دلالياً يتمحور في أحداث القصة، وفق الرؤية التي يرمز إليها، مما أفضى إلى إثارة ودهشة عند المتلقين، الذين وصل بعضهم إلى توجيه اتهامات بحق الشعراء؛

---

(١) ينظر: عياد، شكري: اللغة والإبداع.ط١، مطبعة انترناشونال، مصر، ١٩٨٨، ص٨١.

(٢) لسان العرب: مادة زَ يَ حَ

(٣) أبو العدوس، يوسف: الأسلوبية الرؤية والتطبيق.ط١، دار مرة، الأردن، ٢٠٠٧، ص٧

(٤) كوهين، جون: بنية اللغة الشعرية. ترجمة: محمد الولي. دار توبقال للنشر، المغرب، ٢٠١٤،ص١٩٢

(٥) فضل، صلاح: علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته. دار الشروق، مصر،١٩٩٨،ص٢١١

(٦) ناظم، حسن: مفاهيم الشعرية.ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،٢٠٠٣،ص١٧٦

(٧) بودوخة، مسعود: الأسلوبية والبلاغة العربية مقاربة جمالية. مركز الكتاب الأكاديمي.الأردن،٢٠١٧،ص١٧٢

(٨) ينظر: أبو العدوس، يوسف: الأسلوبية الرؤية والتطبيق.ص١٨٧

لتغييرهم في أحداث قصة قرآنية لا يجوز المساس بها، غير أن دواعي الإثارة الدلالية والمقاربة بين السياق القصصي لقصة يوسف النبي والسياقي الفلسطيني تقتضي ذلك.

اعتمد الشاعر موسى حوامدة على أسلوب الانزياح في قصيدة كاملة، قام فيها بقلب دلالات قصة يوسف، والتغيير في أحداثها، إذ أحدث انزياحاً عكسياً لدلالات القصة، واتضح ذلك جليّا في عنوانه الذي اختاره (لم يسقط يوسف في الجب)، فيقول[١]:

لم يسقط يوسف في الجُبْ

لم يأكله الذئبُ

ولم تنقصْ من خزنة مصر الغلّة

لم تكذبْ

تلك الملكة

وزليخة لم تر يوسفَ أصلا

أثار الشاعر بأسلوبه سخط المتلقين، فاستحق بسبب تحويره للقصة لقب طريد الدولة والدين، عمل على قلب حقائق القصة، وأثار ثورة في تحريفه لقصة قرآنية كما يرى ذلك القرّاء، غير أن شاعرنا عمد إلى إحداث ذلك التغيير؛ لمسوغ دلالي في الحداثة الشعرية، ليحقق هدفاً يسعى من خلاله إلى التعبير عن هذا الوضع المقيت، فالشعراء " ينشئون صوراً مبتكرة لوقائع شعرية متخيلة، لا ينقضون الأبنية القائمة في عقائد الناس، ولا يصنعون مقدسات بديلة، بل يتوهمون فحسب استعارة بعض عناصر المقدّس الحي في الوجدان وتوظيفها في سياق مغاير لتوليد دلالة غالية على نفوسهم، وينبغي أن تكون كذلك عند قرّائهم"[٢]، لذلك يحتاج النص الشعري إلى قارئ متفهم، وواعٍ للدلالات الخفية، دون أن يكتفي بالمعنى الظاهر للعيان.

كان العنوان بحد ذاته كفيلاً ليحدث جدالاً ورفضاً وسخطاً لدى القراء، فإعلان الشاعر عدم سقوط يوسف في الجب، كان نسفاً لأحداث قصة قرآنية كاملة، وأثار بذلك تناقضات واسعة، أدت إلى سجنه لشهور عدة، واتهامه بالردة والخروج عن الدين، "فمحكمة الاستئناف اعتبرت ما ورد في قصيدة

---

(١) حوامدة، موسى: ديوان شجري الأعلى.ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،١٩٩٩،ص٣٧-٣٨

(٢) الأمين، نجاة محمود: مقالة بعنوان: طريد الدولة والديـــــن/ إعادة محاكمة الشـاعر الأردني موســى حوامدة للمرة الثامنة. أخذت من موقع: https://sudaneseonline.com .

يوسف إساءة واضحة لمشاعر المسلمين وتكذيبا لما ورد في القرآن بغض النظر عن المرامي الكامنة في نفس الشاعر"[١]، أما الفئة التي اتفقت مع الانزياح الدلالي فكان تبريرها " أن الشاعر لا يستطيع ولا يريد أن يغير أو يحرف في القصة القرآنية ذات الجذور المعروفة، وإنما أراد أن يجعل منها داخل قصيدته نموذجاً ساخراً للطريقة التي يجري فيها فهم بعض الحقائق وما يتصل بها من نصوص دينية مقدسة فهماً قاصراً ومعزولا من قبل بعض الناس والمؤسسات في الوقت الحاضر"[٢]، بذلك يكون لهذه القصة بعد جديد يقتضي متلقيا قادرا على تفهم كسر أفق التوقع في أثناء قراءة القصيدة .

ويرمي الشاعر إلى إسقاط شخصية يوسف على الصهيوني، وقد أوضح الشاعر في حوار صحفي أنه أراد تأكيد "المعاني الواردة في القرآن"، وبأن "القصيدة رمز ليوسف الجديد الصهيوني"، وانه أراد " نفي أنَّ الصهاينة هم أحفاد شرعيون للنبي يوسف كما رمز بزليخة للأمة العربية"[٣]، وتبقى تلك رؤية دلالية جديدة رأى الشاعر أنها قريبة من الفكرة التي أراد أن يعبر من خلالها عن واقعنا المعاصر. فيقول[٤]:

لم يسقط يوسف في الجُبْ

لم يأكله الذئبُ

يستهل الشاعر عنوان القصيدة ومطلعها بأسلوب النفي ليؤكد أن يوسف الصهيوني لم يتعرض في حياته إلى معاناة أرهقته، بل كان هو المسبب في معاناة الفلسطيني، كما أنه ينفي الادعاء المتعلق بأكل الذئب له، لأن الصهيوني يمتلك قوة لا أحد يمتلكها، والخيرات التي تنعم بها نبي الله يوسف في بلده، فقام بتوزيعها لكل محتاج، تغدو اليوم في قبضة إسرائيل، لم تنقص، بل يقوم المحتل بحرمان الشعب الفلسطيني منها، وزليخة التي يرجح أن الشاعر قد عنى بها _ فلسطين، ينفي ادعاءاته المزعومة أن فلسطين أرض الميعاد، ويثبت نكرانها لهم ولأقوالهم الزائفة، فالأحوال المتبدلة هي السائدة في هذا العصر.

---

(١) الأمين، نجاة محمود: مقالة بعنوان: طريد الدولة والديـــــن/ إعادة محاكمة الشـاعر الأردني موســى حوامدة للمرة الثامنة. أخذت من موقع: https://sudaneseonline.com

(٢) خضـــير، ضـــياء: على هامش تكفير الشـــاعر موســـى حوامدة، عمل التاريخ .. وعمل الشـــعر. موقع محمد إسليم،٢٠٠٢، http://aslimnet.free.fr

(٣) أبو نضـــــال، نزيـه: دعوى ردة على الشـــــاعر الأردني موســـــى حوامـدة. موقع البوابـة، ٢٠٠٠، https://www.albawaba.com

(٤) حوامدة، موسى: ديوان شجري الأعلى.ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،١٩٩٩،ص٣٧-٣٨

من يوسف هذا؟؟

نسلٌ مطرود يعمل خبازاً أو ناطوراً

يتخيل أن تصدفه الملكة

يتوهم أن تعشقه الملكة

ويغالي في السرد فيوهم إخوانه

أن المصريات يضاجعن الإسرائيليين[1]

يحمل الاستفهام الإنكاري في قول الشاعر: (من يوسف هذا ؟؟) شحنة دلالية مفعمة بالرفض والانفعال يبدأ الشاعر بوصف يوسف الصهيوني بأنه من نسل مطرود، يُضمر حقائق تاريخية تشير إلى هجرة اليهود إلى فلسطين من أماكن شتى ذات ثقافات مختلفة، يجمعهم هدف الاستيطان في فلسطين، أرض الميعاد المزعوم.

تبدأ خيوط الأوهام بالتشكل عند هذا اليهودي الذي يظن نفسه مغرياً للملكة (فلسطين)، فيتوهم أنها عشيقته التي ستراوده عن نفسه، وتنفي كلمة (يتوهم) التي ربطها بعشق الملكة له، الأوهام والأحلام في ذهن يوسف الصهيوني، فالتوهم كلمة ترمي إلى استحالة حصول الشيء، ومن المحال أن تعشق فلسطين ذلك اليهودي، أو أن تتقبله في أرضها، "فالوهم هو تلك التصورات والأفكار والخرافات التي يعتقد المرء بصحتها دون أي أساس واقعي ومنطقي وعقلي وعلمي، فكل ما ليس بممكن الحدوث الآن ولا في المستقبل هو وهم، أما الخيال فهو قوة عقلية مبدعة تتجاوز المألوف عبر تفكير يرسم صورة للممكنات في الحياة"[2]، وعليه فإن فلسطين (زليخة) لا يمكن أن تراود يوسف اليهودي عن نفسه ولا تطاوع أوهام الصهيوني.

نشرت مجلة النقاد اللبنانية موقفها تجاه الشاعر موسى حوامدة، وما يتعرض له من انتقادات، فالشاعر "يتحدث عن يوسف اليهودي الراهن الذي يبتغي إخضاع الأمة العربية لسلطته وإرادته وما قول

---

(١) حوامدة، موسى: ديوان شجري الأعلى: ص ٣٧

(٢) البرقاوي، أحمد: الوهم والخيال. صحيفة البيان، ٢٠١٥، https://www.albayan.ae

شمعون بيريز ((شرق أوسط جديد؛ عقل يهودي وعمالة عربية)) إلا تأكيد لذلك"[١]، فالشاعر يثبت مساعي اليهود في تهويد تلك الأمة، وفرض سيطرتها.

كفوا عن سرد القصة

فزليخة أنقى من هذا اليوسف

والقصة أكبر من تأليف واه

وكأن السيدة الأولى عاهرةٌ

لا تحكم كل رجال النيل[٢]

يخاطب الشاعر اليهود طالباً منهم الكف عن سرد ادعاءاتهم الكاذبة، التي تسعى إلى تشويه فلسطين وقلب الحقائق، فزليخة أنقى من هذا اليوسف، وينفي الشاعر مشهد النسوة اللواتي قطعن أيديهن في قوله[٣] :

أصحيح أن النسوة قطّعن الأيدي

لما شاهدن الخباز؟؟؟

كذب الكفرة

لو كان الأمرُ صحيحاً

لغرقنا في بحر دم أحمرْ

في كل مساءْ!!!

لكن الكذبة

صارت أَمْرَ سماءْ

همّت همّا

---

(١) مجلة النقاد اللبنانية: سيف التكفير يضرب في الأردن. بيروت، موقع أسليم.٢٠٠٠

(٢) حوامدة، موسى: ديوان شجري الأعلى.ص٣٧

(٣) المصدر السابق: ص٣٧-٣٨

همّا... همّت...

هم الخباز

كل القصة؛

رغبةُ خَدّام

أو صعلوك في لثم يد الملكة.

ينفي في هذا المشهد تقبل فلسطين لليهود بأسلوب الاستفهام، فينكر الشاعر ذلك، ويعلن أن فلسطين وشعبها لم يرضخوا للصهاينة، ولم يرحبوا بهم، ولم يعجبوا بأكاذيبهم وادعاءاتهم الواهية، ويتهم أولئك الكفرة بالكذب.

يلخص الشاعر قصة فلسطين في نهاية القصيدة، ويعلن رغبة هذا الصهيوني، الذي أكسبه صفتين جديدتين، الخدام والصعلوك، فالخدام ما هو إلا عبد يخدم غيره، وكذلك صفة الصعلوك الهائم على وجهه، المنبوذ من قبل أهله، لا يجد مكاناً يستقر فيه.

في بداية الحديث عن القصيدة كتب الشاعر: ((بناء على طلب المحكمة الشرعية في الأردن نشير هنا إلى أن يوسف في القصيدة ليس النبي يوسف عليه السلام، بل هو رمز للصهاينة الحاليين ولا تسعى القصيدة لنفي القرآن الكريم، ونرجو ألا تفهم القصيدة في غير هذا القصد))[1] كما هو منشور على صفحات الانترنت، وبذلك فإن الحقيقة المتخفية وراء كلماته لا تظهر سوى للقارئ الفذّ، الذي يفكك شيفرة الكلمات ويحفر في باطن النص كي يصل إلى الدلالة الثاوية في القصيدة ، وما يرمي إليه، في سبيل تبرئة زليخة(فلسطين) من مراودة يوسف(الصهيوني).

يعيش الشاعر أحمد دحبور في أحداث يشعر فيها بالضياع، جعلها محوراً لبعض أحداث قصة يوسف، محدثاً انزياحاً دلالياً فيها، فيقول: [2]

أقصّ عليَّ رؤيايا

فلا أب لي، ولا أخوة

وذئبي فيّ،

---

(١) حوامدة، موسى: ديوان شجري الأعلى.ص٣٩

(٢) دحبور، أحمد: الديوان.ج٢، ص٤٥٣

...

يعلن الشاعر بأسلوب الانزياح العكسي، الاختلاف بينه وبين يوسف النبي، في قصّ الرؤيا، فالخطاب القرآني قد نهى يوسف عن قص رؤياه، ولكن الشاعر يقص رؤياه، لتظهر الحوادث بينهما متعارضة، فالشاعر يقصها علّه يجد من يستبطن له البشرى من تأويلها، غير أن الصدمة منذ البدء واضحة، فالشاعر لا أب له يعمل على تأويلها، وتحذيره من قصّها، ولا أخوة له يكيدون له، حتى إن الذئب يتمثل عدواً ذاتياً في نفس الشاعر.

تتنامى الأحداث ليصل إلى مرحلة المراودة، فيفجر للمتلقي نفيه لحدث كان سبباً في إظهار عفة يوسف، فيقول[1] :

ولكني هلكت: زليخة ما راودتني

إن عندي شاهداً ينفي البراءة عن قميصي

فهي من رفضت وأقصتني

وبرأني القضاة...فكنت من عوقب

يعلن الشاعر صفة الاستسلام، وشعوره بالهلاك، فبعد أن كان يوسف ملاحَقاً من قبل زليخة، أضحى اليوم هو الملاحِق، فهي لم تراوده كما في النص القرآني، بل أضحى هو الذي يطلبها ويهمّ بها، فيلاقي الرفض والإقصاء من قبلها.

والقميص الذي كان شاهداً على براءة سيدنا يوسف ﷺ، يعدل الشاعر عنه، ويحدث انعكاساً واضحاً في دلالة هذا القميص الذي أدانه، فيضحي شاهد يوسف اليوم هو المسبب في إلصاق التهمة به، وينتقل إلى القاضي الذي زج بيوسف ﷺ في السجن على الرغم من إثبات براءته، ويحور دلالته، إذ يعلن اليوم براءة يوسف الفلسطيني من كل التهم الموجهة إليه، وعلى الرغم من ذلك فإن العقاب يلاحقه أينما ذهب.

يصور الشاعر أحمد فوزي أبوبكر في قصيدته الموسومة بـ (يا صاحبي السجن) معاناة مدينة القدس العتيقة، فينزاح في بعض الدلالات في قوله [2]:

---

(١) دحبور، أحمد: الديوان:ج٢، ص٤٥٥

(٢) أبو بكر، أحمد فوزي: قصيدة يا صاحبي السجن. مجلة الحوار المتمدن، العدد: ٦١٦٩، ٢٠١٩ / ٣ / ١١

سبعون مشنقةً على باب المدينة

والخمرُ دمّي صافيًا ومعتّقًا

والبئرُ ساهرتي

وها سيّارةُ الصَّحراءِ

قَد داست قوافلهم قميصي

لا دَمي كَذبٌ

ولا دَمعي

يَشُقُّ النّورَ في مُقَلي الحزينة

والشّمسُ قد وقعت بعيني

مثل بحرٍ في سفينة

يسرد الشاعر معاناة مدينة القدس التي طال وقوعها تحت نيران الاحتلال، سبعون عاماً منذ بدء النكبة وحتى يومنا لا زالت أسيرة في أيدي المحتلين، ولا زالت دماء الشهداء تروي ظمأ أرضها المتعطشة للحرية، وقد انزاح الشاعر باستخدامه للفظة مشنقة بدلاً من عام؛ ليكون التعبير أكثر تعبيراً عن خناق الاحتلال الذي يضغط عليها.

جعل الشاعر قصيدته خطاباً موجهاً من سيدنا يوسف إلى صاحبي السجن اللذين رأيا في منامهما رؤية فسرها لهم يوسف النبي، يقول الله عزل وجل:﴿**وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾(١).

يبدأ الشاعر بذكر القافلة التي كانت السبب في نجاة نبي الله من بئره، وينزاح في دلالتها إذ ترمز للصهاينة، وتدوس على رمز البراءة والعفة، فالقميص رمز البشارة والستر والوقار، ها قد أصبح اليوم مداساً قد أريقت كرامته، ويعدل الشاعر من رمزية الدماء المكذوبة التي كانت على قميص يوسف

(١) يوسف: ٣٦

النبي حين اتهم الأخوة الذئب بقتله، لتضحي اليوم دماؤه صادقة، تعبر عن شهداء هذا الوطن، ولتنساب الدموع من عينيه حسرةً من وجع المدينة. ويستأنف الانزياح بقوله:

وكواكبي فرّت

وفرعونُ اعتلى النّاسَ ضُحىً

والخبزُ في رأسي رهينة

قمري ذبيحٌ تحت أقدامِ الطُّغاه

يا صاحبيّ السجنِ لا....

لا تحلما

قوما إلى صنم الغوايةِ

حطّماهُ على نواعيرِ المدينة

يخلُ لكم وجه الكرامة

أبدًا إلى يوم القيامة

أجرى الشاعر انزياحا في دلالةً الكواكب التي اصطفت ليوسف النبي وسجدت له في منامه، سجدة عز وتقدير، فهي قد فرّت، ومن المرجح أنه يقصد بها الدول العربية التي فضّلت الهروب والهزيمة على الوقوف إلى جانب القدس والدفاع عنها.

يعبر الشاعر عن الأحوال المتقلبة، مستمداً من منام صاحبه في السجن الذي رأى الخبز فوق رأسه قد أكلت منه الطير، ويربطها بالحذر الشديد من العاقبة القادمة، فأبناء شعبنا أضحوا رهينة بين يدي المحتل، وهم عرضة لصلبهم وإنهاء حياتهم، وينزاح الشاعر في لفظة (القمر) رمز يعقوب، (قمري ذبيح تحت أقدام الطغاة)، ويجعل الشاعر من القمر رمزاً لأبناء شعبنا الذين يعانون وطأة المحتل وقسوته.

يحث الشاعر رفيقيه، ويطلب منهما الكف عن الحلم، بل يشحذ الهمة في نفوسهم حتى يغدو ما يحلمان به واقعاً حقيقياً، فيطلب منهما تحطيم صنم المحتل اللعين على نواعير المدينة المقدسة، لتنساب أنهار العزة في أرجاء القدس، ولينعموا بالكرامة المطلقة، وانزاح الشاعر في دلالة (يخل لكم وجه أبيكم)، وحوّرها إلى الكرامة المنشودة، التي تشد أزر الفلسطيني إلى يوم البعث والخلود.

عبر الشعراء عن الانزياح الدلالي بأسلوب مائز، من خلال خروجهم عن المألوف، فأضفى ذلك فناً محكم البناء يغلفه الإبداع، وأثار الدهشة عند المتلقي، الذي يمتلك قدرة في التأويل الذي يعينه على فهم مرامي الشعراء، فيحدث علاقة تفاعلية بين المتلقي والنص.

المبحث الثاني: تجليات الصورة الفنية في شعر قصة يوسف

تشكل الصور الفنية في الشعر العربي الأساس الذي تقوم عليه القصائد، إذ يلبس الشعراء كلماتهم حللاً زاهية من حقول البلاغة العربية، فيضفون عليها جمالاً ورونقاً يزيد من فصاحتها وقربها من النفس، تلك الصور الفنية لم تكن وليدة عصرنا الحديث، ولم تكن " شيئاً جديداً، فإن الشعر قائم على الصورة منذ أن وجد حتى اليوم، ولكن استخدام الصورة يختلف من شاعر لآخر"[١]، بالإضافة إلى ماهيّة العصر والزمن الذي يعيش فيه، الذي يستمد منه الشاعر ما يثري قريحته الشعرية.

يأتي الشاعر بفكرة، فيبدأ بنسج كلماته حتى تنمو وتتشكل داخل قصيدته، ويستمد من مكنونات الأشياء التي تحيط به ألفاظه المألوفة، إلى ألفاظ تتسم بالخيال والإبداع، فالخيال عنصر مهم في رسم تلك الصورة، فهو" نشاط فعّال يعمل على استنفار كينونة الأشياء ليبني منها عملاً فنياً، متحد الأجزاء منسجماً في هزة للقلب، ومتعة للنفس"[٢]، وباتحاده مع العقل، يندمج الوعي باللاوعي، لتتشكل صورة فنية مزدانة بحللها الجديدة، مرتدية ثوب البلاغة بأنواعها، تثري فهم المتلقي فيغدو وكأنه بين بستان مليء بأزهار البديع والبيان.

والتصوير الفني للشعر يحتاج إلى تفتح في قريحة الشاعر، و" تتجلى قوة الشعر في عبقرية التصوير التي تمتلك من الإمكانيات الفنية القادرة على رسم أبعاد التجربة الشعورية، والإيحاء بظلالها، فالتصوير الفني بذلك هو الحياة التي تسري في عروق الشعر"[٣]، وهو ركن أساسي حتى يخرج بشعر له خصائصه التي تميّزه عن غيره من الفنون والآداب.

ترتبط في أذهاننا صور البلاغة المتنوعة بأشكالها وأنواعها التي تكاد تنحصر في علومها الثلاثة، البيان والبديع والمعاني، وقد تم دراسة علم البلاغة في شتى المراحل والعصور، وترتكز هذه الدراسة على فرع من فروع هذا العلم، وهو علم البيان،" وقد تطور هذا العلم منذ العصر الجاهلي على صورة ملاحظات بيانية أخذت تنمو وتتكاثر على تعاقب العصور، حتى صارت علماً مستقلاً بذاته على يد

---

(١) عباس، إحسان: فن الشعر.ط٣،دار الثقافة للنشر والتوزيع. بيروت، د.ت، ص٢٣٠

(٢) الرباعي، عبد القادر: الصورة الفنية في النقد الشعري.ط١،دار جرير،الأردن،٢٠٠٩،ص٢٤١

(٣) قاسم، عدنان حسين: التصوير الشعري رؤية نقدية. الدار العربية للنشر والتوزيع، مصر،٢٠٠٠،ص١٦

عبد القاهر الجرجاني ومن جاء بعده من البلاغيين"[١] ، ويمنحنا علم البيان التعبير عن المعنى بطرق شائقة ومختلفة، نلبسه فيها حلة التشبيه أو الاستعارة أو الكناية، فينتقل إلى ذهن المتلقي بطريقة سلسلة لا رتابة فيها ولا جمود.

المطلب الأول: الصور التشبيهية

يعد فن التشبيه من الفنون البلاغية التي تعمل على تطوير المعنى وإثرائه، فيغدو صورة فنية محببة إلى النفس، وكلما كان أفق الشاعر الذي يستخدم هذا الفن واسعاً محلقاً في خياله، فإنه يبدع في إنتاج تلك الصورة، ويزيد من قيمتها الفنية.

والتشبيه لغةً _كما جاء في المعاجم_ مشتق من شبه، وهو التمثيل أو المثل، وأشبه الشيء ماثله،[٢] ويتمثل بوجود صفات مشتركة تتماثل في مزيّة معينة. أما التشبيه اصطلاحاً، فقد تعددت تعريفاته وتنوعت، غير أنها تنصب في قالب يتفق بالمعنى، فابن رشيق القيرواني يعرفه بأنه " صفة الشيء بما قاربه وشاكله، ومن جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه، ألا ترى أن قولهم " خد كالورد " إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها، لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كمائمه"[٣].

أما عبد القاهر الجرجاني، فيرى أن التشبيه "علاقة تجمع بين طرفين متمايزين في الصفة نفسها، أو في حكم لها ومقتضى"[٤]، وكذلك ابن قدامة يقول بأن " أحسن التشبيه ما كان بين شيئين مشتركين في صفات كثيرة"[٥]، ويتشابه النقاد القدامى في تعريفه، على الرغم من اختلاف اللفظ إلا أنهم يتحدون في المضمون والمعنى، وكلهم يتفقون بوجود مشاركة بين صفات الأشياء، من خلال وجود عنصرين أساسيين هما المشبه والمشبه به، والعلاقة الماثلة بينهما.

يشتمل التشبيه في الجملة على أربعة أركان أساسية تتمثل بالمشبه، والمشبه به، وهما طرفا التشبيه، وأداة التشبيه، وهي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة، ووجه الشبه وهو الصفة أو الصفات التي

---

(١) عتيق، عبد العزيز: علم البيان. دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت،١٩٧٢،ص٦٠

(٢) لسان العرب: مادة شَبَهَ

(٣) القيرواني، ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه. ت.محمد عبد الحميد.ط٥،دار الجيل، بيروت، ١٩٨١، ج١ص٢٨٦

(٤) الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز. ت. محمود محمد شاكر. مكتبة الخانجي، ط٥، مصر،مج١، ٢٠٠٤،ص٤٤

(٥) ابن جعفر، قدامة: نقد الشعر.ط١، مطبعة الجوانب، القسطنطينية، ١٣٠٢ هـ ،ص٣٤

تجتمع بين الطرفين.[١]، ووجود طرفي التشبيه ركن أساسيّ في الجملة حتى يحصل التشبيه، أما الركنان الآخران فلا ضير من حذفها.

ويسمى التشبيه الذي يأتي بطرفيه الأساسيين تشبيهاً بليغاً، "وسموا مثل هذا بليغاً لما فيه من اختصار من جهة، وما فيه من تصور وتخيل من جهة أخرى، لأن وجه الشبه إذا حذف ذهب الظن فيه كل مذهب، وفتح باب التأويل"[٢]، ويعد الشاعر الذي يعتمده في شعره صاحب ذهن متفتح، يسعى إلى جذب خيال المتلقي. ويتساءل عمر عتيق حول سبب تسميته بالبليغ، وهل هذه التسمية تخرج الألوان الأخرى من دائرة البلاغة [٣] ويبدو من رأيه أنه يتحفظ على هذه التسمية.

برز هذا النوع من التشبيه عند الشعراء الفلسطينيين الذين وظفوا قصة يوسف في أشعارهم، إذ وجدوا فيه قدرة على التعبير أكثر في جذب خيال المتلقي، وشد انتباهه، والانتقال بذهنه إلى إجراء الصلة بين المشبه والمشبه به، ودواعي الربط بينهما فيصبح أكثر تأثراً بذلك الشعر، وبتلك القصة التي تسيطر عليه.

ومن نماذج التشبيه البليغ الذي يشتمل على قوة وتأثير في نفس المتلقي، قول الشاعر[٤]:

أين المصير...والمدى سراب

سبع عجاف...والرؤى يباب

سبع عجاف...والرؤى يباب

يبحث الشاعر عن مصير شعبه، ويوظف التشبيه البليغ في تعبيره عن المدى، وطول المسافة التي ينتظرها حتى تنزاح غمامة المحتل عنهم، فيشبهها بالسراب الذي لا يظهر إلّا وهماً وخديعة، وتزييفاً للحقيقة، إذ لا وجود لمصير واضح ينصب في مصلحة وطنهم، وإذا ما عثروا على بصيص أمل فإنه يتحول إلى سراب وهمي.

وحذف الشاعر أداة التشبيه ووجه الشبه في الجملة ليكون التعبير أكثر قرباً في ذهن المتلقي، ولتتضح صفة المستقبل بأنه السراب بعينه، دون الحاجة إلى أداة تقرب التشبيه، أو وجه شبه يفصله.

---

(١) ينظر: عتيق، عبد العزيز: علم البيان.ص٦٤

(٢) مطلوب، أحمد: معجم المصطلحات البلاغية. مطبعة المجمع العلمي العراقي،١٩٨٦،ج٢،ص١٧٧

(٣) ينظر: عتيق، عمر: علم البلاغة بين الاصالة والمعاصرة.ط١، دار أسامة للنشر والتوزيع،عمان،٢٠١٢، ص٨٤

(٤) زغلول، لطفي: ديوان أقول لا .ص١١

وقد ارتأى الشاعر اختيار صفة السراب للمدى لما بين هاتين الكلمتين من علاقة، لو عدنا إلى المعجم، فالمَدِى: حَوْضٌ لا تُنْصَبُ حَوْلَه حِجارةٌ، وما سالَ من ماءِ الحَوْضِ فَخَبُثَ،[١] والسراب: ما يُرى نصفَ النهار لاصقًا بالأرض كأنّه ماءٌ جارٍ[٢]، وكلاهما ينصب في الماء الذي لا وجود له، أو الذي لا فائدة منه، وكذلك العجاف التي تعني الهزل والضعف، وفي المعجم عَجْفاءُ: الأرضُ لا خَيْرَ فيها[٣]. وتدل العلاقة التجاورية بين الكلمات على عدم الفائدة من طول الانتظار لتلك الأيام التي ينتظرها الشاعر في سبيل دمل جرح وطنه، وفق نظرته السوداوية.

ويسمى هذا النوع من التحليل في الأسلوبية بالمحور الأفقي، الذي يعرف بأنه "المحور الذي تنتظم منه الوحدات اللغوية، لتؤلف سلسلة من الكلام في مقاطع وكلمات وجمل"[٤]، فيدرس العلاقة بين الكلمات المتجاورة التي تنصب في قالب دلالي متقارب يقوي المعنى ويزيده بلاغة. وفي سبيل ذكر الشاعر للسنين العجاف التي طالت، فإنه يشبه الرؤى والآمال والتطلعات التي يصبو إليها باليباب، وهو الخراب الذي لا شيء فيه، فأحلام شعبه باتت مهجورة قاحلة لا أمل في تحقيقها.

وتظهر لنا صورة بصرية تتمثل في تلك الرؤى غير الواضحة، التي اتصلت بلفظة يباب، الذي لا شيء فيه، فيخلو من كل شيء، ليعطي دلالة خفية أن رؤى الشاعر التي يتطلع إلى تحقيقها لن يجد لها تحققاً في نهاية المطاف، وأن سنين العجاف على الشعب الفلسطيني ستطول، فكرر ذلك المقطع مرتين ليؤكد ذلك.

تتجلى الصورة الفنية التي استخدمها رشدي الماضي في قصيدته، معبراً من خلالها عن تحقيق العودة، فيقول[٥]:

يوسف !! أنت أنت تسمعنا

مخاض رؤياك خبرنا

الصبح ديك يسكننا

---

(١) لسان العرب: مادة مَدَيَ

(٢) المصدر السابق: مادة سَرَبَ

(٣) المصدر السابق: مادة عجف

(٤) حمد، عبد الله خضر: مناهج النقد الأدبي الحديث. دار الفجر للنشر والتوزيع، العراق،٢٠١٧،ص٢٠٠

(٥) الماضي، رشدي: ديوان تهاليل للزمن الآتي.ص٣٧-٣٨

يشبه الشاعر الصبح بالديك في سياق مخاطبته ليوسف الفلسطيني، بعد أن طلب منه قص الرؤيا التي رآها، وتكمن في التشبيه عوامل الربط التي تنصب في ذلك الأمل الخفي بين طيات التشبيه والكلام، فالصبح الفترة الزمنية التي يعلو فيها صوت الديك صادحاً في بداية فجر نهار جديد عند شروق الشمس، وقد اختار أن يشبهه بالديك لما يحمله من رموز عند معظم الثقافات، "فقد اعتبرته الكنيسة الكاثوليكية، في العصور الوسطى، رمزاً دينياً يتعلق بعودة المسيح، وعلامة على بزوغ الفجر بعد الظلام، وفي الثقافة الفرنسية، يستخدم الديك تعويذة للنصر، ورمزاً لجلب الحظ وللمقاومة والعناد، ورفض الاستسلام"(١)، أما في الثقافة الفلسطينية فإن الديك رمز لإشراقة يوم جديد، وهو يجسد صوت البشرى، إن الديك يصيح عند رؤيته الملائكة، وكأنه يصيح ليوقظ غفلة النيام، حتى يهبوا لفجر جديد في وطنهم وفق المعتقدات الشعبية، فيكون الديك بدلالاته أكثر تعبيراً وقوة في إيصال الفكرة التي يرمي إليها الشاعر، التي يأمل فيها من خلال ذلك الصبح المتجدد، الذي في طياته فكرة العودة المكنونة في حلم كل فلسطيني تسكن في أعماقه، فيسعى إلى تحقيقها عمّا قريب.

يذكر الشاعر رفعت زيتون السجن، ذلك المكان الذي تسلب فيه حرية الفلسطيني بلا ذنب، فيقول(٢):

السجن كفر كما الأغلال كفار　　أعمى البصيرة خير الناس يختار

مذ عهد يوسف والسجان منهمك　　في قهر يوسف والأحزان سعّار

يجري الشاعر صورة تشبيهية بليغة، يصور فيها السجن بالكفر، وهو خلاف الإيمان والجحود، ونقول في المعجم: سَجَنَ الهَمَّ: أَخْفَاهُ(٣)، والكفر تعني كفر الشّيء: ستَره وغطّاه(٤)، وفي كليهما الخفاء لتلك الحرية المسلوبة، وكذلك الحال لأغلال هذا السجن التي شبهت بالكفار.

وفي سياق الحديث عن السجن، يستدعي الشاعر قصة نبي الله يوسف عليه السلام، الذي دخل السجن ظلماً وبهتاناً، وقد وردت لفظة السجن في القرآن الكريم في تسعة مواضع في سورة يوسف(٥)، ويستمد الشعراء الفلسطينيون في سياق حديثهم عن السجن_ رمزية البراءة والظلم في سلب حريتهم، "فمن أعجب

---

(١) الشحي، عبد الله: مقالة بعنوان: متى ولمن يصيح الديك؟!. مجلة دار الخليج، ٢٠١٧، http://www.alkhaleej.ae

(٢) زيتون، رفعت يحيى: حروف مقدسية على السور الجريح.ص٥٧

(٣) لسان العرب: مادة سَجَنَ

(٤) المصدر السابق: مادة كَفَرَ

(٥) ينظر: سورة يوسف: ١٠٠،٤٢،٤١،٣٩،٣٦،٣٥،٣٣،٢٣،٢٥

أنواع السجن في التاريخ، السجن الذي يبتلى به بعض الأشخاص بلا ذنب، ومن المؤلم أن النزاهة تعد جرماً في المحيط الملوث بالذنوب والآثام؛ لأن ذلك يؤدي إلى إفشال مخططات هؤلاء الملوثين، فكم من يوسف على مر التاريخ أودع السجن بذنب الطهر والعفة والرغبة عن الذنوب."[١] وكذلك الشعب الفلسطيني الذي يزج به داخل السجن بلا ذنب اقترفوه، سوى دفاعهم عن شرف وطنهم، كما دافع نبي الله عن شرفه، فكل تلك الأفعال تصل إلى مرحلة الكفر والخروج عن الإيمان، لأنها من الأفعال المناقضة له، التي لا تتقبلها الأديان والعقول.

وتكتمل تلك الصورة بإضفاء الصفة اللونية، فالسعر لون يميل إلى السواد[٢]، والسواد هو رمز للحزن والحداد عند بعض الشعوب، فمن زنزانة يوسف الفلسطيني، الذي يعيش تلك المأساة السوداوية، يستبطن الأمل من قصة يوسف في الخلاص من سجن الاحتلال، كما تخلص نبي الله منه.

يذكر الشاعر عبد الرحيم عمر البئر التي ألقي فيها يوسف عليه السلام، فيقول[٣] :

فنزيل الجب ما زال ينادي

والصدى يترامى خافتاً عبر المدى

عبثاً راحوا، وهذي البئر تابوت الردى

يصور الشاعر البئر بالتابوت، ولو عدنا إلى سياق مغزى الشاعر، لوجدناه يشير إلى الفلسطيني الذي يعيش في غربة المنافي، فأضحى ملقىً في جبها، لا يستطيع الخروج منها، وقد اختار الشاعر لفظة البئر عوضاً عن الجب، لأنها أشد عمقاً منه، وشبهها بالردى، ويعني الموت والهلاك، وكأن تلك المنافي توابيت، والردى السقوط، فرَدَى فِي البِئْرِ: تَرَدَّى، رَدِيَ، أي سَقَطَ[٤]، وقد سقط الفلسطيني في المنفى، كما سقط يوسف في جبه.

وتظهر دلالة الصورة الصوتية في حنايا الكلام، وذلك من خلال كلمة صدى، فيوسف الفلسطيني ينادي ويطلب الغوث، غير أن صوت صداه يتردد خافتاً، والخفوت انخفاض الصوت، وخفت بكلامه أي

---

(١) الشيرازي، ناصر مكارم: نفحات القرآن.ط١، مطبعة سليم نزاده، إيران، ١٤٢٦هـ، مج ١٠، ص١٩٢.

(٢) لسان العرب: مادة سعر

(٣) عمر، عبد الرحيم: الأعمال الشعرية الكاملة. ص٤١

(٤) لسان العرب: مادة سقط

أسرّه[١]، وفي ذلك دليل على عدم سماع شكوى الفلسطيني في ظلمة منفاه، وقد أكسبت الدلالة الصوتية مشاعر الحزن واليأس التي تخيّم على قلب الفلسطيني الذي لم يستسلم، فهو ما زال ينادي.

ويجري مقاربة بين صدى الصوت الخارج من البئر، إذ بتردده وتجاوب صوته لا أحد يرد عليه، وكذلك صوت الفلسطيني في منفاه، فهو ينادي غير أنه لا حياة لمن ينادي، فلا مجيب له ولا معين، ليضحي المنفى قبراً للفلسطيني.

ويعبر الشاعر أحمد دحبور عن رغبته بالخروج من غربة المنفى باستدعائه رمزية القميص، يقول[٢] :

ما في الكف معجزة،

ولا قميصي غلاف النور في الزمن المغرور

يشكل الشاعر صورة تشبيهية بليغة في إضفاء صفة على القميص الذي يحتاجه، إذ يشبهه بغلاف النور، فالقميص رمزية يُستمد منها الأمل في العودة من المنفى، وهي رمزية قميص نبي الله يوسف عليه السلام الذي أرسله لوالده، فارتد بصيراً بعد أن وضعه على عينيه، لذلك يشبه ذلك القميص بالغلاف الذي يحيط النور، وهو الطبقة الخارجية منه. والنور ضَوْءٌ وسطوع، ضدّ الظُّلمة، وهو ما يُبَيِّن الأَشْياءَ ويُرِي الأَبْصَارَ حقيقتها[٣]، والشاعر يعبر بأسى عن عدم امتلاك الصفة النورانية لقميصه، لأن صفة زمانه الذي يعيش فيه تتسم بالغرور، وهو الخداع والبطلان، وهذه أحوال واقعنا الفلسطيني .

تكمن في النص دلالة لونية تتشكل في ذلك القميص الذي يتأمل الشاعر أن يشع منه نورٌ ساطع، ولعله نور الحقيقة الذي يبحث عنه الفلسطيني، في ظل ظلمة المحتل.

وفي سياق الصور التشبيهية، يُجري الشاعر معتصم خضر في خطابه للغزي الذي يناديه بالكوفي، ويجري مقاربة تشبيهية بينه وبين نبي الله يوسف، فيقول[٤]:

يا أيها الكوفي

اسجد لبوصلة الكرامة والإباء

---

(١) لسان العرب: مادة خفت

(٢) دحبور، أحمد: الديوان. ج٢، ص٣٥١

(٣) لسان العرب: مادة نور

(٤) خضر، معتصم: ديوان من أفراح وادي مصّين إلى شواطئ الأحزان.ص١٢٩

كسجود يعقوب النبي وزوجه

وكواكب تهوي ليوسف

يشبه الشاعر سجود الكوفي للكرامة والعزة بسجود يعقوب وأبنائه لنبي الله يوسف عليه السلام، مستخدماً أداة التشبيه الكاف، إذ تعد من أكثر الأدوات شيوعاً واستخداماً، نلاحظ أن التشبيه هنا مجملٌ، إذ حذف منه وجه الشبه، ويعد هذا التشبيه أقوى من أن يذكر فيه وجه الشبه، "لأنك شبهت هذا بهذا تشبيهاً مطلقاً دونما قيود"(١)، ولو تمعنّا في المشبه المتمثل بسجود الفلسطيني الغزي الذي يلقبه الشاعر بالكوفي، لرأيناه يسجد للكرامة والعزة والإباء، فتلك هي سمات الفلسطيني الأبيّ، الذي يرفض الذل والهوان، ويصبر على الضيْم والصعاب، فيتخطاها غير هيّاب ولا وجل، مستمداً من قصة يوسف تلك النهاية العظيمة، المتمثلة بسجود يعقوب وأبنائه له، سجدة عز وتقدير، بعد كل تلك الصعاب التي مرّ بها نبي الله.

وفي سياق التحليل وفق المحور الرأسي، أو ما يسمى بالاستبدالي الذي يعرف بأنه المحور "الذي تنتظم فيه العلاقات بين كل إشارة من الإشارات الموجودة في المرحلة الكلامية، والإشارات التي تنتمي إلى اللغة نفسها"(٢)، فيستبدل الشاعر كلمة اختارها دون غيرها، تكون أكثر بلاغة وتعبيراً، ونجد ذلك في كلمة تهوي التي انتقاها الشاعر، التي تمدنا بالأمل الكامن فيها، وبمشاعر الشوق التي تحويها أكثر من كلمة تأتي أو تقبل، فتهوي في لسان العرب: تسرع إليه شوقاً ووداداً(٣).

نلاحظ دلالة الصورة الحركية التي تتجسد في كلمات الشاعر، ففي السجود دلالة تحمل العظمة والتقدير، والسجود يكون فيه خضوع ونزول إلى الأسفل، وكذلك تهوي، نقول هوى الرجل، أي سَقَطَ مِنْ عُلُوٍّ إِلَى أَسْفَلَ (٤)، وكلتا الكلمتين تحمل حركة سريعة، فنستمد من تلك الدلالة سرعة تحقق الكرامة والنصر.

---

(١) العثيمين، محمد بن صالح: شرح البلاغة.ط١،مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، السعودية، ١٤٣٤هـ،ص٢٤١

(٢) حمد، عبد الله خضر: مناهج النقد الأدبي الحديث.ص٢٠٠

(٣) لسان العرب: مادة هوى

(٤) المعجم الوسيط : مادة هوى

يعبر الشاعر نمر سعدي عن التغريبة الفلسطينية، فيطرح التساؤلات في سياق صورة تشبيهية تتصل برمزية قميص نبي الله يوسف، فيقول[١]:

هل يكفيه ما ينحل من شمس المحبة فيه

وهو يعود من تغريبة الإنسان للإنسان؟

يعانقه فيدني قلبه الأعمى

يقبلّه ويرفعه على عينيه مثل قميص يوسف

تعبر الصورة التشبيهية عن حلم العودة بتشبيه عناق الإنسان لحلم العودة الذي طالما انتظره وتمناه، وبعناق يعقوب النبي لقميص يوسف، وذلك لوجود دلالات متشابهة فيما بينهما، فيعقوب النبي قد عانق قميص يوسف بعد طول فراق وعذاب، مما أعاد إليه بصره، وعاد ولده إلى حضنه، وكذلك الفلسطيني المغترب، يحلم في لثم حلم العودة وتقبيله لعلّ الفرح يتحقق في النهاية، وتكتمل العودة.

ونلاحظ تدرج الشاعر في دلالات الصور الحركية التي يجريها، فبدءاً بالعناق، وفي المعجم عانَقهُ مُعَانقةً وعِناقاً: التزمه فأدنى عُنُقَه من عُنُقِه، وقيل: المُعَانقة في المودة والاعْتِناقُ في الحرب[٢]، وكأن الشاعر يأمل من قلبه الأعمى أن يعانق حلم العودة، معتنقاً سني الغربة التي عاشها، راغباً بالقرب والوصال، فيتدرج من العناق ليدني قلبه الأعمى، والدنو هو القرب، وصولاً إلى مرحلة القبلة، وهي اللثم الذي يصل إلى الالتصاق، وهي من أقرب مراحل الشوق والوصال، وكأن الشاعر يصل إلى ذلك الحلم، فيكون قد وصل إلى أقرب سبيل له، ليقوم الشاعر برفعه إلى عينيه، وفي الرفع يكون العلو والبروز أمام العين، التي تعبر عن الوضوح، وتجلى الحقائق، وتعد مرآة لكل شيء.

المطلب الثاني: الصور الاستعارية

تختلف الاستعارة عن التشبيه من حيث الركنين الأساسيين، فالاستعارة تتطلب حذف المشبه أو المشبه به، وتترك المجال للقارئ حتى يغوص في أعماقها، محاولاً الوصول إلى الدلالة الكامنة التي أرادها الشاعر خلف قشرتها، فالشاعر "لا ينظر إلى استعارة شيء لشيء، وإنما هو يتحدث عمّا يراه خلف الرؤية الواضحة البسيطة. إنه يعبر عما يتموج خلف سراديب النفس، واللفظ القاموسي محدود وقاصر ومشلول لا يستطيع أن يصل إلى التعبير عن كنه الأشياء، وهنا يحطم الشاعر النسق اللغوي

---

(١) سعدي، نمر: ديوان لن أعود بعدك إلا على جسد الرائحة.ص٦٠١

(٢) لسان العرب: مادة عنق

المألوف؛ ليقيم هيكلاً لغوياً جديداً يفقد فيه اللفظ وضعيته الجامدة"[١].ويتطلب البناء الاستعاري من القارئ أن يكون قادراً على استنباط ما في ذهن الشاعر، حتى يكتمل دور البناء الاستعاري، إضافة إلى "أن النفس الإنسانية مولعة بكل ما هو جميل، لذلك تضيق النفس بالصور التقريرية الفجة الساذجة، أما (المجاز) الاستعارة فهو يكسو الصور جمالاً"[٢]، بذلك تصبح الجمل أكثر جاذبية للمتلقي.

الاستعارة المكنية

أكثر الشعراء الفلسطينيون من استخدام الاستعارة المكنية في حديثهم عن قصة يوسف عليه السلام، وذلك للتأثير القوي والسحر الفعال الذي تضفيه على المعنى، ففيها "ترى الجماد حياً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخُرس مبينة، والمعاني الخفية باديةً جلية، وإذا نظرت في أمر المقاييس وجدتها ولا ناصر لها أعز منها، ولا رونق ما لم تزينها"[٣].

١. الاستعارة التجسيدية

يقصد بها إضفاء الطابع الحسي على الأشياء والمعاني، فيتحول فيها الطرف المجرد إلى جسم مادي محسوس، وتتمثل قدرتها في نقل المعنويات من عالمها التجريدي إلى عالم المحسوسات[٤]، وقد كثر هذا النوع عند الشعراء، "إذ يتحرر الشاعر فيها من قيود المادة، ويلغي المادي والمجرد، ليحقق عالماً فنياً أكثر عمقاً وخيالاً"[٥].

يستخدم الشاعر رشدي الماضي الاستعارة التجسيدية في سياق دعوة يوسف الفلسطيني للنهوض من سنين بأسه، ويهب لنصرة وطنه، فيقول[٦]:

يوسفي

جفف دموعك

---

(١) عيد، رجاء: فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور .ط٢، منشأة المعارف،مصر،١٩٩٨، ص٤٠٥

(٢) عتيق، عمر: علم البلاغة بين الاصالة والمعاصرة. ص١٠٣

(٣) الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة. ت.محمد شاكر .ط١، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٩١،ص١٨

(٤) ينظر: الخوالدة، محمد صوالحة. التصوير الاستعاري في شعر عباس الأحنف. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج٤٠، العدد٣، ٢٠١٣، ص٧٨٠

(٥) عتيق، عمر: علم البلاغة بين الاصالة والمعاصرة.ص١١٥

(٦) الماضي، رشدي: ديوان تهاليل للزمن الآتي ص٨٩

واخلع عنك ثوب الغدر

تجسد البنية الاستعارية صورة الغدر إذ تحول إلى مادة محسوسة، فقد شبه الشاعر الغدر بالثياب، معبرًا عن عمق المأساة التي حلت بيوسف الفلسطيني الذي تعرض في حياته إلى غدر من أقرب الناس إليه، غدر إخوته العرب به، فآن الأوان أن يخلع هذا الغدر ويتخلص منه، فما كان من الشاعر إلا أن جعل هذا الغدر ملموساً حتى يتمكن من التخلص منه، دون أن يترك أي أثر وراءه، فالخلع النزع والتجريد[١]، والشاعر يسعى إلى أن يتجرد يوسف الفلسطيني من مآسيه، وتلك الاستعارة تكشف لنا عن مكنون الشاعر ومشاعره البائسة التي لا يرغب بها.

واعتمدت إيمان مصاروة على البنية الاستعارية التجسيدية في السياق ذاته، فتقول[٢]:

سيغيبُ صوتُ القهرِ من تلكَ الحناجر

سوفَ نرجعُ

لا مجازَ لها يا يوسفْ

تبرز جينات الأمل في كلمات الشاعرة، من خلال البنية الاستعارية التي جسدت فيها القهر فجعلت له صوتاً مسموعاً، فالشاعرة تؤمن بغياب القهر الذي عاشه الفلسطيني، إذ جعلت له صوتاً حتى يتبدد وتكون له نهاية، فنراها تبشر الفلسطيني بحتمية الرجوع المؤكدة بسين التسويف، وارتأت الشاعرة اختيار لفظة القهر دون الظلم مثلاً، لأن القهر يتضمن الأفكار والمشاعر الداخلية والعواطف، وقد يتعرض له أي شخص، بينما يكون الظلم لفئة معينة كالنساء وكبار السن، وتختص بالظلم الجسدي أو الاجتماعي بالقمع أو الضرب[٣]، ويوسف الفلسطيني تعرضت أحلامه وآماله في الخلاص من الاحتلال إلى الكبت والحرمان، فشعر بقهر شديد؛ لأنه محروم من التعبير عن مشاعره المكبوتة تجاه وطنه.

وتظهر الدلالة الصوتية في صوت القهر، إذ إن المقهور يكبت حزنه في داخل قلبه حتى يئن من الألم، فلا يملك القدرة على البوح عما في داخله، و"محاولة كتم البكاء يمثل للجسم محاولة لكبح اتساع

---

(١) لسان العرب: مادة خَلَعَ

(٢) مصاروة، إيمان: هاك قصيدتي. http://www.ahewar.org

(٣) سعد الدين، أسماء: مقالة بعنوان: الفرق بين الظلم و القهر.٢٠١٥، موقع المرسال https://www.almrsal.com

مزمار الحنجرة، ما يشكل ضغطًا إضافيًا عليها، ما يتسبب في حدوث تقلصات للعضلات"[١]، فيتعب الحنجرة ويؤذيها، لذلك جمعت الشاعرة تلك الرابطة لتبشر بغياب ذلك القهر وغياب الحزن والكبت معه.

يعبر سعد الدين شاهين عن رغبته في إزالة الآلام عن شعبه الفلسطيني في سياق حديثه عن رمزية قميص البراءة، فيقول[٢]:

أشد على قميصي أزره

كي لا يقد من الغواية مرة أخرى

وأرتقه بخيط الشك في امرأة أفتش عن مزاياها

من الزمن الجديد

يعبر الشاعر عن رغبته الجامحة في التخلص من كل أسباب الغدر والخيانة التي تعرض لها شعبه الفلسطيني، ويسعى إلى ذلك بعزيمة جديدة حتى لا يتعرض للغواية والخيانة مرة أخرى من قبل الآخرين الذين يتربصون له لزجّه في سجون المنافي، وتتمثل مشاعره تلك في بنيته الاستعارية الذي ارتأى أن يجسد فيها الشك ليجعل منه خيطاً يصلح به قميص النصر والعودة والنجاة من كل ظلم، وقد انتقى الشاعر فعل يرتق لأن فيه قوة تتصل بالخيط، فرتقه تعني لَحَمَه وسدّه، و يرتق ويلتئم [٣]، وبهذا الاختيار اللغوي تتحقق قوة أكبر لسد الشك الذي يراوده في أثناء بحثه عن المرأة قد عنى بها الحرية وأمل العودة.

يجسد الشاعر سميح محسن رمزية القميص، فيقول:[٤]

تلك التي راودت روحها طيف روحي

وقدت قميص السكون

الغواية

قدته من دبر

---

(١) عمران، نسرين: ما سبب الشعور بغصة الحلق قبل البكاء؟. مجلة سيدتي، جدة، ٢٠١٧، على الموقع https://www.sayidaty.net

(٢) شاهين، سعد الدين: ديوان وحيدا سوى من قميص الأغاني. ص ٢٥-٢٦

(٣) المعجم الوسيط: مادة رتق

(٤) محسن، سميح: ديوان سادن الريح.ص٥٠

ثم غابت

يصور الشاعر تسلل خيوط الغواية والضلال إلى حياته، تلك الغواية التي تخطط لمكيدة توقعه، فتقدّ مشاعر الطمأنينة والسكينة التي عاشها، لذلك قام الشاعر بتجسيد تلك المشاعر الساكنة، وجعلها مجسّدة بالقميص، مشيراً بذلك إلى قميص يوسف نبي الله الذي قُدّ بعد غواية زوج العزيز له، فالسكون الذي يحياه الفلسطيني خُطط من أجل التخلص منه، فلم يجد الشاعر إلّا إضفاء التجسيد عليه؛ حتى تكون الغواية فيه أكثر قوة وتعبيراً.

لا تزال عملية التجسيد بالقميص ماثلة عند الشاعر محسن، غير أن القصيدة هي من ترتدي ذلك القميص، فيقول: (١)

أطل على امرأة تستغيث من البرد،

تفتح صدر الكلام

تقد قميص القصيدة من عجزها

تفتح القلب كيف تشاء

يجسد الشاعر القصيدة بالمرأة التي ترتدي قميصاً، كي تتجلى فيه الحقيقة، فالقميص رمز البراءة والعفة، نراه يُقدّ من الخلف، رغبةً في أن تنتشر القصيدة التي تعبر عن حقوق شبعنا وآلامه، كما انتشرت قصة قميص يوسف الذي قدته زليخة، فتتجلى للناس الحقيقة الواضحة.

يذكر الشاعر محمد علوش السنين الصعاب التي مرّ بها الفلسطيني، فيلبس كلماته حلّة الاستعارة ليجسد ما يموج في داخله، فيقول: (٢)

عادوا يتذكرون بدايات الموسم

وينسجون حولهم أساطير

تقلقهم السنين العجاف

ولكنهم يدخرون لليل ضوء قناديلهم

---

(١) محسن، سميح: ديوان سادن الريح: ص٨٦

(٢) علوش، محمد: ديوان خطى الجبل. ص٨٦

يجسد الشاعر الأساطير بالثوب المنسوج، ومن دلالات النسج والنسيج الوهم والكذب، فنسْجُ الخيال: وهْم، مُخْتَلق من أساسه[١]، وهو عبارة عن تأليفات لا وجود لها، والأسطورة خُرافة، حديث ملفَّق لا أصل له[٢]، فيظهر لنا من خلال تجسيد الشاعر لتلك الأساطير التي لا أصل لها، بالنسج وهو وهم مختل. ومن اللافت أن المعنى المعجمي لمادة (نسج) يتقاطع مع دلالة الأساطير والخرافات، إذ إن العلاقة التجاورية بين اللفظين تحقق تماثلا وتكاملا دلاليا وفق المحور الأفقي في التحليل الأسلوبي. والشاعر يرمي إلى التأكيد على أن (إسرائيل) خرافة لا وجود لها، ولا أصل ولا هوية، فكان من الممكن أن يجسد الشاعر الأساطير بالرتق أو الخياطة، غير أن سمة الوهم التي تحويها عمليه النسج كانت أقرب وأبلغ، فأضفى التجسيد البلاغي الذي انتقاه الشاعر إلى إثبات حقيقة تاريخية.

٢. الاستعارة التشخيصية

هي الاستعارة التي تتمثل بتحول الطرف الحسي الجامد إلى طرف حسي حي، "وتكمن فنية التشخيص ونجاحه وحركته في بث الحياة الإنسانية، وإلحاق الأعضاء والصفات والأفكار بالجمادات أو الكائنات الحية غير العاقلة "[٣]، وهي مظهر فني جمالي يتمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة والظواهر الطبيعية[٤].

تعيش الشاعرة نيفين طينة في غمرة من الأحزان التي تسبح فيها داخل فضائها الوجداني، فتماثل حزنها بيعقوب عليه السلام، وتتمنى وجود نبي كيوسف، يلقي عليها قميصه، لترتد السعادة وبهجة الحياة إلى قلبها، فتقول[٥]:

ويوسُفُ إذ يُلقيْ عليَّ قميصَهُ

يعانقُني نورُ الحياةِ وأُرحَمُ

ترمي الشاعرة إلى أنسنة نور الحياة، وإضفاء أفعال البشر عليه، فتشبهه بالإنسان الذي يعانَق، فالنور ضوء ساطع يخفي في مكنونه البهجة والفرح، وهو رمز للفرج الكامن في شعاعه من بعد تلك

---

(١) لسان العرب: مادة خَرَفَ

(٢) المصدر السابق: مادة سَطَرَ

(٣) الخوالدة، محمد صوالحة. التصوير الاستعاري في شعر عباس الأحنف.ص٧٧٦

(٤) ينظر: زكري، أحلام: الصورة الحسية في شعر عيسى لحيلح. رسالة ماجستير، إشراف نوال آقطي.جامعة محمد بسكرة، الجزائر،٢٠١٦،ص٢١

(٥) طينة، نفين: ديوان فرحتي البكر.ط١، دار التوحيدي، المغرب.٢٠١٧، ص٤٧-٤٨

الظلمة، وتضفي عليه صفة العناق المختصة بالإنسان، الذي يتمثل بالملامسة والقرب الشديد، لتظهر رغبتها في عناق الفرح، كما عانق يعقوب قميص يوسف.

يوظف أحمد دحبور رائحة قميص يوسف، فيقول[١]:

لو أن رائحة تغرّد في قميصي

لاستجاب لطير قلبي ألف يعقوب من الكينا

يشخص الشاعر الرائحة المنبعثة من ذلك القميص، ليجعل منها طيراً يغرد، ويصدح صدى صوته في الأرجاء، فالشاعر بسبب مشاعره الجارفة التي سيطرت عليه لحظة وقوفه سويعات أمام منزله القديم الذي هُجّر منه قسراً، يتمنى أن يكون قميصه كقميص يوسف نبي الله، الذي يحمل بشرى الوصال مع الأهل والأحباب، فتخرج منه الرائحة التي شمها يعقوب، فيعرف مكان أشجار الكينا التي كانت تحيط بمنزله.

وقد شخص الشاعر الرائحة بالتغريد الخاص بالطيور؛ ليكسبها إلى جانب دلالتها الحسية المختصة بالشم، دلالة صوتية، فتكون أقوى تأثيراً، فلا تقتصر على حاسة الشم، بل ويغرد صوتها ويصدح حتى يكون هناك إجابة منها، فتأتي سرعة استجابة قلبه لندائه المطلوب.

يبشر سميح القاسم في قصيدته بالعودة القريبة إلى حضن الوطن، فيقول[٢]:

أحبائي أحبائي، إذا حنّت عليّ الريح

وقالت مرة: ماذا يريدُ سميح

يجري الشاعر تشخيصاً للريح في بنية استعارية تحمل صفة للإنسان، وهي الحنان، إذ يجعل من تلك الريح إنسانةً حنونة، وتجري حواراً مع الشاعر، والحنان صفة تعبّر عن الرقيّ الإنساني، وهي من أسمى ما يمكن للمرء أن يظهره للآخرين، واختار الشاعر كلمة الريح تحديداً، وليس الرياح، على الرغم من أن الأخيرة دائماً تأتي في سياق الخير والعطاء، بينما الريح تصاحب الشر والعذاب _كما ورد في السياق القرآني_ فقد يرى أحدهم أن الشاعر لو قرن الحنان بالرياح لكانت أبلغ من حيث صفاتها التي تتسم بها.

---

(١) دحبور، أحمد: الديوان.ج٢،ص٢٦٤

(٢) القاسم، سميح: الديوان. ص٥٩٦

اختار الشاعر لفظة الريح معبرًا عن ريح يوسف التي انبعثت من قميصه إلى سيدنا يعقوب، فحملت البشرى التي تنم عن العودة التي يترقبها الشاعر، وفي السياق القرآني وردت الريح في سياق العذاب والشر باستثناء موضعين حددت فيها صفة تلك الريح، وذلك في قوله تعالى:﴿ **جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا**﴾[1]، و في سياق قصة يوسف ﴿**وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ**﴾[2].

تشكل بئر يوسف رمزًا للمنفى الذي يغترب فيه بطل قصيدة عواد في شعر أحمد دحبور، فيقول[3]:

قد ابيضت عيون الأهل،

والبئر التي تخفيك لم ترسل قميصاً منك أو كوفية،

فاصعد إلينا مرةً في الشهر

يشخص الشاعر بئر يوسف، فيجعل منها إنساناً، ويقصد الشاعر بالبئر المنفى الذي يعيش فيه عواد، وقد استخدم الفعل يرسل؛ حتى تتلاءم مع سياق القصيدة التي تمثل رسالة من والد عواد إلى ابنه الذي يعيش في الغربة.

وقد جعل الشاعر من ذلك المنفى الذي يحتضن ابنه بئراً، والبئر نقصدها ونستخرج منها الماء، فتعد رمزاً للخير والعطاء، دون أن تبخل علينا، فاختار الشاعر فعل الإرسال لها، متمنياً أن يكون هناك رد يحمل بمدلوله الخير من قبل ولده المغترب، فيروي ظمأ اشتياقهم له.

تكمن دلالة لونية في عبارة (ابيضت عيون الأهل)، ولون البياض في العين ضعف في البصر والرؤية، "وابيضاض عيني يعقوب على فقد ولده كان دون عمى"[4]، فكأنه فقدٌ مؤقتٌ للبصر، ومن هذه الدلالة نجد ابيضاض عين الأهل للقاء ولدهم عواد مؤقتاً، وكما عاد بصر يعقوب ومن ثم ولده إليه، فإن عوّاد سيعود من غربته مهما طال الفراق.

---

(١) يونس: ٢٢

(٢) يوسف: ٩٤

(٣) دحبور، أحمد: الديوان. ص٤٦٣

(٤) المالكي، برهان المصري: عمدة المريد لجوهرة التوحيد المسمى (الشرح الكبير).ت.بشير برمان.دار الكتب العلمية، مصر، ج٢،ص٩٨١

يتحدث الشاعر محمود درويش عن غربته الطويلة، فيقول[1]:

والجفافُ يودِّعُ في سَبْعَ السنين العجاف

فلا من هُدْنَةٍ في المدينة

لا بُدَّ من ماعز يَقْضِمُ العُشْبَ

كي تصير السماءُ حقيقيةً

يشخص الشاعر سنين الجفاف التي عاشها في غربته القاسية، ويجعل منها إنساناً مودعاً، فالشاعر تسيطر عليه مشاعر الأمل في نهاية سنين العجاف والغربة الأليمة التي عاشها، وقد ارتأى الشاعر اختيار كلمة الوداع لأنها تأتي بعد طول عِشرة، فهي تختلف عن الفراق الذي يأتي فجأة، كما أن الوداع لا أمل من الرجوع بعده بعكس اللقاء، لذلك عندما نحب شخصاً لا نقول له وداعاً بل إلى اللقاء، فالشاعر لا يريد الرجوع لسنين العجاف تلك، ولا يتوق للقاء الآلام والأحزان التي عاشها في منفاه، بل يطلب الوداع منها بلا رجعة أو عودة. وكذلك السبع السنين العجاف محددة زمنياً وليست عجافاً دائماً، فالشاعر ارتأى في اختيار كلماته تحديد كل ما يسبب الألم، ويقطع دابره، دون أن يسمح لتلك المعاناة بالاستمرار.

ينقلنا الشاعر بدلالة صوتية يختزلها الفعل (يقضم)، فنقول قضم الشيء أي كَسَّرَهُ بَيْنَ أَسْنَانِهِ وَأَكَلَهُ[2]، فهو يبين أن حياة الخير والعطاء المتمثلة بالعشب التي قد يجدها المغترب في المنفى على الرغم من خضرتها إلا أنها يابسة لا حياة فيها، ولا شيء يضاهي الوطن الأم، وبحروفه المفخمة نجد الشاعر يحتاج إلى من يقوم بقضم تلك الأعشاب حتى تتبدى الحقيقة، وتنكشف بوضوح غمامة الغربة ومغرياتها.

يبقى إصرار الشاعر فاروق مواسي تُجاه رمزية السنين العجاف صارماً في التخلص منها، فيقول[3]:

وأدْتُ ساعاتي وأيامي العجاف

في غمرة فلا تطال

في غمرة تهدهد الأحزان

---

(١) درويش، محمود: ديوان سرير الغريبة. ص٨٥

(٢) لسان العرب: مادة قضم

(٣) مواسي، فاروق: الأعمال الشعرية. مج ١،ص٩

يشخص الشاعر أيامه العجاف وساعاته التي قضاها في غربته، فيجعلها إنسانة موءودة، إذ إن تلك الساعات والأيام أرقته كثيراً، وطولها أضناه، فقرر وأدها والتخلص منها، ونقول وأدها، أي دفنها في التّراب حيَّة [١]، فالشاعر يريد أن يتخلص من عجاف سنيّه التي لا تزال قائمة ولما تنته بعد، ويسعى إلى الخلاص منها.

اختار الشاعر مقبرة لأيامه العجاف، فلم يجد لها سوى الغمرة مكاناً، وهي الماء الكثير، أو المكان المكتظ شديد الازدحام[٢]، فهو يريد منها أن توأد في مكان عميق لا يتمكن أحد من إخراجها.

وتكمن في المقطع دلالة صوتية في وجود تنافر بين الأصوات الصاخبة والأصوات الهادئة، فانطلاقاً من الوأد في معاجم اللغة، وهو الصَّوتُ العالي الشديد، وصوتُ الوَطْءِ على الأَرض يُسمع من بعيد كالدويّ[٣]، قد جعله الشاعر مصاحباً لأيام العجاف القاسية والشديدة، وعندما أراد الشاعر التخلص منها، انتقل إلى صوت الهدهدة، صوت هديل الحمام، وهو أغنية رقيقة تُغري أو تحث الطِّفل على النَّوم[٤]، وكأن الشاعر في تخلصه من سنيّه القاسية بهذه الطريقة، يخفف ويهدئ من أحزانه التي لقيها في منفاه.

تكمن هنا وظيفة إيقاع الأصوات الطبيعية فالصوت الصاخب يصاحب سنين عجاف، فهي سنين قاسية وصعبة بالتالي ترتبط بالصوت الصاخب، أما الصوت الهادئ المتمثل بالهدهدة فقد ارتبط بانتهاء الجفاف، لتعم الراحة والسكينة تلك النفس بعد عنائها، فيكون الإيقاع الصوتي قد أدى وظيفته في ارتباطه بدلالة الكلمات وأصواتها في النص الشعري.

يعبر الشاعر مسلم محاميد عن رؤيا يوسف المتمثلة بالسجود له، فيقول[٥]:

ويوسفُ: إني رأيتُ

الكواكبَ تسجُدُ

والشّمسَ تسجُدُ

---

(١) لسان العرب: مادة وَأَدَ

(٢) المصدر السابق: مادة غَمَرَ

(٣) المصدر السابق: مادة وَأَدَ

(٤) المصدر السابق: مادة هَدهَدَ

(٥) محاميد، مسلم: ديوان نشيد وآخر.ص١٠٨

إني رأيتُ

سجودَ القمَرْ

يعمد الشاعر إلى خلق بنية استعارية متعددة، تتمثل في تتابع الاستعارات التي شخصها كلها بالسجود فجعلها إنساناً يسجد، فالكواكب تسجد، والشمس تسجد، والقمر يسجد، يصر الشاعر على فعل السجود، مع أنه كان بإمكانه أن يجمعها كما في الآية القرآنية ﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ** ﴾[1]، غير أن هدف الشاعر يتمثل في رغبته إغناء خيال المتلقي مشكلاً عنقوداً دلالياً يهدف إلى السجود والخضوع وأمر الطاعة الذي لا يجلب إلّا العز والرفعة، فيشرق من خلال هذا التشخيص الأمل في العودة، لأن نهاية هذه الرؤيا عند يوسف نبي الله تومئ بذلك.

تتعدد البنى الاستعارية عند الشاعر لطفي زغلول في سياق الأمل، فيقول[2]:

لعل الأمان الذي غاب عنا..

زماناً طويلاً... إلينا يعود

وتورق فينا الرؤى والوعود

لعل الصحاري التي سكنتنا...

عجاف السنين

تمر عليها سحابة حب

يشخص مجموعة من الجمادات بأفعال حية، فيضفي عليها الحيوية ليكون تعبيرها أكثر بلاغة في ذهن المتلقي، وهذه الصور" لا تشكل وحدة خطاب قائمة بذاتها، وإنما تتداخل مع غيرها من الصور بشكل يجعل عملية الإرسال أوسع وأشمل، فتضع المتلقي أمام احتمالات مختلفة من التأمل، والتفكير"[3]،

---

(١) يوسف: ٤

(٢) زغلول، لطفي: ديوان اللية شعر وغذاً شعر.ط١، دار ناشري الالكتروني.٢٠١٤، ص٨٩-٩٠

(٣) عودة، خليل: مستويات الخطاب البلاغي في النص الشعري. مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، مج١٣، العدد٢، ١٩٩٩، ص٤٣٤

فنراه يشخص الأمان بالغياب والعودة المتعلقة بالإنسان، ويجعل من الرؤى والوعود أشجاراً مورقة، وكذلك الصحاري أضحت شخصاً يسكن فينا.

يأمل الشاعر أن يعود الأمان الذي افتقده وشعبه منذ زمن طويل، فقد جعله إنساناً غائباً، وقد طال الشوق إلى لقائه، فمن ثنائية الغياب والعودة، يتمنى الشاعر من الأمان الذي يعني الراحة والطُمأنينة، وتلك الحالة الهادئة الناتجة من عدم وجود خطر(١)، أن يتحقق بالعودة الحتمية، ويجعل الشاعر من الرؤى والوعود التي سمعها شعبنا الفلسطيني كثيراً، وعقد آماله عليها، أشجاراً حيّة، تورق بخضرتها اليانعة، ليستمد منها الخير والعطاء والخضرة المبشرة بكل خير، وكذلك الحال للصحاري القاسية التي تنم عن القسوة والوجع والضياع والتيه، فقد جعلها الشاعر إنساناً يسكن في ذواتنا، فيتمنى أن تمر سحابة الخير والعطاء عليها، فتجعل سرابها ماءً عذباً، فخصها بالسكن، ليستمد منها السكينة والطمأنينة والراحة.

تتجمع الصور الاستعارية المتعددة فضاءً وجدانياً، فالطمأنينة مستمدة من الأمان والعودة، والخير كامن في الوعود المورقة، والسكينة يشكلها الشاعر لزرع الأمل في نفس الفلسطيني.

الاستعارة التصريحية

وهي الاستعارة التي يصرّح فيها بالمشبه به دون المشبه، "فتنقلَه عن مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابتٍ معلومٍ فتجريه عليه، وتجعلَه متناولاً له تناولَ الصفةِ مثلاً للموصوف"(٢).

عبرت الشاعرة فدوى طوقان عن سنوات حرب حزيران بقولها(٣):

السنين العجاف طالت، تآكلت

ووجهي ما عاد وجهي، وصوتي

في السنين العجاف ما عاد صوتي

كان لا بُدّ أن تقوم القيامة

قبل أن يسترد وجهي الحزيراني

شبهت الشاعرة سنوات الحرب التي عاشت أحداثها، واكتوت بلهيبها، بالسنين العجاف في قصة يوسف، إذ يوجد مقاربة بين المشبه والمشبه به، فسنين القحط والعجاف التي ألمّت بمصر قد أرهقت

---

(١) لسان العرب: مادة أَمنَ

(٢) الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة.ص١٩

(٣) طوقان، فدوى: الأعمال الكاملة.ص٤٩٢

أهلها زمناً طويلاً، وقد غيرت مجرى التاريخ، وتبدلت فيها الأحوال، من انقطاع للغيث، وانحسار للمياه، وجفاف النيل والمزروعات، وغيرها من الحوادث السيئة التي كان أثرها واضحاً وبادياً، وكذلك سنين الحرب التي عاشتها الشاعرة كانت عجافاً، فحرب حزيران أرهقتها وشعبها زمناً طويلاً، وعلى إثرها تبدلت أحوال الشاعرة وتغيرت، وسيطرت مشاعر الكآبة، فالمحتل قد أرهق الشعب الفلسطيني بأفعاله الهمجية. فالقتل والتشريد والنزوح وتفكك الأسرة وغيرها من تلك الأفعال التي بدلت أحوال الفلسطيني وأدمت قلبه، وقلبت حياته رأساً على عقب.

ونلاحظ الدلالة الصوتية والبصرية التي شكلتها الشاعرة، فقد عبرت عن وجهها الذي تبدل وتغير (وجهي ما عاد وجهي)، والوجه هو المرآة للإنسان، فإذا ما تشوه فإن أثره يمتد إلى النفس، إذ يفقد الثقة في قدرته على المواجهة، وكذلك فعل المحتل مع فدوى، حتى صوتها قد تغير (وصوتي في السنين العجاف ما عاد صوتي)، وتعبر طوقان عن لسانها الصادح بالشعر الثائر، وتبين تأثره بسنين الحرب الأليمة، فلم يعد كما كان سابقاً، فغدت عاجزة عن التعبير لهول ما أحدثته تلك السنين.

يجري الشاعر مريد البرغوثي في قصيدته حواراً مع ناجي العلي، الذي قتل غدراً، فيقول[1]:

بريءٌ هو الذئب من غيلتي يا مريدُ

فذئب البراري أجَلُّ من الجُرم

...

وقارن إذا شئتَ بين الذئاب

وبين الذين أتوني من الخلفِ

يشبه الشاعر الأعداء الذين قاموا بقتل ناجي العلي غدراً بالذئاب، إذ يجري مفارقة بينهم وبين الذئاب الحقيقة، فيشير إلى أن ذئب البراري أعظم من أن يتصف ويتشبه بهم، فقد عرف عنه أنه لا يغدر عدوه بل يأتيه من أمامه، على نقيض أولئك الأعداء الذين قتلوا ناجي العلي غدراً، ونلاحظ تقديم الشاعر صفة البراءة لتأكيد الاختلاف الشاسع بين الأعداء، والذئب، بتلك الاستعارة أظهر الشاعر سعيه لكشف الحقائق أمام أصحاب الادعاءات الكاذبة، وللإشارة إلى القتلة بطريقة خفيّة لا تعرضه للمساءلة.

(١) البرغوثي، مريد: الأعمال الشعرية الكاملة. ص٣١٠-٣١١

يتحدث الشاعر لطفي زغلول عن وطنه الضائع، فيقول[١]:

قد باعوا الشيطانَ أخاهم

عشرون أخاً ألقوه هناك...

يشير الشاعر إلى الخونة (الأخوة العرب) الذين قاموا بإلقاء يوسف الفلسطيني في جب المنافي، وبيع وطنه فلسطين للمحتل، ويجري بنية استعارية تتمثل في تشبيه المحتل _الذي اشترى يوسف بثمن بخس من إخوته العرب_ بالشيطان، فهما طرفان تجمعهما الخيانة، فأضحت الاستعارة أبلغ وأقوى عندما وصفت المحتل بالشيطان المنبوذ، والمطرود من رحمة الله.

عبر الشاعر نمر سعدي في قصيدته التي خصصها لرثاء محمود درويش عن المنفى، فيقول[٢]:

ويشهق ميّتاً في جب يوسف...

حب من ذهبوا بلا معنى إلى المدن الخفيّة

يشبه الشاعر في بنيته الاستعارية المنفى، بجب يوسف عليه السلام، إذ يوجد خيوط مقاربة في تلك الاستعارة تتمثل في الابتعاد عن حضن الأحباب والوطن، وكذلك تشابه في أحوال المكان، فالجب بظلمته وعزلته، لا يختلف عن منفى الغربة التي يعيش فيها محمود درويش، وكما سقط يوسف في جبه ظلماً، كذلك درويش قد وقع في منفاه ظلماً بسبب الاحتلال الصارم.

وتبرز الدلالة الصوتية لكلمة يشهق، وما تختزله من مشاعر موجعة، فالشهق تَرَدَّدَ البُكاءُ في الصَدْرِ[٣]، وذلك أشد إيلاماً من البكاء ذاته الذي فيه منفسٌ وراحة للجسم أكثر من حبسه وكتمه في الداخل، وشهقة الموت أقسى إذ يصاحبها خروج الروح، وتقارب هذه الدلالة خروج درويش من وطنه رغماً عنه وكأنه سكرات الموت.

---

(١) زغلول، لطفي: ديوان مدار النار والنوار.ص٥٠

(٢) سعدي، نمر: ديوان لن أعود بعدك إلا على جسد الرئاحة.ص١١٢-١١٣

(٣) لسان العرب: مادة شَهَقَ

المبحث الثالث: ظواهر في الموسيقى الداخلية

لم يقتصر اهتمام الشعراء في قصائدهم على الموسيقى الخارجية المتعلقة بالوزن والقافية فحسب، وإنما غاصوا في دلالات الحروف والمفردات، ورأوا ما يمكن أن تحمله من دلالات تكمن في أصوات حروفها، إضافةً إلى الجرس الموسيقي الذي يتشكل من خلال النسيج الصوتي في حناياها.

كان لتلك المفردات التي اختارها الشاعر وزينها بحليّ البلاغة دور في إضفاء نغمٍ موسيقيٍ داخلي، يبث إيقاعات ترتبط بدلالة معينة، فقوّى من خلالها الفكرة التي يعبر عنها، "ففي طريقة ترتيبها بعضها مع بعض نغمة تتنوع بتنوع هذه الطريقة، ومن اللغة أحياناً تنطلق موسيقى صاخبة، ومنها تنبعث أحياناً أخرى أنغام لطيفة رائعة، كلها تكمل الصورة، وتعطي المعنى حقه من حسن التعبير"(١)، لذلك اعتنوا بالخصائص الصوتية والبلاغية لتلك المفردات، التي تعطي جرساً موسيقياً ودلالياً للقصيدة.

ظهرت أهمية الإيقاع الداخلي في التأثير على نغم القصيدة ودلالتها، فحرص الشعراء على الاهتمام بهذا النوع، إضافة إلى النوع الخارجي، غير أن الأخير يكون بارزاً أمام المتلقي من خلال الوزن الشعري الذي تقام عليه القصيدة، وتلك القافية الرنانة وما تحدثه من نغم بادٍ فيها، أما الإيقاع الداخلي، فقد كان "أكثر خفاءً وانبثاثاً في نسيج البيت على جميع مستويات الأبنية فيه لغوياً ودلالياً، تركيباً وتصويراً، عاطفةً وتفكيرا، ومنه يؤدي دوراً هاماً في تعميق وخلق نغمات وإيقاعات أخرى تتوازن مع الإيقاع الخارجي"(٢)، فتشكل قصيدةً منسوجةً تشد القارئ وتجذبه بإيقاعها المتنوع.

وجد الشعراء الفلسطينيون في أشعارهم ما يمكنهم من التعبير عن تلك المشاعر الجياشة المختزنة في نفوسهم، جرّاء تلك الأحداث التي يعيشونها، ففي ظروف الاحتلال الغاشم كان لا بد من الخروج عن الصمت؛ لذلك ارتأى الشعراء اختيار الألفاظ التي تحمل الدلالة الصوتية التي تستطيع أن تعبر عن عواطف الشاعر بطريقة تنم عن صدق أحاسيسه.

كان أولئك الشعراء الذين وظفوا قصة يوسف عليه السلام في تصوير معاناة شعبنا الفلسطيني، وربط ألوان المعاناة التي لحقت بنبي الله بما يتعرض له شعبنا من فصول متشابهة من الظلم والذل والهوان، فعمدوا إلى الاهتمام بنغم أشعارهم والموسيقى الداخلية حتى تعبر بإيقاعاتها عن صدق مشاعرهم. ومن الظواهر المتعلقة بالإيقاع الداخلي ما يلي:

---

(١) اللجمي، نبيلة الرزاز، أصول قديمة في الشعر الحديث. منشورات وزارة الثقافة، سوريا،١٩٥٥، ص١٢٨

(٢) ليلي، رحماني: البنية الإيقاعية في اللهب المقدس لمفدي زكريا. رسالة دكتوراه، إشراف: عباس محمد. جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان، الجزائر، ٢٠١٥، ص١٧٧-١٧٨

١- إيقاع الأصوات المفردة

تعد دراسة الجانب الصوتي من أهم الدراسات وأولاها، إذ يشكل اللبنة الأساسية التي يتكون منها تركيب اللغة، لذلك عني الشعراء بانتقاء كلماتهم بما يخدم المشاعر والموقف الذي يعبرون عنه، " فكل عمل أدبي فني هو قبل كل شيء سلسلة من الأصوات ينبعث عنها معنى معين"(١).

وتعمل اللفظة المفردة بالإضافة إلى معناها المعجمي الذي يوحي بدلالة واضحة إلى معنى إيحائي يكمن من خلال صفات حروفها، إذ إنّ " لبعض الأصوات القدرة على التكييف والتوافق مع ظلال المشاعر في أدق حالاتها، وترتبط الظلال المختلفة للأصوات باتجاه الشعور، وهنا تثري اللغة ثراءً لا حدود له"(٢)، فنحن نلاحظ مفردات كثيرة يعقد الشاعر بين أصواتها والموضوع الذي يعبر عنه ترابطاً، ليشكل نسيجاً يوصل من خلاله المعنى بطريقة أبلغ وأشد عمقاً في ذهن الشاعر.

تعددت الآراء حول أثر الصوت في المعنى والدلالة، " فالدلالة الصوتية قضية عني بها اللغويون والفلاسفة والأصوليون والمناطقة والبلاغيون، فعالجوها بالدرس والتحليل، وكان بعضهم يرى أن العلاقة بين الأصوات ومدلولاتها طبيعية ذاتية، بينما يذهب بعضهم الآخر إلى أن هذه العلاقة اعتباطية ذاتية لا تخضع لمنطق أو نظام مطّرد"(٣)، وتميل الباحثة إلى أن العلاقة بين الصوت ومدلوله وطيدة، ولكل حرف صفة وخصائص دون غيرها لتكون أبلغ في التعبير والتأثير.

تنوعت دلالات الإيقاع الصوتية للمفردات التي استخدمها الشعراء بما يتناسب مع المشاعر التي يعبرون عنها، فقد حملت حروفها طاقة تعبيرية قادرة على إثراء المعنى ومضاعفة يقظة المتلقي لمعان ودلالات ترتبط بالقيمة الإيقاعية، "فالحروف توظف من خلال الطاقة الإيحائية لأجراسها، كحوامل للمعنى وكأدوات للتعبير عنه ذات قدرة على نقلها بإيقاعاتها وأبعادها الصوتية"(٤)، لأنها تتسم بسمات صوتية متنوعة تثري فكرة الشاعر، ومن تلك الإيقاعات المتنوعة التي استخدمها الشعراء:

---

(١) ويلك، رينيه، وآخر: نظرية الأدب.ت محيي الدين صبحي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر .بيروت،١٩٨٧،ص٢٠٥

(٢) ابن جني، عثمان: الخصائص.ج٢، ص٢٠٥

(٣) فام، بتول مشكين: تطور الدلالة الصوتية في اللغة العربية. مجلة كلية التربية للبنات(العلوم الإنسانية)، طهران، العدد١٧، ٢٠١٥، ص٢٦١

(٤) اللجمي، نبيلة الرزاز. أصول قديمة في الشعر الحديث. ص١٣٥

أ- **إيقاع الأصوات الصفيرية**

يُفضي قول الشاعر سعد الدين شاهين تنوعاً في النسيج الصوتي لمفرداته[١] :

في المنفى أحلم

ما شاء إليّ العيش

قالت أمي: أضغاث

ومضت تقرأ آيات وتتمتم

يا الله...ما معنى أن يحمل وطن عربي

في نعش؟

ما معنى أن تصدق كل فناجين الساسة

وتضيع الدار مع الحوش؟؟

وأبي حين استيقظ عضّ على شفة الصحو وقال:

لا تقصص رؤياك على نار

تسمى في كومة قش...!

يشكل تكرار بعض الأصوات ظاهرة إيقاعية لافتة، كالـ (ش، ص)، وقد تعمد ذلك لما تحمله تلك الأصوات من سمات دلالية وإيقاعية، فالشين في قوله (شاء، العيش، الحوش، نعش، شفة، قش) تحمل في مكنونها صفة الرخاوة[٢]، وهي التي تتناسب مع حالة الضعف التي تعتريه، هو يحلم بالعيش غير أن هناك من يحاول كتم أحلامه وطمسها، ويسنده بذلك حرفا الصاد والضاد اللذان يحملان من صفة الرخاوة ما يؤيد ذلك.

---

(١) شاهين، سعد الدين: ديوان وحيدا سوى من قميص الأغاني. ص٨٩-٩٠

(٢) الرخاوة: جريان الصوت مع الحرف لضعف الاعتماد على المخرج والحروف الرخوة ثلاثة عشر حرفاً. **ينظر في: زرقة، أحمد: أسرار الحروف. ط١،دار الحصار للنشر،دمشق،١٩٩٣،ص٩١**

كما يحمل صوت الشين صفة الهمس[١]، وهي تتناسب مع حالة الشاعر، فهو قد رأى رؤيا، يحلم فيها بالعيش رغم قساوة المنفى، غير أن إسكاته وردعه عن ذلك جاء سريعاً من قبل الأم التي اكتفت بكلمة أضغاث لقتل حلمه، والأب الذي عض على شفتيه ونهاه بعدم قص رؤياه، عندما قال لا تقصص، ليستمد أيضاً من حرف الصاد صفة الهمس التي يحملها، فتكون أقوى ردعاً ودلالةً مع أسلوب النهي، فمثل ذلك الموقف يتطلب همساً من الشاعر.

كما أن صفة الهمس جاءت مناسبة مع أجواء الهدوء والسكون المسيطر على جو القصيدة، وخاصة أن السياق الدلالي للمقطع حوار ليلي بين أفراد الأسرة، وقد كانت تلك السمة مسيطرة على قصة يوسف النبي، إذ تطلب منه في قصّ رؤياه لأبيه الهمس بها ليلاً؛ حتى لا يسمع أخوته بها.

يعبر الشاعر عن إصراره وإرادته، فتلك المعاناة التي عاشها ليس أمراً هيّناً، فيقول[٢] :

أشد على قميصي أزره

كي لا يقد من الغواية مرة أخرى

وأرتقه بخيط الشك في امرأة أفتش عن مزاياها

من الزمن الجديد

هو ليس ذات قميصنا المقدود من دبر

على شك الغواية

ليس من جاؤوا على أردانه بدم

لتنطلي الخيانة في الشقوق

ولطخوه ليبرئوا الجب الذي حفروا على عطش

وما زالوا على عطش يسبون القوافل والدلاء

وليس يستر عورتي ما حاكه الترزي

---

(١) الهمس: هو جريان النفس عند النطق بالحرف لضـــعف الاعتماد على المخرج ويحدث إذا انفرج ما بين الوترين الصوتيين فالهواء المار من الرئتين لا يلاقي أي اعتراض أو عائق في طريقه فيبقى الوترين الصوتيين بلا ذبذبه ويسمى الصوت الحاصل بالصوت المهموس والاصوات المهموسة تسعة. **ينظر في: زرقة، أحمد: أسرار الحروف.ص٩٠**

(٢) شاهين، سعد الدين: ديوان وحيدا سوى من قميص الأغاني. ص ٢٥-٢٦

في زمن الخلافة من جديد

حين فصل كل قمصاني بشكل ملامح الناتو

وأعلن ثورة الفقراء.

يعلو الإيقاع في القصيدة بانتشار الأصوات الصفيرية، الزاي والسين والصاد، (قميصي، أزره، الزمن، ليس، قميصنا، زالوا، ترزي، يستر، قمصاناً)،إذ "إن أصوت الصفير تنسجم مع الشعور بالتوتر والترقب، ويكشف عن شحنات نفسية ذات وتيرة متصاعدة، فالبناء الصوتي الإيقاعي ينبع من البناء النفسي، وينصهران معا فيغدو الفصل بينهما أمراً عبثياً ومخالفاً لأصول تلقي التجربة الشعرية"[١]،بتلك المشاعر يرفض الشاعر معبراً عن قلقه من تلك الخيانة، ويعطيها من خلال هذه الأصوات مدلولاً بالقوة والرفض، وعدم السماح لقضية الخيانة بالتكرار مرة أخرى.

يوظف الشاعر دلالة حرف الشين الصفيري الذي كثر في شعره المعبر عن قضية الفلسطيني ومعاناته، (أشد، يفتش، شك، عطش، شقوق، شكل)، فشاعرنا يفتش عن نهاية لتلك المعاناة المريرة، ليصل إلى حلً منصف وعادل لقضيته، فيكون التوتر سيد الموقف، فكثرة الشدّ تحدث قلقاً واضطراباً، وكذلك ما تحمله لفظة الشك، إضافةً إلى التفتيش وما يخلق من توتر في النفس الإنسانية، ولفظة العطش التي يفتقر فيها الإنسان إلى ماء الحياة، فتؤدي إلى اضطرابه، وكلها مشاعر تخلق شحنات متوترة.

وتعلو النبرة الإيقاعية للصوت الصفيري عند معين بسيسو، فيقول[٢] :

إيه يا قافلة السبي

لقد طال السفر

سقط الظل على الظل

وضيعت الأثر

...

لم يزل يوسف في البئر ومن

---

(١) عتيق، عمر: تقنيات أسلوبية في قصيدة(بيان الطفل الفلسطيني الثائر) للشاعر جمال حبش. مجلة العاصمة، جامعة ترونتبرم، كيرالا، الهند، المجلد الرابع، ١٨ / ١٢ / ٢٠١٢ ، ص٣٨

(٢) بسيسو، معين: الأعمال الكاملة.ط٣،دار العودة، بيروت، ١٩٨٧،ص٢٣٧

آه قد ألقى له الحبل هلك

مد ألوانك يا قوس قزح

مد ألوانك فالحبل انقطع

أشبع الشاعر ألفاظه بدمج إيقاعاتها بصوت السين الصفيري **(السبي، السفر، يسقط، يوسف، قوس)**، ليستمد منه ملمح القوة في إحداث جرس موسيقي، يتضاعف بصفة الهمس وما تحدثه من روع في النفوس، فالشاعر في سقوط يوسف الفلسطيني في بئر منفاه، انتقى أصواتاً مهموساً في مقطعه الأول تعبر عن المشاعر الساكنة في نفس الشاعر بعد ضياع ذلك الفلسطيني وسقوطه، وتنسجم مع تردد الصوت الناجم عن صدى الأصوات في البئر، فالسبي يحمل لوناً من الذل، والسقوط فيه التنازل والهوان، والقوس يأخذ من انحنائه المشقة، والسفر وما فيه من تعب وإذلال، وكذلك يوسف النبي، وتفاصيل قصته المليئة بصنوف المعاناة، أضفت عليه ملمحاً إيقاعياً.

تتجلى صفة الإيقاع الصفيري لحرف السين عند الشاعر يوسف الخطيب في قوله[1]:

سيأتي زمان يفسر للناس رؤياي

ظلا...وخمرا..

وسبعين نهراً على ربعك الخال

يجرين مد الصحاري، ووسع الخيال

وتطلع من راحتي مروج السنابل

تفسير سبع عجاف...وسبع عجاف!!..

يحدث حرف السين الصفيري نغماً إيقاعياً في القصيدة، فقد ظهر بشكل بارز في حنايا القصيدة **(سيأتي، يفسر، سبعين، وسع، تفسير، سبع)**، وبدلالة الصوت الصفيري يتحدث الشاعر بنبرة عالية مبنية على أمل الخلاص من سنين العجاف والاحتلال الغاشم على فلسطين، وقد وُجِد نغمٌ إيقاعيٌ في القصيدة يتمثل في مجاورة السين للزاي (سيأتي زمان) فهما من الأصوات الصفيرية.

وجاء سياق القصيدة متناسباً مع أصوات الطبيعة، فقوله: (وسبعين نهراً)، تعبر عن صوت جريان الماء في النهر، وما يمتاز به من هدوء في انسيابه ينعكس على نفسية الشاعر التي تعيش على

(١) الخطيب، يوسف: ديوان امنع الخمرة عني.ج٣،ص١٦٠

أمل انتهاء الاحتلال، وكذلك صوت صفير الرياح في الصحراء، وما يحدثه من تهيج واضطراب من خلال صوتي الصاد والسين (يجرين مد الصحاري، ووسع الخيال)، وكذلك الحركة الهادئة للسنابل في المروج (وتطلع من راحتي مروج السنابل)، فأَضفت الطبيعة عليها دلالةً مع الجرس الموسيقي الذي زاد من قوة تأثير القصيدة في نفوس المتلقين.

يعبر رفعت زيتون عن الأسرى القابعين خلف تلك القضبان الحديدية، فيقول(١) :

السجن كفر كما الأغلال كفار أعمى البصيرة خير الناس يختار

...

مذ عهد يوسف والسجان منهمك في قهر يوسف والأحزان سعّار

لـــــكن ربك مـــن أسرار حكمته إن شاء تنم خلال الصخر أزهار

يتخلل صوت السين ألفاظ الشاعر(سجن، ناس، يوسف، سجان، سعار، أسرار)، وبما أن صوت السين المهموس لا يصاحبه اهتزاز في الوترين، إذ يتسم بالضعف عند نطقه، ويعكس دلالات نفسية، فإن الشاعر تسيطر عليه مشاعر الضعف أمام قسوة ذلك المحتل، ونلمح الخفوت في صوته، فصوت السين الصفيري يوحي بالتوتر والقلق البادي في نفس الشاعر.

ب-إيقاع التكرار

ويغلب حرف الراء _ في قصيدة رفعت زيتون السابقة_ الذي جاء قافية لها(كفر، كفار، يختار، قهر، سعار، ربك، أسرار، صخر، أزهار) ليستوحي الشاعر من دلالة صوت الراء ما يعبر عن مشاعره، فمن صفة الجهر، يجهر الشاعر بحقيقة تعذيب الأسرى في تلك السجون، ومن صفة التكرار، يبين الشاعر أن عذاب الأسير خلف القضبان لا ينقطع، وهو مستمر من زمن يوسف نبي الله إلى يومنا هذا، وقلّما نجد فتورا في جذوة صمود الفلسطيني، "وصوت الراء تكراري منسجم في سمته هذه مع حالات التردد أو الاستعداد على الفريسة أو الخصم"[٢]، وكأن الشاعر يسعى إلى شحذ الهمم _مستفيداً من مزية صوت الراء تلك_ حتى يقوي عزيمة الفلسطيني لينقض على عدوه ويحقق النصر.

---

(١) زيتون، رفعت يحيى: حروف مقدسية على السور الجريح. ص٥٧

(٢) بوقرة، نعمان: لســـانيات الخطاب (مباحث في التأســـيس والإجراء).ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢، ص٣٤٣

ب- إيقاع الأصوات الاحتكاكية:

يبرز صوت الهاء الاحتكاكي في قول الشاعر معين بسيسو[١] :

إيه يا قافلة السبي

لقد طال السفر

سقط الظل على الظل

وضيعت الأثر

...

لم يزل يوسف في البئر ومن

آه قد ألقى له الحبل هلك

استخدم الشاعر ألفاظاً تنم عن التأوه والحسرة، كبداية المقطع الذي بدأه بـ (إيه)، وفي المنتصف ب(آه)، وهي تحمل في مكنونها الحزن على ما حل بيوسف الفلسطيني، والهاء يخرج من أقصى الحلق، وكأن الشاعر يحتاج إليه ليخرج ما في أعماقه من تأوهات وحسرات على شعبه المنكوب، فوجد فيه متنفساً لمشاعره المكبوتة.

صوت الهاء من الأصوات الانفعالية، التي تعبّر عن التوجع والدهشة أو الألم أو ما إليها من التعبيرات الوجدانية، نحو: آه، وي، أواه، ها، واه، أوه[٢]. ويرى إبراهيم أنيس أن المرء حين يدهش أو يفزع، يميل عادة إلى فغر فمه كما لو كان يتنفس بعمق، فإذا زفر هذا الهواء الذي تنفسه حين فغر فاه وجدنا الفم يميل إلى الاستدارة قليلاً، ومثل هذا الوضع للشفتين يولد لنا صوت اللين المسمى بالضمة، وهي حين تطول قد يتصل بها صوت يشبه الهاء. ويترتب على هذا أن تنشأ تأوهات مثل اوه، وهو الصوت الذي نسمعه عادة من جمهور المتفرجين حين يفاجئون بمنظر بالغ الدهشة، أما في حالة الألم

---

(١) بسيسو، معين: الأعمال الكاملة. ص٢٣٧

(٢) ينظر: ظاظا، حسن: اللسان والإنسان. دار القلم، بيروت ط٢، ١٩٩٠م. ص٣٣، وينظر: عتيق، عمر: الأسلوبية الصوتية في الفواصل القرآنية. مجلة المنارة للبحوث والدراسات. جامعة آل البيت، الأردن، م١٦، ع ٣، ٢٠١٢، ص١٨٠-١٨١

فتتقلص أعضاء الجسم كلها بما في ذلك الوجه، مما يترتب عليه أن الشفتين تأخذان الوضع المناسب لصوت اللين أي الفتحة، ويؤدي هذا إلى صوت مثل آه أو إيه[١].

وما يعزز دلالة صوت الهاء على الاضطرابات النفسية وعلى خفايا النفس ومشاعرها كثرة الألفاظ التي اشتملت على صوت الهاء في المعجم الوسيط الدالة على الأسى والحزن والحيرة، وذلك نحو: تره: وقع في الأباطيل، ودله: ذهب فؤاده من الهم، وتاه: ضل الطريق، وكمه: عمي، ومته: ضل وغوى، وره: حمق وأله ألها: تحير، وأهّ: توجع وتأوه وآه أَوَهاً: للتوجع والخوف، والعمه: الحيرة والتردد، وتاه تيهاً: تكبر، وفره: بطر وأشر.[٢]

ونجد المشاعر المضطربة تسيطر على نمر سعدي، الذي يعبر عن الاغتراب، فيقول[٣]:

آه كَم بَسمة تنقص الدَّمع في بئر يوسف

فيّ.... ؟!

فالشاعر يعبر بـ (آه) عن مشاعره المتوترة في سياق حديثه عن الغربة التي أرهقته، وأرهقت شعبه الفلسطيني بعيداً عن أرضهم وبيوتهم، حتى البسمة باتت تتلاشى مبتعدةً عنه، فعبر بدلالة صوت الهاء عن الألم والغصة التي يعيشها وشعبه في المنافي.

ويتجلى الإيقاع الاحتكاكي في قصيدة حسان نزال التي رثى فيها صديقه محمود الذي استشهد في قباطية [٤]:

محمود..يا محمود

من أين هذا الحب؟؟!!

يا يوسف في الجب

حملته قافلة

---

(١) ينظر: أنيس ،إبراهيم: دلالة الألفاظ. ط٧. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٠، ص٢٤، وينظر: عتيق، عمر: الأسلوبية الصوتية في الفواصل القرآنية. ص١٨٠-١٨١

(٢) ينظر: عباس ، حسن: خصائص الحروف. العربية ومعانيها. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨، ص٢٠٠. وينظر: عتيق، عمر: الأسلوبية الصوتية في الفواصل القرآنية. ص١٨٠-١٨١

(٣) سعدي، نمر: ديوان لن أعود بعدك إلا على جسد الرائحة. ص١٨٠

(٤) نزال، حسان: ديوان تقبلوا مني السلام.ص١٩

وهدته كيف يجب

نلاحظ حرف الحاء في قصيدة الشاعر(محمود، الحب، حملته) وهو صوت كلامي ينتج بدفع الهواء عبر ممر ضيق مما يحدث صوتاً مسموعاً خفيفاً، وهذا يتناسب مع مشاعر الشاعر الذي يرثي فيه صديقه الشهيد.

ج- إيقاع أصوات القلقلة:

تنتشر أصوات القلقة في قصيدة سعد الدين شاهين سابقة الذكر، يقول[1] :

أشد على قميصي أزره

كي لا يقد من الغواية مرة أخرى

وأرتقه بخيط الشك في امرأة أفتش عن مزاياها

من الزمن الجديد

هو ليس ذات قميصنا المقدود من دبر

على شك الغواية

ليس من جاؤوا على أردانه بدم

لتنطلي الخيانة في الشقوق

ولطخوه ليبرئوا الجب الذي حفروا على عطش

وما زالوا على عطش يسبون القوافل والدلاء

وليس يستر عورتي ما حاكه الترزي

في زمن الخلافة من جديد

حين فصل كل قمصاني بشكل ملامح الناتو

وأعلن ثورة الفقراء.

(١) شاهين، سعد الدين: ديوان وحيدا سوى من قميص الأغاني. ص ٢٥-٢٦

يفيد الشاعر من دلالة صوت القاف الذي يشكل فضاءً إيقاعياً مائزاً في القصيدة **(قميصي، يقد، أرتقه، قميصنا، المقدود، شقوق، القوافل، قمصاني، فقراء)**، فصفة القلقلة[١] التي يحملها هذا الصوت، تحدث اهتزازاً في كيانه، متشرباً معاناته وشعبه، ويسبق كلمة قميصه بالفعل **(أشدّ على)**، وكذلك عملية القدّ يسبقها بأسلوب النفي **(كي لا)**، ونرى تناسب كلمتي شدّ وقدّ وما فيها اهتزاز وحركة تناسب دلالة صوت القاف المقلقل، ومناسبتها للموقف النفسي الذي كان فيه سيدنا يوسف في قصة قميص مع زليخة، ومشاعر الاضطراب والاهتزاز التي خيّمت عليه جرّاء تلك التهمة التي هزت كيانه.

كذلك وجود الإصرار والمقاومة في فعل **أرتّقه**، وأسلوب النفي **(هو ليس ذات قميصنا المقدود)**، وتلك الثورة المعلنة **(وأعلن ثورة الفقراء)**، كلها أفعال وأساليب سبقت الكلمات التي احتوت على صوت القاف، إذ إن "الانفجارية والقوة والقساوة والصلابة والشدة والعظمة، بشقيها المادي والمعنوي، معانٍ موجودة في المصادر التي تدخل القاف في تركيبها"[٢].

وينتشر صوت القاف الصاخب في قصيدة معين بسيسو سابقة الذكر، **فيقول**[٣] :

إيه يا قافلة السبي

لقد طال السفر

سقط الظل على الظل

وضيعت الأثر

...

لم يزل يوسف في البئر ومن

آه قد ألقى له الحبل هلك

مد ألوانك يا قوس قزح

مد ألوانك فالحبل انقطع

---

(١) القلقلة: ونقصد بها اضطراب الصوت عند النطق به وهو ساكن ثم تحريكه، وتسمى بالحروف المشربة؛ لأنها تحفر في الوقت وتضغط على مواضعها.

(٢) عيسى، كبير: القاف العربية، الصوت الرسم والدلالة. دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٧١، ص٦٣

(٣) بسيسو، معين: الأعمال الكاملة. ص٢٣٧

يتضمن صوت القاف ثراء إيقاعيا وتنوعا دلاليا يتوزع على ثنائية الاهتزاز والتماسك، وقد سبق الحديث عن علاقة إيقاع القلقلة (القاف) بدلالة الاهتزاز، أما دلالة التماسك في إيقاع صوت القاف فقد "أجمع الدارسون القدامى أن القاف صوت متمكن قوي، اجتمعت فيه ثلاث صفات قوية، الاستعلاء والجهر والشدة"[١]، وتنسجم دلالة التماسك مع دلالة الصمود واليقين بالعودة والخلاص وخاصة في قول الشاعر: **(مد ألوانك يا قوس قزح...مد ألوانك فالحبل انقطع)**.

ج- الإيقاع المفخم

يكثر الإيقاع المفخم في شعر معتز قطب، **فيقول**[٢] :

مَـن راحَ يـكـذبُ أن ذئـبـاً ضَـــرَّهُ ... قـد بـاعَ مَسـجِـدَنـا الى الجُرذانِ
كـانـت أخـوَّتـهـم جَـمـيـعـاً كـذبَـةً ... ضَـــرباً مِن التضـــليلِ والهَـذَيـانِ
قَـد أســلموا القـدسَ الشـــريفَ وأهلَهـا ... والشـــامَ مع بَغـدادَ لـلـطـغيـانِ
ألقوا الى الجـبِّ السَـــحيقِ حضـــارةً ... والمســجدَ الأقصـــى مَع الأوطانِ
تـأتِـي إلـى الـبـئـرِ الـعـمـيـقِ قـوافـلٌ ... تَبتاعُ أرضـــاً غَضَّـــةَ البُســـتانِ
وَتَســـوقُ مِن مُـدن الجَمـالِ ضَـــحيَّـةً ... كـي تُـطِـعـمَ الـتَّـاريـخَ لـلـغِربـانِ
لـهـفـي عـلـى تـلـك الـديـارِ وأهـلِـهـا ... عـانَـت مِن التضـــليـلِ والخُـذلانِ

تكثر الألفاظ التي احتوت صوت الضاد **(تضليل، غضة، ضحية، ضرّه، ضرباً، حضارة، أرضاً، غضّة)** الذي يشتمل على قوة وتفخيم وجهر، ويجهر الشاعر بالحقيقة التي تعرضت لها مدينة القدس من كذب وتضليل وخيانة كتلك التي تعرض لها يوسف نبي الله ويتميز صوت الضاد بصفة الاستطالة[٣] التي أعانت الشاعر على بيان امتداد طول الفترة التي عانت منها القدس.

ويبرز الأثر الإيقاعي للأصوات المفخمة في أدائها للمعنى من النغمة الصاخبة التي أراد الشاعر إظهارها في حديثه عن قضية القدس، التي تعد من أهم القضايا التي يجب إعلاء صوتها والبتّ بها، وقد استوحى من تلك الأصوات دلالتي التفخيم والقوة التي يحتاجها أبناء شعبه ليعيدوا القدس إلى عزها

---

(١) عيسى، كبير: القاف العربية، الصوت الرسم والدلالة.ص٣٣

(٢) القطب، معتز علي: قصيدة عودة يوسف. شبكة الألوكة، السعودية،٢٠١٦، على موقع: https://www.alukah.net

(٣) يمتد مخرج الضاد ليشمل الحافتين الأماميتين مع الخلفيتين من اللسان ، فيمتد صوتها حتى يتصل بمخرج اللام، ويعد من أشد الأصوات، وأكثرها استغراقاً للوقت عند نطقه. **ينظر: السامرائي، عمر رشيد: دراسات لسانية.ط١،دار الغيداء،عمان،٢٠١٧، ص٥٨**

ومجدها الذي كانت عليه. وعطفاً على ما تقدم عبرت أصوات التفخيم عن الشعور بالغضب والصخب لما آلت إليه حال القدس، وجاء الإيقاع الصاخب والغاضب منسجما مع السياق النفسي المثقل بالظلم في قصة يوسف النبي.

٢-الجناس

يعد الجناس أحد الفنون البلاغية الذي ينتمي إلى عائلة علم البديع، وهو حلية لفظية يسهم في إثراء المعنى الدلالي للنص، إضافة إلى ما يحدثه من جرس موسيقي عذب، يطرب الآذان ويضاعف يقظة المتلقي للمعاني الثاوية في بنية النص الشعري.

حرص الشعراء على الجناس؛ لأثره الجمالي، فهو يعمل على إحداث إيقاع داخلي يُثري دلالة القصيدة، " إذ تظهر عناية الأدباء بالجناس بما يتحقق لديهم من دلالات وإيحاءات تسهم في خلق أصداء وأنغام إضافية تسعى إلى الاستحواذ على أجزاء النص التي ترد فيه، بما يمنح الفرصة في توليد موسيقى داخلية فيه"[١]، هنا تكمن أهمية الجناس التي ترجع إلى ما يحدثه من" إيقاع موسيقي عندما تتفق الألفاظ في بعض الحروف أو جميعها، فتحدث النغمات التي تطرب لها النفس وتفعم بموسيقاها، قبل أن تهتدي إلى اختلاف معاني ألفاظها"[٢] .

ومن الجناس في قول محمود درويش[٣] :

والجفافُ يودِّعُ في سَبْعَ السنين العجاف

فلا من هُدْنَةٍ في المدينة

يكمن الجناس الناقص في لفظتي **(جفاف، وعجاف)**، فأحدث تقارباً دلالياً، فسنين العجاف والقحط التي يعيشها الفلسطيني تتسم بالجفاف، وتقارب دلالة الجفاف في السياق الفلسطيني دلالة سنين العجاف في سياق قصة يوسف النبي.

جاء الجناس الناقص عند المتوكل طه في رصد افتراءات اليهود في حقهم في القدس في قوله[٤]:

---

(١) اللهيبي، حسين عبد العال: ظاهرة الجناس في خطب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ورسائله (دراسة بلاغية). مركز دراسات الكوفة، د.ت، ص٢

(٢) الضايع، مصطفى اليوسف: الإيقاع الداخلي في شعر أبي العلاء المعري- الجناس والطباق أنموذجاً. مجلة جامعة البعث، سوريا، المجلد ٣٧، العدد١٠، ٢٠١٥، ص١٣٢

(٣) درويش، محمود: ديوان سرير الغريبة. ص٨٥

(٤) طه، المتوكل: ديوان نصوص المدينة المقدسة. ص٨٥

والأنبياء من الهدير إلى الغدير

تواثبوا،

حتى يجيئوا أورسالم..

والذي عبر المدينة كان منَا

أو لهذي الأرض ماء في الوسادة..

نام في أولاده

وتوالدوا

وتعابثوا

واستأجروا ذئباً بريئاً، مرة،

فلفظتا (هدير، وغدير) تشتملان على إيقاع احتكاكي ناجم عن الصوتين المختلفين (الهاء والغين)، فالاختلاف الصوتي في اللفظين يُفضي إلى تماثل إيقاعي احتكاكي، ويتقاطع هذا التماثل الاحتكاكي مع صوت الطبيعة الناجم عن هدير الماء (الهدير)، كما أن صوت الهاء يتسم بملمح الهمس، ويتسم صوت الغين بملمح الجهر، وينسجم هذا الاختلاف بين الملمحين مع اختلف صوت الهدير وسكون الغدير.

ومن الجناس في قول الشاعر أحمد دحبور[1]:

لو كنت أعرف باب داري

لو كان تحت يدي جداري

لو أن رائحة تغرّد في قميصي

لاستجاب لطير قلبي ألف يعقوب من الكينا

جاء الجناس في لفظتي **(داري، وجداري)**، وتحمل اللفظتان تقارباً دلالياً بين ملمح الجهر في صوتي الجيم والدال، الذي يتماثل مع الجهر بحقيقة الاحتلال الذي سلب بيته وهدم جداره، والتكامل الدلالي المكاني بين الدار والجدار، حيث كان يقطن فيها بأمن وأمان، قبل أن يأتي المحتل الغادر،

(١) دحبور، أحمد: الديوان.ج٢،ص٢٦٤

ويجبره على تركها، كما أن التقارب الإيقاعي في لفظي الجناس في ملمح الانفجار في صوت الدال (داري)، والانفجار والاحتكاك في صوت الجيم(جداري) يعزز الوحدة الدلالية والنفسية لمشهد وقوف الشاعر أمام بيته لسويعات عاجزا عن دخوله. ويوحي صوتا الاحتكاك والانفجار في لفظي الجناس بمشاعر الغضب التي تمور في وجدان الشاعر.

ينفي الشاعر محمد قشير في قصيدته ادعاءات اليهود المزعومة، فيقول[١]:

(جحا)...شتى مساميره..

(جحا)...شتى مزاميره..

ففي نابلس...

لا بئر.. ولا قبر...

يتفق صوتا السين والزاي في لفظي الجناس **(مساميره، ومزاميره)** في ملمحي الاحتكاك والصفير، ويختلفان في ملمحي الجهر والهمس، وتتقاطع ملامح الاتفاق والاختلاف مع الأصوات الناجمة عن المزامير التي تتوزع على تموجات صوتية تتوافر فيها تلك الملامح. ويوحي اختلاف الأصوات المذكورة بدلالة التداخل الصوتي الذي يشير إلى اختلاط أصوات المستوطنين اليهود الذين تختلط أصواتهم الكلامية وأصوات مزاميرهم عند قبر يوسف في نابلس الذي يدعون ملكيته انطلاقا من زعمهم أن البئر ليوسف النبي.

يرد الجناس الناقص عند يوسف الخطيب في قوله [٢]:

سيأتي زمان يفسر للناس رؤياي

ظلًا...وخمرًا..

وسبعين نهراً على ربعك الخال

يجرين مد الصحاري، ووسع الخيال

ورد الجناس في (خيال، وخال)، وتكمن الثنائية الدلالية بين الكلمتين في أن الخالي يكون فارغاً من أي شيء، فالصحراء خالية تتسم بالاتساع، بالتالي يتناسب ذلك مع الخيال وما يحتاجه من اتساع،

---

(١) قشير، محمد: أنا من يافا بلد المحبوب.ص٥٢

(٢) الخطيب، يوسف: ديوان امنع الخمرة عني.ج٣،ص١٦٠

لتتفق تلك الثنائية وتتحول في السياق إلى دلالة توافقية حينما يتحول الربع الخالي إلى جنة واسعة تسر الناظرين، بتلك الدلالة تتشكل الصورة المتخيلة في ذهن الشاعر في بيئة مكانية ونفسية شكلها حتى يحقق رؤياه التي رآها، حتى يعم الخير والعطاء وطنه فلسطين، كما عمّ أرض مصر في زمن نبي الله يوسف.

يتسم صوت الخاء في اللفظتين بالهمس، أي يجري معه النفس، وهو صوت رخو بمعنى يجري الصوت معه، لذلك يسعى الشاعر إلى جريان صوته مجرى مد الصحاري حتى يتناسب مع الأمل الذي يرنو إليه، المتمثل بزمان الخير والوفرة لشعبه.

تتلون أنواع الجناس في قصيدة لطفي زغلول، فيقول[1] :

أنا من وطن

الجرح يسافر من أقصاه..

إلى أقصاه

تلون عينيه الأحزان

خطفوه من حضن أبيه

ألقوه على قارعة المنفى والتيه

...

اتهموا الذئب بما اقترفته أيديهم

والذئب بريء من دمه

هم ألقوه وطني في فمه...

ورد الجناس التام بين لفظتي (أقصاه، وأقصاه)، فالشاعر يتحدث عن الجرح الذي يعانيه وطنه، إذ يمتد من أقصاه الأول (المسجد الأقصى) رمز عقيدتنا، وقد سمي بذلك لبعده عن المساجد، وأقصاه الثانية هو من الأقصى أي البعيد، ويظهر هذا الجناس جرساً موسيقياً إضافة إلى دلالته، فهو يظهر عمق جرح وطنه فلسطين وطول امتداده على مرّ العصور.

(١) زغلول ،لطفي: ديوان مدار النار والنوار.ص٥٠

وتبرز دلالة صوت القاف والصاد في لفظي الجناس الذي تجتمع فيهما صفة الاستعلاء، فيكون فيه ضغط للصوت عند النطق به، ويعكس مشاعر الضغط التي يعيشها الوطن في ظل جراحه النازفة من قبل المحتل، وكذلك صفة القلقلة التي يحدثها صوت القاف، إذ ينعكس اهتزازها على قسوة المحتل وما أحدثه من جرح نازف في الأقصى على المدى البعيد، ذلك الأقصى الذي عده الشاعر كيوسف نبي الله، وشابه بين فصول المعاناة التي تعرض لها.

أما لفظتا (أبيه، وتيه) في الجناس الناقص، فتكمن في التخبط الذي يعيشه الشاعر، فقد خطف المحتل وطنه من حضن (أبيه) الذي يقصد به الوطن العربي، وألقوا به في (التيه) وهو المنفى، إذ يتخبط الفلسطيني ضائعاً تائهاً، والتيه الضلالة التي لا علامةَ فيها يُهتدى بها[١]، وهذا يشير إلى عمق البعد والضياع للوطن وأهله. فغدا بعيداً عن حضن وطنه العربي، كبعد يوسف نبي الله عن حضن والده.

وصوت الهاء يحمل من الألم والدهشة والتوجع، وفيه نوع من الخفوت، وهو صوت مهتوت[٢]، والهت يعني "شبه العصر للصوت، إذ يكون من أقصى الحلق"[٣]، وذلك يتناسب مع حالة الشاعر النفسية المضطربة في تعبيره عن وطنه الذي يتخبط في التيه، وكذلك صفتا الهمس للهاء والتاء اللتان تضفيان فتوراً وألماً يعانيه وطنه.

ولفظتا (دمه، وفمه)، جناس ناقص ارتبط بالذئب الذي اتهم بما حصل مع الوطن، فحرف الدال يحمل سمة الجهر، فالشاعر يجهر بحقيقة إخوته العرب الذين كانوا السبب في إلقاء وطنه فلسطين بقبضة المحتل (الذئب)، وتوحي دلالة هذا الصوت الجهري بفضح أفعالهم للعالم.

وردت لفظتا الجناس الناقص (الجب، والحب) عند بعض الشعراء، ومن بينهم حسان نزال في قوله [٤]:

محمود..يا محمود

من أين هذا الحب؟؟!!

---

(١) لسان العرب، مادة تيَه

(٢) أطلق العلماء على صوت (الهاء) الصوت المهتوت؛ لأنه من الأصوات الخفية التي تخفى في اللفظ، إذ تدرج بعد صوت قبله. ينظر: حسين، علي خليف: نهج الدرس الصوتي عند العرب. دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١، ص١٧٤

(٣) المشهداني، حمودي زين الدين عبد: الدراسات اللغوية خلال القرن الرابع الهجري. دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص١٩٧

(٤) نزال، حسان: ديوان تقبلوا مني السلام.ص١٩

يا يوسف في الجب

وقول يوسف الخطيب [١]:

لأني فيك غصت غيابة الجب

وأصعد فيك طور الحزن، والحب

يتمثل الجناس بين الحب والجب في لفظي (الجب والحب) بين صوتي الجيم والحاء، فصوت الجيم في الجب يتسم بالجهر والشدة، وذلك ليناسب موقف من يقع في جب المنفى ويغوص فيه، فجب الشاعر الذي عنى به منفاه كان قاسياً وصعباً.

أما دلالة صوت الحاء في كلمة حب، وما تتسم به تلك الكلمة من مشاعر جياشة في النفس، فإن سمات حروفها جاءت مناسبة للكلمة، فصوت الحاء يتسم بالهمس والاحتكاك، وكذلك مشاعر المحب الذي يهمس شوقاً لمحبوبه.

وقد جاء هذا الجناس عند الشاعرين محدثاً جرساً موسيقياً يحمل جينات مبشرة، فحسان نزال في قصيدته يرثي صديقه الشهيد، ويبين منزلته ومكانته في وطنه، لذلك جاء في موطنٍ قدم فيه لفظة الحب على الجب، ليضفي صفة يوسف النبي على شهيد وطنه، ويعزز من قدره وقيمته، إذ إن جبه هناك هو أرض النضال والأبطال، بينما قدم يوسف الخطيب الجب على الحب في سياق تباشير العودة، فبعد أن غاص في جب المنفى وصعوبة الحياة فيه، يتخلص منه بصعوده طور الحب.

٣- التكرار

تعد ظاهرة التكرار من العناصر اللافتة في الإيقاع الداخلي؛ لما تحدثه من تكثيف دلالي يقوّي المعنى، ويثبت الفكرة التي يرمي الشاعر إليها، فتكون للتأكيد أو التنبيه أو التهويل، إضافة إلى الجرس الموسيقي الذي ينجم عن تكرار بعض الحروف والكلمات والجمل، إذ إن له "قدرة على سد الثغرات الموسيقية في كثيرٍ من الأحيان، في محاولة من الشاعر للسيطرة على النغمة الإيقاعية، فيستقطب النسيج تكرار أحد العناصر ليستقيم الإيقاع في القصيدة"[٢].

---

(١) الخطيب، يوسف: ديوان امنع الخمرة عني.ج٣،ص٧٢

(٢) عابد، صالح علي: الإيقاع في شعر سميح القاسم، دراسة أسلوبية. رسالة ماجستير، إشراف: عبد الله أحمد إسماعيل. جامعة الأزهر، غزة، ٢٠١٢، ص١٣١

أ. تكرار الاستهلال

اعتمد الشعراء على أسلوب التكرار العمودي في بداية أشعارهم؛ للتعبير عن سيل المشاعر والعواطف المتدفقة التي يشعرون بها، إضافة إلى إحداث تمازج صوتي يُطرب الأسماع، فيشكلون بذلك إيقاعاً داخلياً بادياً، ويهدف هذا النوع من التكرار إلى " الإحاطة بوضع شعري معين، ومنحه سمة دلالية واقعية محددة، ليست من خلال التكرار ذاته، بل من خلال ظلاله ومتعلقاته اللغوية والدلالية كذلك"(١)، فيعبرون عن مكنوناتهم الداخلية، من خلال تكرارهم لبعض الحروف أو الأسماء أو الأفعال التي استهلوا بها قصائدهم.

ومن نماذج التكرار الاستهلالي في شعر سميح القاسم قوله(٢):

أحبائي أحبائي، إذا حنّت عليّ الريح

وقالت مرة: ماذا يريدُ سميح؟

وشاء أن تزوّدكم بأنبائي..

فمُرّوا لي بخيمةِ شيخنا يعقوب

فالشاعر بدأ بالتكرار الاستهلالي الأفقي لكلمة أحبائي مرتين، لتأكيد العلاقة القلبية، فلم يدعهم بأصدقائي أو أصحابي، فأبناء شعبه الفلسطيني أكثر قرباً ومكانةً إلى قلبه.

قدّم الشاعر خليل سلامة في حديثه عن أهل غزة وصمودهم رسالة اعتذار من العرب، بقوله(٣):

أيها الغزيُّ... يا يوسفَ هذا العصرْ

...

نحن من ألقاك في الجب وباعك

نحن من مزَّق باليأس شراعك

نحن سمّنّاك للذئب لكي يرحمنا

---

(١) عبيد، محمد صابر: القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية.ط١، دار غيداء للطباعة والنشر، ٢٠١٦، ص١٩٦

(٢) القاسم، سميح: الديوان. ص٥٩٦

(٣) سلامة، خليل سلامة: ديوان لأجلك غزة. ص٢٢٨

عمد الشاعر إلى تكرار ضمير الجماعة(نحن) ثلاث مرات، في سياق تعداد الأفعال التي قام بها العرب في سبيل التخلص من الفلسطيني الغزيّ، (الإلقاء، البيع، التمزيق، التسمين)، ونلمس من تكرار ضمير نحن _الذي يستخدم غالباً للفخر والاعتزاز بالفعل الذي يتبعه_ بعض الندم لما قاموا به، فالأفعال التي أتبعت بها مثقلة بالوجع، فالإلقاء رمي الشيء ومن ثم استرداده[١]، غير أنهم أتبعوا فعلهم بالبيع، وما يحمله من خسة ووضاعة وذل بحق الغزيّ الذين باعوا قضيته، وكذلك عملية التمزيق وما تحمله من وجع كبير، وعملية التسمين التي جاءت نهايته تسليمه للذئب(المحتل).

ويظهر من تكرارها دلالة جلد الذات، التي تنم عن ندم العرب الشديد جرّاء ما اقترفوه بحق أهلنا في فلسطين، فهم قد سهلوا الإجراءات، وقدموا التسهيلات بعهودهم ومواثيقهم الزائفة التي تنم عن وقوفهم إلى جانبنا، غير أنهم كانوا يمهدون لسيطرة إسرائيل علينا، غير أنهم شعروا بالذنب لما فعلوه، واعترفوا بذلك، بعكس أخوة يوسف الذين أنكروا فعلهم مع أخيهم، فكأن الشاعر يعيد محاكمة التاريخ ومساءلة القاتل من خلال استدعاء سياق قصة يوسف النبي.

رسم الشاعر موسى حوامدة صورة لتكرار حرف النفي(لم) في قوله[٢]:

لم يسقط يوسف في الجُبْ

لم يأكله الذئبُ

ولم تنقصْ من خزنة مصر الغلّة

لم تكذبْ

تلك الملكة

وزليخة لم تر يوسفَ أصلا

كرر الشاعر أسلوب النفي(لم) خمس مرات متوالية عمودياً، متبوعة بأفعال مضارعة مجزومة (لم يسقط، لم يأكله، لم تنقص، لم تكذب، لم ترَ)، محدثاً بذلك نغماً موسيقياً من خلال صوتي اللام والميم المجهورين، إذ إن الشاعر يجهر بنفي الحقيقة المعهودة، فهو ينفي سقوط يوسف النبي، وبالتالي نفي أحداث القصة القرآنية كافة_ وقد تم إيضاح دلالة أسلوب الشاعر في المبحث الذي تحدث عن الانزياح.

---

(١) لسان العرب: مادة أَلقى

(٢) حوامدة، موسى: ديوان شجري الأعلى.ص٣٧-٣٨

يرسم الشاعر سميح القاسم صورة إيقاعية في تكراره لحرف الجر(من) في قوله [١]:

من هذا الصخر.. من الصلصال

من هذي الأرض المنكوبة

يا طفلاً يقتل يعقوبه

انظر واحذر

من حفرة غدر تحفرها في دربي

يا خائن عهد الرب!!

وفّر تكرار حرف الجر(من) إيقاعاً لافتاً في قصيدته التي جاءت في سياق التحدي والصمود الذي يعيشه الفلسطيني، فالشاعر يتسمد من دلالة هذا التكرار ما يرتبط به الصوت، إذ يحمل تكراره القوة المستمدة من الصخر والصلصال. وقد جاء في سياق مخاطبة سميح لليهودي الذي خان عهد ربه، وقام بسفك دماء الفلسطينيين الأبرياء، فيوجه له التهديد الصارم، ليعود لاستخدام **من** مرة أخرى؛ محذراً الوقوع في الحفرة التي اعتادوا على رسمها في دربنا.

يتكرر أسلوب الرجاء (لعل) عند لطفي زغلول في قوله [٢]:

لعل الأمان الذي غاب عنا..

زماناً طويلاً... إلينا يعود

لعل الصحاري التي سكنتنا...عجافَ السنين

تمر عليها سحابة حب

يكرر الشاعر أسلوب الرجاء (لعل) مرتين، في رجائه لزوال غمامة الاحتلال التي خنقت الفلسطيني، وقد استخدم الشاعر أسلوب الرجاء(لعل) عوضاً عن أسلوب (التمني)، " فالتمني للممتنع والصعب، والرجاء في المأمول"[٣]، ويختزل تكرار لعل أمل الشاعر في تحقيق ما يرجوه، المتمثل بعودة

---

(١) القاسم، سميح: الديوان. ص١٣١-١٣٢

(٢) زغلول، لطفي: ديوان اللية شعر وغداً شعر. ص٨٩-٩٠

(٣) عكاشة، محمود: تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة: دراسة تطبيقية لأساليب التأثير. دار النشر للجامعات، مصر، ٢٠١٤، ص١٢٦

الأمان الذي افتقده وشعبه، وزوال سنين الاحتلال العجاف، كما زالت سنين يوسف نبي الله من بعد طول قحطها وتحولت إلى سنين الخير والوفرة.

يكرر الشاعر أحمد دحبور أداة الشرط (لو)، فيقول[١] :

لو كنت أعرف باب داري

لو كان تحتي يدي جداري

لو أن رائحة تغرّد في قميصي

لاستجاب لطير قلبي ألف يعقوب من الكينا

ولانفتحت من الشجر العيون

لو كان لي ما كان لي

كرر الشاعر أداة الشرط (لو) أربع مرات، وهو يفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط، وقد جاء التكرار في سياق تحسر الشاعر على تغيير معالم بيته قبل أن يُهجّر منه، فبعد أن أتيحت له زيارته لمدة قصيرة، بدأ باستخدام أداة (لو) مع فعل كان الناقص، الذي يتضمن نقصان زيارة الشاعر وعدم إتمامها برجوعه المحتم لبيته، فزيارته مؤقتة وناقصة، إضافة إلى أن أجوبة الشرط المتمثلة بمعرفة باب داره ومكان جداره وعدم وجود رائحة تدله عليه توحي بالنقص، ومشاعر الحسرة تمتزج في قلبه لقلة حيلته.

ب-تكرار الفعل

يعزز تكرار الفعل القيمة الدلالية من حيث تأكيد وقوع الفعل إن كان ماضياً، واستمراره إن كان مضارعاً، إذ "إن لتكرار الفعل أثره الخاص لاسيما عندما يتحول إلى طاقة حيوية خصبة تسهم في رفد الدلالات، وتحريكها داخل النص"[٢]، إضافةً إلى العامل الزمني الذي يحمله الفعل ويقويه وفق رؤية الشاعر، كما أن الجرس الموسيقيّ الذي يتشكل يقوي إيقاع القصيدة.

كرر الشاعر سميح محسن الفعل في قوله[٣] :

---

(١) دحبور، أحمد: الديوان.ج٢،ص٢٦٤

(٢) شـرتح، عصـام: فنية التكرار عند شـعراء الحداثة المعاصـرين. مجلة رسـائل الشـعر، العدد التاسـع، كانون الثاني،٢٠١٧، ص ٨٨

(٣) محسن، سميح: ديوان في غيابة ليل. ص٧٧-٧٨

إذا شئتِ، فلتدخلي من نوافذ طيفي إليّ

لأغلق باب القصيدة

أحكم إغلاقه بالمعاني

وأرمي مفاتيحها في الحديقة

أرمي الحديقة في قعر بئر

وأرمي الدلاء وراء المفاتيح

نلاحظ تكرار الشاعر للفعل (أرمي) ثلاث مرات عمودياً، وقد جاء الفعل مضارعاً ليدل على الاستمرارية والإصرار، وذلك في سياق القصيدة التي يخاطب الشاعر فيها محبوبته فلسطين، فهو يريد لحبه أن يكون محكماً، فيحافظ عليها من أي عدوان خارجي، ويحرص الشاعر على رمي مفتاح حبه لوطنه، ليواجه ظلم المحتل المسيطر عليه، وهي أيضاً قد احتُلت ظلماً، فيكرر الشاعر فعله ليؤكد دلالته، كما أحدث التكرار جرساً موسيقياً مفعماً بالإصرار البادي في حرف الراء وما يحمله من صفة التكرار التي تؤيد ذلك.

وتتشكل الصور الحركية في عملية الرمي وفق الترتيب التكراري، التي بدأت برمي المفتاح في الحديقة، ومن ثم رمي الحقيقة ذاتها، ويتبعها رمي للدلاء، لتقودنا إلى حرص الشاعر على الحفاظ على فلسطين، وإصراره على حمايتها.

ج- التكرار الدائري[1]

كرر بعض الشعراء جملاً استهلوا بها قصائدهم، وكرروها في حنايا القصيدة، فأحدثت جرساً موسيقياً وثراءً دلالياً، كما في قول الشاعر مريد البرغوثي[2]:

وحدَّثَني قائلاً:

بريءٌ هو الذئب من غيلتي يا مريدُ

فذئب البراري أجَلُّ من الجُرم

---

(١) وهو الذي ينهض على تكرار جملة شعرية واحدة أو أكثر في القصيدة. ينظر: عبيد، محمد صابر: القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية.ص٢٠٦

(٢) البرغوثي، مريد: الأعمال الشعرية الكاملة.ص٣١٠-٣١١

والبعض أخلق أن يتعلم منه الوفاءَ إذا أَنصَفا

...

بريءٌ هو الذئب من دمعةٍ فوق كُمِّ صِغاري

وإحراق ناري

...

بريءٌ هو الذئب

فلتحملوا للذئاب اعتذاري

كرر الشاعر عبارة (بريء هو الذئب) ثلاث مرات في سياق مقتل ناجي العلي الذي قتل غيلة وغدراً، فالشاعر ينفي تلك التهم التي ألقيت على الذئب، فهو حيوان لا يحمل الحقد والغل في قلبه كما البشر، ويؤكد ذلك من خلال تقديمه الاعتذار لكل الذئاب، فالبشر كانوا أشد قسوة وافتراساً منها، إضافة إلى ما أحدثه التكرار من جرس موسيقي يتكرر في كل مقطع.

نجد هذا التكرار عند الشاعر مسلم محاميد في قوله[1] :

"أَنِنَّ"

أقولُ:

"تَماسّكْ"

يقولُ: "وفي الجبِّ

عتمةُ قبرٍ"

أقولُ:

"تماسكْ"

يقولُ:

"وفي الجبِّ محنةُ دهرٍ"

---

(١) محاميد، مسلم: ديوان نشيد..وآخر. ص٩٥

أقولُ:

"تماسكْ

كرر الشاعر عبارة (تماسك) المتبوعة بفعل القول ثلاث مرات، وذلك في سياق حديثه عن معاناة الشعب الفلسطيني في جب المنفى، ولغرس بذرة التحمل والصبر في نفوس شعبه، يدعوهم إلى التماسك والصمود على الرغم من كل ألوان المعاناة التي يعيشونا، فنراه يكرر الفعل بعد كل لون من الألم الذي يلقاه أبناء شعبه، فتبث في النفس الرغبة في الثبات.

د- التكرار الختامي

يستخدم الشاعر أسلوب التكرار الختامي لبعض الألفاظ والجمل، لغاية يرى أنها تحقق في ذهنه هدفاً دلالياً، إضافة إلى النغم الموسيقي الذي يختم به قصيدته، إذ يؤدي هذا التكرار "دوراً شعرياً مقارباً للتكرار الاستهلالي، من حيث المدى التأثيري الذي يتركه في صميم تشكيل البنية الشعرية للقصيدة، غير أنه ينحو منحى في تكثيف دلالي وإيقاعي يتمركز في خاتمة القصيدة"(١).

ومن نماذج التكرار الختامي في شعر سميح القاسم قوله(٢):

فمُرّوا لي بخيمةِ شيخنا يعقوب

وقولوا إنني من بعد لثم يديه عن بُعدِ

أُبشّرهُ أبشّرهُ، بعودة يوسف المحبوب!

يثبت الشاعر بشرى العودة بالتكرار الختامي لكلمة أبشره، التي تحمل بشرى سارة يزفها الشاعر إلى أبناء وطنه، إذ يكرر هذا الفعل مرتين ليؤكد عودة يوسف الفلسطيني إلى دياره.

كان أمل العودة إلى الوطن حلماً يراود سميح القاسم، فيستخدم أسلوب التكرار مرة أخرى في سياق العودة، فيقول(٣):

وقميصنا البالي

---

(١) عبيد، محمد صابر: القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية.ص١٩٦-١٩٧

(٢) القاسم، سميح: الديوان. ص٥٩٦

(٣) القاسم، سميح: الديوان. ص٤٥٧-٤٥٨

ما دام يخفق في رياح الحزن والشدة

ستظل تخفق راية العودة

ستظل تخفق راية العودة !!..

يكرر الشاعر الجملة الفعلية (ستظل تخفق راية العودة)، وذلك ليؤكد أمله في تحقيق حلم العودة إلى الوطن، وينطلق من سين التنفيس أو الاستقبال التي تدخل مع الفعل المضارع فتؤدي إلى استمرارية الفعل، لتبقى راية العودة تخفق في سماء الوطن.

يظهر أسلوب التكرار الختامي عند الشاعر لطفي زغلول في قوله[1] :

خطاه في جرح الثرى

أين المصير...والمدى سراب

سبع عجاف...والرؤى يباب

سبع عجاف...والرؤى يباب

يكرر الشاعر عبارتي (سبع عجاف والرؤى يباب) مرتين، لما تحمله العبارتان من دلالة مليئة بشحنات التشاؤم، فسنين العجاف لا تزال قائمة، ورؤى الشاعر واستشرافه للمستقبل قاحلة لا أمل فيها، فتكرار الشاعر لتلك العبارة مرتين يكمن فيها نوعٌ من التحذير، فسنين العجاف تمرُّ وتعيد نفسها كرّةً أخرى دون أن تتبعها سنين الخير.

ينطوي أسلوب التكرار السابق على دلالة كامنة بين أجزائه، يقصدها الشاعر لغاية يسعى من خلالها إلى رغبته في تأكيد فكرة معينة يرنو إليها، إضافة إلى تشكيل نغم موسيقي يحدث دلالة إيقاعية تثري القصيدة، وتزيد من جماليتها وجذبها للمتلقي.

(١) زغلول، لطفي: ديوان أقول لا: ص١١

خاتمة

من جميل دعاء سيدنا يوسف عليه السلام **(رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)**، فلله الحمد والفضل أن مَنّ على الباحثة بإتمام هذه الأطروحة التي تحمل عنوان قصة يوسف عليه السلام في الشعر الفلسطيني المعاصر.

توزعت الرسالة على ثلاثة فصول تضمن الفصل الأول أثر القصة القرآنية في الشعر العربي والفلسطيني، وذكر أمثلة من تلك القصص التي ربطت الباحثة مدلولاتها بواقع الشعب ومعاناتهم، أما الفصل الثاني فقد اختصّ بقصة يوسف في الشعر الفلسطيني، وفضاءاته الدلالية التي انعكست على شعبنا في ظروف المنفى ومعاناة اللاجئين وقضية العودة، وأنهت الفصل الثالث بدراسة أبرز الظواهر الأسلوبية في ذلك الشعر.

وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

١- تأثر الشعراء بالقصص القرآنية التي تعبر عن واقع حياتهم السياسية، وتعكس معاناتهم وظروف معيشتهم تحت نير الاحتلال الغاشم.
٢- استمد الشعراء من القصص القرآنية عزيمة وإصراراً على الثورة والنصر.
٣- كان لقصة يوسف عليه السلام حضورها البارز في الشعر الفلسطيني المعاصر، لأن الشعراء وجدوا فيها رمزاً معبراً عن قضيتهم وفصول معاناتهم.
٤- تنوعت نظرة الشعراء في استدعائهم لقصة يوسف، فبعضهم استحضرها في سياق التشاؤم وسرد ألوان العذاب الذي تعرض له، وبعضهم الآخر في سياق التفاؤل والأمل في الخلاص من بعد طول المعاناة.
٥- تعددت دلالات قصة يوسف عليه السلام في شعر الفلسطينيين، فكانت رمزاً للسقوط في جب المنفى، ورمزاً للمعاناة والظلم، ورمزاً لسنين القحط والعذاب من المحتل.
٦- استأنس الشعراء بقصة يوسف عليه السلام في سياق التعبير عن الاغتراب النفسي الذي يعيشه الفلسطيني.

٧- قام بعض الشعراء بتحوير في أحداث قصة يوسف عليه السلام، فأحدثوا انزياحاً دلالياً يتماشى مع الفكرة التي يعبرون عنها.

٨- أسهمت الصورة الفنية في تعزيز المقاربة بين أحداث قصة يوسف والأحداث التي يعاني منها الشعب الفلسطيني.

٩- أسهم الإيقاع الداخلي في إثراء الأبعاد الدلالية لقصة يوسف عليه السلام في الشعر الفلسطيني.

خلاصة لتلك الدراسة، توصي الباحثة بما يلي:

أ. إجراء دراسات أسلوبية لقصص أنبياء آخرين وربطها بالسياق الوطني الفلسطيني.

ب. توصي الباحثة المؤسسات التعليمية بضرورة الربط بين القصة القرآنية والثوابت الوطنية، وأهمية الإشارة إليها.

وأخيرا إن أصابت الباحثة فمن كرم الله وفضله، وإن اخطأت فمن نفسها ومن الشيطان، على أمل أن يتقبل الله خالص عملها لوجهه الكريم، وأن تنفع برسالتها طلبة العلم والمعرفة.

ثبت المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١.آسيا، تغليسية: **تجليات استدعاء التراث في الشعر الجزائري المعاصر**.جامعة بسكرة، الجزائر،٢٠١٤

٢.اشتية، محمد: **موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية**.دار الجليل للنشر،عمان، ٢٠١١

٣.الأعشى، ميمون بن قيس: **الديوان**. ت: محمد حسين. مكتبة الآداب بالجماميز، مصر، د.ت

٤. الأندلسي، ابن حزم: **جمهرة الأنساب**. ت: عبد السلام هارون.ط٥، دار المعارف، مصر، د.ت

٥.باحذاق، عمر محمد: **الجانب الفني في قصص القرآن الكريم**. دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٨٣

٦.الباقلاني، محمد بن الطيب: **إعجاز القرآن**. ت: السيد أحمد صقر. دار المعارف، مصر، د.ت

٧.البرغوثي، تميم: **ديوان في القدس**. دار الشروق، مصر،٢٠٠٩

٨.البرغوثي، مريد: **الأعمال الشعرية الكاملة**.ط١، دار الشروق، مصر،٢٠١٣

٩.بسيسو، معين: **الأعمال الكاملة**.ط٣، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧

١٠. البغدادي، عبد القادر: **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**. ت: عبد السلام هارون. ط٤، مكتبة الخانجي، مصر، مج١، ١٩٩٧

١١.بودوخة، مسعود: **الأسلوبية والبلاغة العربي مقاربة جمالية**.مركز الكتاب الأكاديمي.الأردن،٢٠١٧

١٢.بوريني، حسني محمد: **ديوان شوق وشوك**.ط١، مطبعة حيفا، فلسطين، ٢٠١٤

١٣.بوقرة، نعمان: **لسانيات الخطاب (مباحث في التأسيس والإجراء)**.ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢

١٤.جرار، مأمون: **الأعمال الشعرية**.ط١،دار المأمون للنشر والطباعة، الأردن،٢٠١١

١٥.جربوعة، محمد: **ديوان قدر حبه** . ط١، البدر الساطع للنشر، الجزائر، ٢٠١٤

١٦.الجرجاني، عبد القاهر: **أسرار البلاغة**. ت: محمد شاكر.ط١، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٩١

١٧.الجرجاني، عبد القاهر: **دلائل الإعجاز**. ت: محمود محمد شاكر.مكتبة الخانجي، ط٥، مصر،مج١، ٢٠٠٤

١٨. ابن جعفر، قدامة: **نقد الشعر**.ط١، مطبعة الجوانب، القسطنطينية، ١٣٠٢هـ

١٩.الجندي، خالد: **المنح الربانية للشخصية المحمدية**.ط١، دار المعرفة، بيروت، ٢٠١٦

٢٠. ابن جني، عثمان: **الخصائص**. ترجمة: محمد علي نجار.المكتبة العلمية، مصر، د.ت

٢١.حاوي، خليل: **ديوان الرعد الجريح**. ط٦، دار العودة، بيروت،١٩٧٩

٢٢.حسيب، عماد: **البناء الدرامي في الشعر العربي القديم**.ط١، دار شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١

٢٣.حسين، علي خليف: **نهج الدرس الصوتي عند العرب**. دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١

٢٤.الحمادي، عبد الله: **ديوان أنطق عن الهوى**.ط١، دار الألمعية، الجزائر،٢٠١١

٢٥.حمد، عبد الله خضر: **مناهج النقد الأدبي الحديث**.دار الفجر للنشر والتوزيع، العراق،٢٠١٧

٢٦.حمودة: عبد الحميد حسين: **تاريخ العرب قبل الإسلام**. ط١،الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٦

٢٧.حوامدة، موسى: **ديوان شجري الأعلى**.ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،١٩٩٩

٢٨.الخضر، معتصم: **من أفراح وادي مصين إلى شواطئ الأحزان**.ط١، دار الشيماء للنشر والتوزيع، رام الله ،٢٠١٦

٢٩.الخطيب، يوسف: **ديوان امنع الخمرة عني**.ط١، دار فلسطين للثقافة والإعلام، دمشق، ٢٠١١

٣٠.الخليلي، علي: **ديوان هات لي عين الرضا، هات لي عين السخط**.ط١، وزارة الثقافة الفلسطينية، ١٩٩٦

٣١.دحبور، أحمد: **الديوان**.ط١، الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين.٢٠١٧

٣٢.درويش، محمود: **الأعمال الأولى**. رياض الريس للكتب والنشر، بيروت،٢٠٠٥، مج١،ج١

٣٣. : **ديوان سرير الغريبة**.ط١، رياض الريّس للكتب والنشر، بيروت، ١٩٩٩

٣٤. : **ديوان لماذا تركت الحصان وحيداً**.ط٣، دار الريس، بيروت،١٩٩٥

٣٥.دغش، سليمان: **ديوان سفر النرجس**.ط١، دار الجندي للطباعة والنشر، القدس،٢٠١٤

٣٦.دنقل، أمل: **الأعمال الكاملة**.ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة،١٩٨٧

٣٧.الدينوري، ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**. دار الحديث، القاهرة.٢٠٠٢

٣٨.الرباعي، عبد القادر: **الصورة الفنية في النقد الشعري**.ط١،دار جرير،الأردن،٢٠٠٩

٣٩. رضا، محمد: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.دار الكتب العلمية، مصر،.د.ت

٤٠.زايد، عشري: **استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر**. دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧

٤١.الزرقاني، عبد الله محمد: شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية. صححه: محمد الخالدي. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦

٤٢.زرقة، أحمد: **أسرار الحروف**.ط١،دار الحصار للنشر،دمشق،١٩٩٣

٤٣.زركلي، خير الدين بن محمود: **الأعلام**.ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢

٤٤.زغلول، لطفي: **ديوان مدار النار والنوار**.ط١، اتحاد الكتاب الفلسطينين.٢٠٠٣

٤٥. : **ديوان أقول لا**.ط١، اتحاد الكتاب الفلسطينين.القدس،٢٠٠١

٤٦. : **ديوان الليلة شعر وغداً شعر**.ط١، دار ناشري الالكتروني.٢٠١٤

٤٧. : **مدار النار والنوار**.ط١، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس،٢٠٠٣

٤٨.الزواهرة، ظاهر: **التناص في الشعر العربي المعاصر**.ط١، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٣

٤٩.زيتون، رفعت يحيى: **حروف مقدسية على السور الجريح**.ط١،دار الجندي للنشر، القدس ٢٠١١

٥٠.ابن زيد عدي: **الديوان**.ت.محمد جبار المعيد.دار الجمهورية للنشر،مصر،١٩٦٥

٥١.السامرائي، عمر رشيد: **دراسات لسانية**.ط١،دار الغيداء،عمان، ٢٠١٧

٥٢.السبعاوي، عبد الكريم: **ديوان متى تُرك القطا**.ط٢،مكتبة مدبولي،مصر، ١٩٨٨

٥٣.السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: **تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن**.ط١، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية،مج١، ٢٠٠١

٥٤.سعدي، نمر: **ديوان رماد الغواية**.ط١، مؤسسة الانتشار العربي، السعودية،٢٠١٧

٥٥. : **ديوان لن أعود بعدك إلا على جسد الرائحة**. دار أدب فن للثقافة والنشر،٢٠١٦

٥٦.السكران، إبراهيم عمر: **الطريق إلى القرآن**. دار الحضارة للنشر والتوزيع، السعودية،٢٠١٦

٥٧.سلامة، خليل سلامة: **ديوان لأجلك غزة**.تقديم: موسى إبراهيم أبو دقة. ط١، منشورات منتدى أمجاد الثقافي،غزة،٢٠٠٩

٥٨.السياب، بدر شاكر: **الأعمال الكاملة**. دار العودة، بيروت، ١٩٧١

٥٩.شاهين، سعد الدين: **ديوان وحيدًا سوى من قميص الأغاني**،ط١، دار الفضاءات للنشر،عمان،٢٠١٢

٦٠.أبو شاور، سعدي: **تطور الاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني المعاصر**.ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،٢٠٠٣

٦١.شبانة، ناصر عمر: **التناص في الشع العماني**.كلية جامعة النجاح للعلوم الإنسانية، نابلس، مج٢١، ٢٠٠٧

٦٢.شبانة، عمر: **ديوان سيرة لأبناء الورد**.ط١، دار الأهلية،عمان،٢٠١٧

٦٣. شراب، محمد: **شعراء فلسطين في العصر الحديث**. مطبعة الأهلية، عمان،٢٠٠٦

٦٤.شرّاد، شلتاغ عبود: **أثر القرآن في الشعر العربي الحديث**.ط١، دار المعرفة، دمشق، ١٩٨٨٧

٦٥.الشعر، أنور: **توظيف التراث في الشعر الفلسطيني المعاصر**. مطبعة السفير، الأردن،٢٠١٣

٦٦.الشعراوي، محمد متولي: **معجزة القرآن**.دار أخبار اليوم، مصر، ٢٠٠٩، ج٧

٦٧.شوقي، أحمد: **الأعمال الشعرية الكاملة**.مج١، دار العودة، بيروت،١٩٨٨

٦٨. : **الشوقيات**.كلمات عربية للنشر والترجمة، القاهرة، ٢٠١١

٦٩.الشولي، داوود سلمان. **عالم العذرية المفقودة "دراسات في النص الإبداعي"**.د.م، ٢٠١٨

٧٠.الشيرازي، ناصر مكارم: **نفحات القرآن**.ط١، مطبعة سليم نزاده، إيران، ١٤٢٦هـ

٧١.صالح، ضاري مظهر: **الروح الصوفي.جمالية الشيخ في زمن التيه**.دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق،٢٠١٢

٧٢.صـرّاف، وليـد: **ديـوان نـاي لقطيـع أصـم**.دار الأسـتاذ للطباعـة، الموصـل، د.ت

٧٣.الصـفار، حسـن: **المـرأة العظيمـة، قـراءة فـي حيـاة السـيدة زينـب**.ط١، دار البيان العربي، مصر، ١٩٩٣

٧٤.أبـو صـلاح، هشـام: **ديـوان مرايـا الليـل**.المركـز الفلسـطيني للثقافـة والإعـلام، جنين، ٢٠٠٨

٧٥. ابـن أبـي الصـلت، أميـة: **الـديوان**.جمعـه وحققـه: عبـد الحفـيظ السطلي.المطبعة التعاونية،دمشق،١٩٧٤

٧٦.الطناحي، طاهر أحمد: **حياة مطران**.الجمعية التعاونية للنشر.د.م، ١٩٧٣

٧٧.طـه، المتوكـل: **ديـوان نصـوص المدينـة المقدسـة**.ط١، عمـادة البحـث العلمـي والدراسات العليا جامعة القدس المفتوحة، رام الله،٢٠١٥

٧٨.طـه، المتوكـل: **الأعمـال الشـعرية**.ط١، دار الفـارس للنشـر والتوزيع،الأردن،٢٠٠٣

٧٩.طوقـان، فـدوى: **الأعمـال الشـعرية الكاملـة**.المؤسسـة العربيـة للدراسـات والنشر، بيروت، ١٩٩٣

٨٠.طينة، نفين: **ديوان فرحتي البكر**.ط١، دار التوحيدي، المغرب.٢٠١٧

٨١.العايـب، يوسـف: **آليـات اسـتدعاء الـنص القرآنـي ودلالات توظيفـه فـي شـعر مفدي زكريا**. جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، الجزائر،٢٠١٦، ص٣٠٩

٨٢.عبـاس، فضـل حسـن: **القصـص القرآنـي، إيحـاؤه ونفحاتـه**.ط١، دار الفرقـان، الأردن، ١٩٨٧

٨٣.عباس، إحسان: **فن الشعر**.ط٣،دار الثقافة للنشر والتوزيع.بيروت، د.ت

٨٤.عبد العزيز، يوسف:**الأعمال الناجزة**. ط١، وزارة الثقافة الفلسطينية،٢٠١٣

٨٥.عبيـد، محمـد صـابر: **القصـيدة العربيـة الحديثـة بـين البنيـة الدلاليـة والبنيـة الإيقاعية**.ط١، دار غيداء للطباعة والنشر، ٢٠١٦

٨٦.عتيـق، عبـد العزيـز: **علـم البيـان**.دار النهضـة للطباعـة والنشر،بيروت،١٩٧٢

٨٧.عتيق، عمر: **علم البلاغة بين الاصالة والمعاصرة**.ط١، دار أسامة للنشر والتوزيع،عمان،٢٠١٢

٨٨.العثيمين، محمد بن صالح: **شرح البلاغة**.ط١،مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، السعودية، ١٤٣٤هـ

٨٩.عدوان، ممدوح: **ديوان أقبل الزمن المستحيل**.دار العودة، بيروت، ١٩٨٢

٩٠.أبو العدوس، يوسف: **الأسلوبية الرؤية والتطبيق**.ط١، دار مرة، الأردن، ٢٠٠٧

٩١.العزاوي، فاضل: **الأعمال لشعرية**. ط١،منشورات الجمل، بغداد، ج٢، ٢٠٠٧

٩٢.العزب، محمد: **الأعمال الشعرية الكاملة**.ط١،د.ن، الرياض،١٩٩٥

٩٣. عشماوي، أماني: حكايات جحا. ط٢، مطابع دار الحدائق، بيروت،٢٠١٦، ص٣٥

٩٤.العطاري، عبد السلام: **عراب الريح** .ط١،دار الشروق،٢٠١٣

٩٥.عكاشة، محمود: **تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة: دراسة تطبيقية لأساليب التأثير**. دار النشر للجامعات، مصر، ٢٠١٤

٩٦.علوش، محمد: **ديوان خطى الجبل**.ط١،وزارة الثقافة الفلسطينية،البيرة،٢٠١٦

٩٧.عمر، عبد الرحيم: **الأعمال الشعرية الكاملة**.مكتبة عمان،١٩٨٩

٩٨. : **ديوان أغنيات للصمت**.ط١، دار الكاتب العربي،بيروت،١٨٦٣

٩٩.عياد، شكري: اللغة والإبداع.ط١، مطبعة انترناشونال، مصر، ١٩٨٨

١٠٠.عيد، رجاء: **فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور**.ط٢، منشأة المعارف، مصر، ١٩٩٨

١٠١.عيسى، كبير: **القاف العربية، الصوت الرسم والدلالة**.دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٧١

١٠٢.فتيحة، دريزة: **الأثر الجمالي في تلقي القصة القرآنية**.مركز البصيرة للبحوث، الجزائر،ع١٢، ٢٠١١

١٠٣.الفحل، خالد: **ديوان وهج الكلمات**، ط١، الاتحاد العام للمعلمين الفلسطينين.فلسطين،٢٠١٨

١٠٤.فضل الله، محمد حسين: **الحوار في القرآن، قواعدة،أساليبه، معطياته**.ط٥، دار الملاك للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٦

١٠٥.فضل، صلاح: **علم الأسلوب، مبادئه وإجاراءاته**.دار الشروق،مصر،١٩٩٨

١٠٦.القاسم، سميح: **الأعمال الكاملة**.دار سعاد الصباح، القاهرة،١٩٩٣

١٠٧. : **ديوان وما قتلوه وما صلبوه**. منشورات صلاح الدين، القدس، ١٩٧٦

١٠٨.قاسم، عدنان حسين: **التصوير الشعري رؤية نقدية**.الدار العربية للنشر والتوزيع، مصر،٢٠٠٠

١٠٩.قباني، نزار توفيق: **الأعمال السياسية الكاملة**، منشورات نزار قباني، بيروت، د.ت

١١٠.القحطاني، سعيد بن علي: **فقه الدعوة في الصحيح البخاري**.ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ٢٠٠٢، ج١

١١١. القرشي، أبو زيد محمد بن خطاب: **جمهرة أشعار العرب في الجاهلة والإسلام**.ت: محمد علي البجاوي. نهضة مصر للنشر،١٩٨١

١١٢.قشير، محمد عمر: **أنا من يافا بلد المحبوب**.ط٢،تم طباعتها على نفقة الشاعر،.٢٠١٨

١١٣.قطب، سيد إبراهيم: **في ظلال القرآن**.ط٣٢، دار الشروق،مصر،٢٠٠٣

١١٤.القيرواني، ابن رشيق: **العمدة في محاسن الشعر** وآدابه.ت.محمد عبد الحميد.ط٥،دار الجيل، بيروت، ١٩٨١

١١٥.القيسي، سلطان: **ديوان بائع النبي**.ط١،موازيك للنشر والتوزيع، عمان،٢٠١٦

١١٦.القيسي، محمد: **الأعمال الشعرية**.ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،١٩٩٩

١١٧.كـــاك، عبـــد الفتـــاح داود: **التناص.دراســـة وصـــفية تحليليـــة**، الجامعـــة الإسلامية،غزة،٢٠١٥

١١٨.كتاب **التوراة**، حققه: زكّار، سهيل. ط١، دار قتيبة، بيروت، ٢٠٠٧

١١٩.الكتبـــي، محمـــد بـــن شـــاكر: **فـــوات الوفيـــات**. ت.علـــي معـــوض. دار الكتـــب العلمية، بيروت

١٢٠. ابـــن كثيـــر، عمـــاد الـــدين: **تفســـير القـــرآن العظـــيم** . ت مصـــطفى الســـيد محمود وآخرون، ط١، مؤسسة قرطبة، السعودية، مج٥، ٢٠٠٠

١٢١.الكـــلام، يوســـف: **تـــاريخ وعقائـــد الكتـــاب المقـــدس**.دار صـــفحات للطباعـــة والنشر،سوريا،٢٠٠٩

١٢٢.كـــوهين، جـــون: **بنيـــة اللغـــة الشـــعرية**.ترجمـــة: محمـــد الـــولي.دار توبقـــال للنشر، المغرب، ٢٠١٤

١٢٣.اللجمـــي، نبيلـــة الـــرزاز: **أصـــول قديمـــة فـــي الشـــعر الحـــديث**. منشـــورات وزارة الثقافة، سوريا،١٩٥٥

١٢٤.اللهيبـــي، حســـين عبـــد العـــال: **ظـــاهرة الجنـــاس فـــي خطـــب الإمـــام علـــي بـــن أبـــي طالـــب عليـــه الســـلام ورســـائله (دراســـة بلاغيـــة)**. مركـــز دراســـات الكوفـــة، د.ت

١٢٥.الماجدي، خزعل: **متون سومر**. دار الأهلية للنشر، الأردن، ١٩٩٨

١٢٦.الماضـــي، رشـــدي: **ديـــوان تهاليـــل للـــزمن الآتـــي**.مكتبـــة كـــل شيء،حيفا،٢٠٠٢

١٢٧. : **ديـــوان شـــمال إلـــى حجـــر الانتظـــار**.ط١،دار الفـــارس للنشـــر والتوزيع،الأردن،٢٠١٢

١٢٨. : **ديـــوان مفـــاتيح ومنـــازل الكلمـــات**.ط١، مكتبـــة كـــل شيء،حيفا،٢٠٠٥

١٢٩.المـــالكي، برهـــان المصـــري: **عمـــدة المريـــد لجـــوهرة التوحيـــد المســـمى (الشـــرح الكبير)**.ت: بشيربرمان.دار الكتب العلمية، د.ت

١٣٠.مبـــاركي، هشـــام محمـــد: **قصـــة الطوفـــان بـــين الأســـطورة والـــدين**.دراســـة وصـــفية تحليلية. الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٦

١٣١.محاميد، مسلم: **ديوان نشيد..وآخر**.ط١، مطلعة الصراط، فلسطين، ٢٠٠٩

١٣٢.محرم، أحمد: **ديوان مجد الإسلام**. مؤسسة هنداوي للنسر، القاهرة، ٢٠١٢

١٣٣.محسن، سميح: **ديوان في غيابة ليل**.ط١،منشورات مركز اوغاريت الثقافي.فلسطين،٢٠١٢

١٣٤. : **ديوان سادن الريح**.ط١، دار فضاءات للنشر والتوزيع.الأردن،٢٠١٣

١٣٥. : **ديوان في حنجرة الريح**.ط١،دار كنعان،الجزائر،٢٠١٦

١٣٦.المشهداني، حمودي زين الدين عبد: **الدراسات اللغوية خلال القرن الرابع الهجري**. دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت

١٣٧.مطر، أحمد: **المجموعة الشعرية**.ط١، دار الحرية، بيروت، ٢٠١١

١٣٨.مطران، خليل: **ديوان الخليل**.مطبعة المعارف، مصر، ١٩٠٨، ج٢

١٣٩.مطلوب، أحمد: **معجم المصطلحات البلاغية**.مطبعة المجمع العلمي العراقي،١٩٨٦،ج٢

١٤٠.الملائكة، نازك: **الديوان**. دار العودة،بيروت، ١٩٩٧

١٤١. : **قضايا الشعر المعاصر**،ط٣، منشورات مكتبة النهضة، مصر، ١٩٦٧

١٤٢. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: **لسان العرب**.ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ

١٤٣.مواسي، فاروق: **الأعمال الشعرية**. مكتبة كل شيء حيفا،٢٠٠٥

١٤٤.الموسى، إبراهيم نمر: **آفاق الرؤيا الشعرية**. ط١، وزارة الثقافة الفلسطينية،٢٠٠٥

١٤٥. : **شعرية المقدس في الشعر الفلسطيني المعاصر**. مؤسسة دروب للنشر،الأردن،٢٠١٠

١٤٦.ناظم، حسن: **مفاهيم الشعرية**.ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،٢٠٠٣

١٤٧.نـزال، حسـان: **ديـوان تقبلـوا منـي السـلام**.ط١، منشـورات المركـز الفلسـطيني للثقافة والإعلام.جنين،٢٠٠٨

١٤٨.نـزال، فاطمـة: **ديـوان اصـعد إلـى عليائـك فـيّ**. مكتبـة كـل شـيء، حيفـا، ٢٠١٧

١٤٩.نوفـل، يوسـف: **أصـوات الـنص الشـعري**.ط١، الشـركة المصـرية العالميـة للنشر، ١٩٩٥

١٥٠. ابـن هشـام، أبـو محمـد: **السـيرة النبويـة**.خرجـه: فـؤاد بـن علـي حـافظ. دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٧١

١٥١.هلال، محمد غنيمي: **النقد الأدبي الحديث**.دارالعودة،بيروت،١٩٨٩

١٥٢.ويـس، أحمـد محمـد: **الانزيـاح مـن منظـور الدراسـات الأسـلوبية**. المؤسسـة الجامعية للدراسات والنشر ،بيروت،٢٠٠٥

١٥٣.ويلـك، رينيـه، وآخـر: **نظريـة الأدب**.ت محيـي الـدين صـبحي. المؤسسـة العربية للدراسات والنشر .بيروت،١٩٨٧

رسائل الماجستير والدكتوراه

١٥٤.جبريـل، خمـيس: **التنـاص فـي شـعر يوسـف الخطيـب**.رسـالة ماجسـتير، إشراف: أحمد جبر شعث،جامعة الأزهر، غزة،٢٠١٥

١٥٥.دحمـاني نـور الـدين: **بلاغـة الصـورة الفنيـة فـي الخطـاب القصصـي القرآني**.رسالة دكتوراه، إشراف: أحمد مسعود. جامعة وهران،الجزائر،٢٠١١

١٥٦.زكـري،أحلام: **الصـورة الحسـية فـي شـعر عيسـى لحـيلح**. رسـالة ماجسـتير، إشراف: نوال آقطي.جامعة محمد بسكرة، الجزائر،٢٠١٦

١٥٧.عابـد، صـالح علـي: **الإيقـاع فـي شـعر سـميح القاسـم**، دراسـة أسـلوبية. رسـالة ماجسـتير، إشـراف: عبـد الله أحمـد إسـماعيل.جامعةالأزهر،غزة، ٢٠١٢

١٥٨.عبـد الله، سـناء: **توظيـف المـوروث فـي شـعر عـدي بـن زيـد العبـادي، وأميـة بـن الصـلت الثقفـي**.رسـالة ماجسـتير، إشـراف: إحسـان الـديك. جامعـة النجـاح الوطنية، ٢٠٠٤، ص١٤٣

١٥٩.العبيدي، جاسم: **التناص الأدبي والديني في شعر وليد صرّاف**. رسالة ماجستير، إشراف: بسام قطوس، جامعة الشرق الأوسط، العراق، ٢٠١٦

١٦٠.قانوع، عبد اللطيف رجب: **قضايا الأمة وعلاجها في القصص القرآني**. رسالة ماجستير، إشراف: وليد العمودي. الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١١

١٦١.كلّاب، جميل إبراهيم: **الرمز في القصة الفلسطينية القصيرة في الأرض المحتلة** ،رسالة ماجستير ،إشراف: نبيل خالد أبو علي الجامعة الإسلامية،غزة،٢٠٠٥

١٦٢.المجالي، حسن مطلب: **أثر القصة في الشعر العربي الحديث**.رسالة دكتوراه، إشراف: امتنان الصمادي، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٩

١٦٣.ندى، دينا ماجد: **الأسطورة والموروث الشعبي في شعر وليد سيف**.رسالة ماجستير ،إشراف: نادر قاسم. جامعة النجاح الوطنية، نابلس،٢٠١٣

المجلات والدوريات

١٦٤.البغامي، ماجد: **تجليات التناص في ديوان "مختارات من شعر الانتفاضة"**.مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، غزة، مج٢٠، ع٢، ٢٠١٢

١٦٥.أبو بكر، أحمد فوزي: **قصيدة يا صاحبي السجن**. مجلة الحوار المتمدن، العدد: ٦١٦٩، ٢٠١٩ / ٣ / ١١

١٦٦.بولحي، محمد: **الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحداثية**. مجلة التراث العربي–مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب–دمشق العدد ٩٥ – السنة الرابعة والعشرون – أيلول ٢٠٠٤ – رجب ١٤٢٥

١٦٧.الخوالدة، محمد صوالحة. **التصوير الاستعاري في شعر عباس الأحنف**.مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج٤٠، العدد٣، ٢٠١٣

١٦٨.شاهين، سامية: **يوسف عليه السلام**. مجلة الحوار المتمدن، العدد: ٦١٦٩، ٢٠١٩ / ٣ / ١٠

١٦٩.شـرتح، عصـام: **فنيـة التكـرار عنـد شـعراء الحداثـة المعاصـرين**. مجلـة رسائل الشعر، العدد التاسع، كانون الثاني، ٢٠١٧

١٧٠.الضـايع، مصـطفى اليوسـف: **الإيقـاع الـداخلي فـي شـعر أبـي العـلاء المعـري- الجنـاس والطبـاق أنموذجـاً**. مجلـة جامعـة البعـث، سـوريا، المجلـد ٣٧، العدد١٠، ٢٠١٥

١٧١.عتيـق، مديحـة: **أسـطورة قابيـل فـي الأدب العربـي**. مجلـة الـنص، عـدد١٢، ٢٠١٢

١٧٢.عتيـق، عمـر: **دراسـة سـيميائية فـي ديـوان " اصـعد إلـى عليائـك فـيّ" للشـاعرة فاطمـة نـزال**. مجلـة فيلادلفيـا الثقافيـة، جامعـة فيلادلفيـا، ع١٥، ٢٠١٨،

١٧٣. **: رؤيـة نقديـة فـي ديـوان "مرايـا الليـل " للشـاعر هشـام أبوصلاح**. ندوة أدبية برعاية مديرية الثقافة بتاريخ ٢٠١٥/٩/١٧

١٧٤. **: هـدير العـودة فـي ديـوان "نشـيد وآخـر " للشـاعر مسـلم محاميد**. صحيفة القدس،٢٠١٢

١٧٥. **: نـبض السـيرة الذاتيـة فـي شـعر أحمـد دحبـور وتقنيـة التناص**.موسوعة أبحاث ودراسات الأدب الفلسطيني. العدد٥١

١٧٦. **: التشـكيل الإيقـاعي فـي مقصـورة ابـن دريـد الأزدي**. مجلـة المنارة، مج١٧، عدد٦، ٢٠١٠

١٧٧. **: التنـاص الـديني فـي شـعر يوسـف الخطيـب**.مجلـة مجمـع القاسمي للغة العربية، ع٦، ٢٠١٢

١٧٨. **: تقنيـات أسـلوبية فـي قصـيدة (بيـان الطفـل الفلسـطيني الثائر)** للشاعر جمال حبش. مجلة الحوار المتمدن،٢٠١١

١٧٩.عشـوي، مصـطفى مولـود: **سـورة يوسـف قـراءة نفسـية**.مجلـة جامعـة الملـك سعود، السعودية،ع١٥، ٢٠٠٧

١٨٠.أبـو عصـب، سـامح عـز الـديم: **وإذا المـوؤودة سـئلت، بـأي ذنـب قتلـت؟**. جريدة القدس، العدد ١٥٤٠٣، ٢٠١٢

١٨١.عـودة، خليـل: **مسـتويات الخطـاب البلاغـي فـي الـنص الشـعري**. مجلـة جامعة النجاح للأبحاث(العلوم الإنسانية)، مج١٣، العدد٢، ١٩٩٩

١٨٢.فـام، بتـول مشـكين: **تطـور الدلالـة الصـوتية فـي اللغـة العربيـة**. مجلـة كليـة التربية للبنات(العلوم الإنسانية)، طهران، العدد١٧، ٢٠١٥

١٨٣.مصـاروة، إيمـان: **هـاك قصـيدتي**. مجلـة الحـوار المتمـدن، العـدد: ٦١٦٩، ٢٠١٩

١٨٤.وكالـة الصـحافة الفلسـطينية صـفا، صـحيفة فلسـطين اليـوم، العـدد ٣٤٠٤، ٢٠١٤

المواقع الالكترونية

١٨٥.أبـو نضـال، نزيـه: **دعـوى ردة علـى الشـاعر الأردنـي موسـى حوامـدة**. موقـع البوابة، ٢٠٠٠، https://www.albawaba.com

١٨٦.الأسـطة، عـادل: **لسـت يوسـف وزليخـة مـا راودتنـي**. مجلـة الأيـام، فلسـطين، ٢٠١٧ تاريخ الأخذ ٢٣-٢-٢٠١٨. https://www.al-ayyam.ps

١٨٧.الأمـين، نجـاة محمـود : مقالـة بعنـوان: **طريـد الدولـة والديـن/** إعـادة محاكمـة الشـاعر الأردنـي موسـى حوامـدة للمـرة الثامنـة. أخـذت مـن موقـع: https://sudaneseonline.com

١٨٨.أيـوب، خليـل محمـد: **مـن مظـاهر الافتـراق الأسـلوبي بـين القـرآن والحـديث**. موقـع الألوكـة السـعودي، ٢٠١٤، https://www.alukah.net/sharia/0/68025/#ixzz5gZC8FnjT

١٨٩.البرقـاوي، أحمـد: **الـوهم والخيـال**.صـحيفة البيـان، ٢٠١٥،https://www.albayan.ae

١٩٠.حزبـون، لـويس: **الأحـد الثالـث للصـوم: طـرد الباعـة مـن الهيكـل**.موقـع أبونـا، صـادر عـن المركـز الكـاثوليكي للدراسـات والإعـلام، الأردن، ٢٠١٥، http://www.abouna.org

١٩١.خضـير، ضـياء: **علـى هـامش تكفيـر الشـاعر موسـى حوامـدة**،عمـل التـاريخ .. وعمل الشعر. موقع محمد إسليم،٢٠٠٢، http://aslimnet.free.fr

١٩٢.سالم، عادل: **لطفي زغلول في حوار مع ديوان العرب**، موقع ديوان العرب، ٢٠٠٧، http://www.diwanalarab.com/

١٩٣.سعد الدين، أسماء: **مقالة بعنوان: الفرق بين الظلم و القهر**.٢٠١٥، موقع المرسال https://www.almrsal.com

١٩٤.الشحي، عبد الله: **مقالة بعنوان: متى ولمن يصيح الديك؟!**. مجلة دار الخليج، ٢٠١٧، http://www.alkhaleej.ae

١٩٥.عبد الرحمن، محمد: **وليام والاس "القلب الشجاع" بين الحكايات الأسطورية والروايات الزائفة**.مجلة اليوم السابع،٢٠١٨، في موقع https://www.youm7.com

١٩٦.عزمي، أحمد: الطوفان: **الحكاية التي يؤمن بها البشر من العرب إلى الإسكيمو**. موقع الرصيف٢٢ ،٢٠١٦، تاريخ الأخذ: ٢٠-٦-٢٠١٨، https://raseef22.com/

١٩٧.عمران، نسرين: **ما سبب الشعور بغصة الحلق قبل البكاء؟**. مجلة سيدتي، جدة، ٢٠١٧، على الموقع https://www.sayidaty.net

١٩٨.القطب، معتز علي: **قصيدة عودة يوسف**.شبكةالألوكة، السعودية،٢٠١٦، على موقع: https://www.alukah.net

١٩٩.مجلة النقاد اللبنانية: **سيف التكفير يضرب في الأردن**. بيروت، موقع أسليم.٢٠٠٠ http://www.aslim.ma/site/

٢٠٠.موقع أدب: http://www.adab.com

٢٠١. موقع كنوزنت: https://www.knooznet.com

٢٠٢. موقع ويكيبيديا: https://ar.wikipedia.org

فهرس المحتويات

المحتويات

إقرار .....خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

إهداء.....ج

شكر وتقدير.....ح

ملخص .....خ

مقدمة .....ذ

الفصل الأول: القصة القرآنية في الشعر.....١

المبحث الأول: أثر القصة في القرآن الكريم ٢

١. سحر البيان في القرآن الكريم ٢

٢. عظمة القرآن الكريم وإعجازه ٢

٣. تأثير القرآن الكريم على الشعراء ٣

المبحث الثاني: القصة القرآنية في الشعر العربي ٥

١- قصة الطوفان في الشعر العربي، وأبعادها الدلالية ٦

٢- قصة قابيل وهابيل في الشعر العربي، وأبعادها الدلالية. ٢١

٣- قصة طير الأبابيل في الشعر العربي، وأبعادها الدلالية ٢٧

٤- قصة إبراهيم عليه السلام في الشعر العربي، وأبعادها الدلالية.....٣٠

٥- قصة موسى عليه السلام في الشعر العربي، وأبعادها الدلالية.....٣٣

٦- قصة الإسراء والمعراج في الشعر الحديث، وأبعادها الدلالية ٣٦

٧- قصة هجرة النبي محمد من مكة، وأبعادها الدلالية ٣٩

المبحث الثالث: القصة القرآنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ٤٢

١- قصة الطوفان في الشعر الفلسطيني، وأبعادها الدلالية ٤٣

٢- قصة قابيل هابيل في الشعر الفلسطيني، وأبعادها الدلالية ٥٠

٣- قصة طير الأبابيل في الشعر الفلسطيني، وأبعادها الدلالية ٥٥

٤- قصة إبراهيم عليه السلام في الشعر الفلسطيني، وأبعادها الدلالية ٥٨

٥- قصة موسى عليه السلام في الشعر الفلسطيني، وأبعادها الدلالية ٦٢

٦-قصة هجرة النبي محمد من مكة، في الشعر الفلسطيني، وأبعادها الدلالية ٦٥

٧- قصة الإسراء والمعراج في الشعر الفلسطيني، وأبعادها الدلالية ٧٠

الفصل الثاني: الفضاءات الدلالية لقصة يوسف عليه السلام في الشعر الفلسطيني المعاصر ٧٥
المبحث الأول: المنفى ومعاناة اللاجئين ٨١
١- ثنائية الانكسار والانتصار في المنفى ٨٢
٢- ديمومة معاناة اللاجئين ٩٣
٣- الاغتيال السياسي ٩٨
٤- الاغتراب النفسي ١٠٠
المبحث الثاني: عودة اللاجئين ١٠٢
١- العودة في سياق الأمل واليقين ١٠٣
٢- العودة في سياق الشك والقلق ١٢١
المبحث الثالث: مرايا وطنية في قصة يوسف ١٢٥
١- قصة يوسف عليه السلام والقدس ١٢٥
٢- قصة يوسف عليه السلام وحصار غزة ١٣١
٣- قصة يوسف عليه السلام والأسرى ١٣٣
٤- قصة يوسف عليه السلام والشهيد الفلسطيني ١٣٤
٥- قصة يوسف عليه السلام وافتراءات اليهود ١٣٧
٦- قصة يوسف عليه السلام وحب الوطن ١٣٨
المبحث الرابع : العناقيد الدلالية في قصة يوسف ١٤٤
الفصل الثالث: ظواهر أسلوبية في قصة يوسف عليه السلام..... ١٥٠
المبحث الأول: الانزياح الدلالي في شعر قصة يوسف عليه السلام..... ١٥١
الانزياح تعريفه وأنواعه ١٥٢
المبحث الثاني: تجليات الصورة الفنية في شعر قصة يوسف ١٦١
المطلب الأول: الصور التشبيهية..... ١٦٢
المطلب الثاني: الصور الاستعارية ١٦٩
الاستعارة المكنية ١٧٠
١. الاستعارة التجسيدية ١٧٠
٢. الاستعارة التشخيصية ١٧٤
الاستعارة التصريحية..... ١٨٠
المبحث الثالث: ظواهر في الموسيقى الداخلية ١٨٣
١- إيقاع الأصوات المفردة ١٨٤
أ- إيقاع الأصوات الصفيرية..... ١٨٥
ب- إيقاع التكرار..... ١٨٩

٢-الجناس ١٩٥
٣- التكرار ٢٠٠
أ. تكرار الاستهلال ٢٠١
ب- تكرار الفعل ٢٠٤
ج- التكرار الدائري ٢٠٥
د- التكرار الختامي ٢٠٧
خاتمة **٢٠٩**
ثبت المصادر والمراجع **٢١١**